الدكتور
عبدالهادى الجوهرى
إستاذ علم الاجتماع

تاريخ الفكر الاجتماعى

١٩٩١



الناشر
مكتبة نهضة الشرق
جامعة القاهرة

الدكتور
عبد الهادي الجوهري
أستاذ علم الاجتماع

تاريخ الفكر الاجتماعي

١٩٩١

الناشر
مكتبة نهضة الشرق
جامعة القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لاقى علم الاجتماع فى نشأته وتطوره صعوبات عديدة الى أن أصبح علما له موضوعاته المحددة ومناهجه العلمية الواضحة ونظرياته وقوانينه العلمية التى تحكم وتفسر حركة الظواهر الاجتماعية .

والمتتبع لتاريخ الفكر الاجتماعى يسترعى انتباهه أن هذا الفكر لم يسر فى خط مستقيم والى الأمام دائما وانما اعترته صعوبات فى بعض الأحيان وظهرت فيه إرهاصات فى أحيان أخرى وكان ذلك تمشيا مع ظروف مجتمعية وظروف أكاديمية مرت بها الانسانية ، ولكن فى النهاية ظهر علم الاجتماع كعلم مستقل ولكنه غيرمنقطع الصلة بالعلوم الاجتماعيةالأخرى .

ولقد اتسع نطاق البحث فى هذا العلم الى أن أصبحت اهتماماته عديدة وفروعه كثيرة لعل من أحدثها علم الاجتماع السياسى وعلم اجتماع العلاقات الدولية وعلم اجتماع الادارة وعلم الاجتماع الرياضى وغير ذلك من فروع أخرى حديثة لم يشر اليها مؤسسو العلم الأول والمفكـرون الاجتماعيون القدامى وتعددت المدارس الاجتماعية واتسع نطاق الاجتهاد العلمى واختلفت آراء الكثيرين من العلماء بيد أن اختلافاتهم لم تمثل عائقا فى سبيل تطوير العلم وانما مثلت حافزا لمزيد من البحث العلمى والارتقاء بمستوى علم الاجتماع نظريا وتطبيقيـا .

وأخذت المجتمعات مع اختلاف مستوياتها العلمية ـ تعتقد فى أهمية العلم وتوظيفه من أجل المساهمة فى حل مشاكلها وطرح حلول لقضاياها المعلقة بحيث لم يعد العلم للعلم بقدر ما أصبح العلم للمجتمع .

وزاد الاهتمام بالعلم دراسة وبحثا فأنشئت له الأقسام المتخصصة ومراكز البحوث وانتشرت تدريس العلم فى كليات خارج اطار كليات الأداب والعلوم الاجتماعية والخدمة الاجتماعية وأصبح يدرس فى كليات الزراعة والتجارة والطب والهندسة والمعاهد والكليات العسكرية وغيرها من الكليات التى تشعر بأهمية تدريس علم الاجتماع فيها كأحد المكونات المهنية والثقافية لطلابها .

وهذا الكتاب الذى بين يدى القارىء ينقسم الى بابين رئيسيين : الباب الأول يعالج موضوع الفكر الاجتماعى من حيث طبيعته وتطوره سواء الفكر الأجتماعى عند الشعوب البدائية أو فى المجتمعات الشرقية القديمة أو عند اليونان أو فى العصور الوسطى أو الفكر الأجتماعى عند المسلمين أو الفكر الاجتماعى ذو النزعة الفردية فى العصر الحديث أو فى القرن الثامن عشر وثمة عرض لعدة مدارس اجتماعية كالمدرسة الأنجليزية والمدرسة الألمانية والمدرسة الأمريكية وعلم الأجتماع فى روسيا وفى ايطاليا وفى بلجيكا .

أما الباب الثانى فهو عبارة عن مدخل لعلم الاجتماع اشتمل على عدة فصول تضمنت معالجة لاستقلالية علم الاجتماع وأغراض العلم وميادينه، والتخطيط الاجتماعى والأسرة والثقافة والعلميات الاجتماعية ، والثقافة، والشخصية والتغير الاجتماعى وغير ذلك من الموضوعات التى تعتبر تمهيدا ومدخلا لعلم الاجتماع .

هذا ويأمل المؤلف أن يكون قد وفق فى عرض موضوعات الكتاب وأن يجد فيه القارىء فائدة .

وعلى الله قصد السبيل .

الجيزة فى ٢٣ ذو القعدة ١٤٠٣ هـ

١/٩/١٩٨٣ م

دكتور عبد الهادى أحمد الجوهرى



فى الفكـــر الاجتمـــاعى

الفصل الأول

طبيعة الفكر الاجتماعى

يشير بوجاردس الى أن الانسان يواجه عالما من المشاكل الاجتماعية المعقدة : الأمر الذى يجعل حيرته وارتباكه فوق كل وصف ، وبذلك يصبح تفكيره مضطربا ومشوشا . وعندما يبدأ الانسان العادى فى التغلب على هذه المشاكل فانه لابد وأن يحتاج الى كل مساعدة ، ممكنه .

ان تطوير الحضارة ان لم يكن وجودها انما يعتمد على جهد كل من الرجل والمرأة فى التفكير الاجتماعى المعقد كما يعتمد تقدم الديمقراطية ان لم يكن مجرد وجودها . ان التوافق الديمقراطى مع المشاكل يتطلب تفكيرا ديمقراطيا ، وهذا يعنى أن افراد الجماعة من الأفراد العاديين ينبغى أن يفكروا بوضوح فى طبيعة المشاكل الاجتماعية وفى ايجاد الحلول لعلاجها . ولذلك فان الفكر الاجتماعى أو التفكير الاجتماعى فى طبيعة المشاكل الاجتماعية وعلاجها فى أى مجتمع كبيرا كان أم صغيرا ينبغى أن يكون متسعا أن لم يكن عالميا ولا يستطيع القادة ذووا التفكير الاجتماعى السير الى الامام فى انشطتهم خارج نطاق التفكير الاجتماعى للانسان العادى .

ان الجزء الأكبر من تحليل المسائل الاجتماعية كان أكاديميا . وقد انتهت المناقشات الى معالجات أو تعميمات .

ان الغالبية العظمى من أية جماعة اجتماعية لم تفهم طبيعة الفكر الاجتماعى كما لم تستفد منه . ولذلك فانهم كانوا يستشعرون ويهزأون

منه . لكن الفكر الاجتماعى العادى ينبغى أن يكون ديمقراطيا ، وينبغى أن يكون ميسرا لكل النـــاس .

والشخص ذو النزعة العلمية يفكر فى المشاكل الاجتماعية بطريقته الخاصة . فقد يواجه ظروفا قاسية تجعله يشـــعر بالظلم الأمـــر الذى يثير تفكيره الاجتماعى بصفة خاصة .

وقد يعتقد أن الأمراض الاجتماعية ترجـــع الى ســـبب واحـــد ، وبالتالى فانه يصف علاجا واحدا لكل الأمراض الاجتماعية وعـــادة فان ملاحظاته محدوده ، وغير مدرب على الوصول الى استدلالات دقيقـــة ولذلك فان استنتاجاته واستخلاصاته ضيقة ومحدودة للغاية .

وهذا الشخص غالبا ما يضع نظريات غير دقيقة : وقد تكون أكثر النظريات خطرا .

والعقبة الثانية التى تعترض التفكير الاجتماعى الصـــادق فتتمثل فى عدم وجود الخلفيات الفكرية . يميل الناس عـــادة الى تقديم حلول للمسائل الاجتماعية دون أن يتذودوا بالمعرفة عن القوانين والعمليـــات الاجتماعية . وفضلا عن ذلك لا يرغبون فى الاطلاع على هـــذه المعرفة الضرورية . ان المشاكل الاجتماعية الجارية لا تفهم بالصدفة ما لم تدرك العلاقة التاريخية بين السبب الاجتماعى ونتيجتة ولا شك أن كل المسائل الاجتماعية فى الوقت الحاضر هى نتيجة لبعض الميول والنزعات التى لها تاريخ انسانى طويل . ان المعرفة بالعمليات الاجتماعية مسألة ضرورية للتفكير الصادق عن شرور الوقت الحاضر . وان تاريخ الفكر الاجتماعى يزودنا بالحد الأدنى من المعلومات لفهم المشاكل الاجتماعية الحالية .

واذا كان العمل الاجتمـــاعى ضروريا : الا انه ينبثق عن تفكـــير اجتماعى عميق والعمل الاجتماعى الذى ينشأ عن رغبة عمياء أو معتقدات

خاطئة قد يضر أكثر مما ينفع • فالعمل الاجتماعى الحكيم يتطلب المعرفة بتاريخ الخبرات الاجتماعية والفكر الاجتماعى الذى ينشأ عنها •

تعريف الفكر الاجتماعى :

الفكر الاجتماعى بالمعنى الدقيق هو نتيجة التفكير المشترك لأعضاء المجتمع أو الجماعة أو البيئة •

ان الفكر الاجتماعى هو فكر الأفراد عن المسائل الاجتماعية • وبهذا المعنى فان الفكر الاجتماعى هو التفكير •• فى مشاكل المجتمع من جانب شخص أو عدد من الأشخاص فى الماضى أو فى الحاضر •

ان تفكير الأشخاص فى الحياة الاجتماعية يقع فى ثلاثة أقسام :

١ — يتعلق بتقديم الجماعات الانسانية كجماعات •

٢ — يشير الى تناول الجماعات الانسانية لهدف الجماعة أو زمرة خاصة •

٣ — أهدافه تتمثل فى تحليل القوانين والعمليات الاجتماعية الأساسية بغض النظر عن نتائج هذا التحليل أو المنافع الناشئة عنه •

النمط الأول من التفكير يتعلق بالتخطيط الاجتماعى • بطريقة أو بأخرى وعلى أى حال لم يكن مفهوم التخطيط الاجتماعى مفهوما واضحا • بعض المدافعين عنه فسروه بمعنى نمط من التفكير يهدف لاقامة الاشتراكية أو الشيوعية أو الفاشية • وهذا التفسير ليس له أساس • والتخطيط الاجتماعى فى جوهره هو اقتراح اجراءات بعد تفكير عميق من خبراء وباحثين عاملين فى حياة المجتمع المحلى من أجل تنمية المجتمعات صغيرة كانت أم كبيرة •

أما النمط الثانى من أنماط التفكير الاجتماعى قد يكون تفكيرا غير اجتماعى فقد يبدأ عادة من التفكير الفردى ثم يؤدى الى مشروعات تخطيطية من أجل مكسب عدد قليل من الأفراد وضد صالح الكثيرين عندما تكشف الجماعة عن نتائجه الضارة •

أما النمط الغالب من التفكير الاجتماعى فانه يسعى الى العمليــات القائمة خلف التفكير المؤيد للاجتماعى والمعارض للااجتماعى • فهو يخترق طبيعة العمليات الاجتماعية ويحاول الوصول الى قوانين اجتماعية ويحلل كل العوامل الأساسية لأى برنامج للتحسين الاجتماعى •

وقد أحرز التفكير الاجتماعى العلمى انتصارات رائعة • فقد وضع مجموعة الكلمات والمصطلحات فى الاجتماع وقد تم تعريف عدد من مفاهيم الفكر الاجتماعى القائمة ، كما تم الوصول الى بعض الاتفاق فيما يتعلق بمعانى هذه المفاهيــم •

والفكر الاجتماعى المجرد ، هو تكميلى للفكر •• العلمى عن المسائل الاجتماعية ، وقد يتباين تماما عن التفكير الشعبى أو العام •

والفكر المجرد يسعى الى التفسيرات السببية ويسعى الى الواقع الشخصى الملموس ، ويؤدى الى اجراءات متوازنة تماما والتفكير العلمى شىء مميز غير شائع • والقدرة على التفكير لمجرد ادراك المعانى العميقة للظواهر ، أمر نادر •

أما التفكير العملى القائم على خبرات قليلة ، فانه يكون القطــاع الرئيسى من الحياة الفكرية لكل شخص •

اننا نجد أشخاصا تخلصوا أو حرروا أنفســهم من صراع الحياة اليومية ، من سباق كسب المــال والتحقوا بجماعة الباحثين العلمــاء فى الحاضر والمــاضى ، يسعون فى العمل الأول نحو الحقيقة • وعنما يتيسر للباحثين الوقت للتفكير المجرد ، التحليل والوصول الى تعميمات خلاقة ، فان عقوليهم تكون قد سارت فى طريق أو أكثر من الطرق الفكرية الخمسة-

الخطوط الخمسة للفكر الانسانى :

١ — بذل الانسان اهتماما كبيرا لعلاقته بالعالم . وكان الانسان متدينا خلال تاريخه الطويل يحاول علاج مشاكل العالم الذى يحكمه من خلال الأرواح أو الآلهة أو الاله الواحد القهار . وقد أوجدت المخاوف والآمال والمعتقدات والمثال الاجتماعية حياة الاضحيات .

٢ — بغض النظر عن الحاجات الدينية فقد حاول الانسان أن يفكر فى علاقته بالعالم ككل ، الحى وغير الحى . وقد تفلسف وحاول رد هذا العالم المحسوس وغير المحسوس الى عدد قليل من المفاهيم وحاول الوصول الى أرض ثابته لتفسير علاقته بالعالم . أعلن أن التغير هو سيد كل شىء . وقد وضع الانسان على قمة كل الخلق وعلى أى فقد سعى الانسان الى المعانى النهائية .

٣ — من الآفاق البعيدة لانساق الفكر الدينى والفلسفى ، وجه الانسان انتباهه المركز والمطول فى اتجاه معارض فقد وجه تفكيره نحو نفسه . وجه عمليات التفكير فى الباطن وقد احتار طويلا بالنسبة لبناء وظائف التفكير والسلوك وهذه السلسلة من الدراسات أدت الى معالجات مثل نقد العقل الخالص لكانت من ناحية أو الى التعقيدات الحالية لعلم النفس السلوكى أو لعلم النفس الجشتالت من ناحية أخرى .

٤ — سعى الانسان الى معرفة أسرار الأرض المادية ومنذ الثورة الصناعية فى انجلترا فان العقول العلمية قد ركزت طاقة عظيمة نحو محاولات فهم واستثمار العناصر الفيزيقية . فقد حاول الانسان أن يستفيد من الصخور وطبقاتها للحصول على ثروات من الذهب والبترول والغازات . وبفضل معرفة الانسان عن البخار والبنزين والكهرباء أمكن اختراع وسائل النقل الحديثة . وقد تتابعت الاختراعات الميكانيكية ، الأمر الذى أدى الى الاعجاب بقوة فكر الانسان .

٥ — فى الازمنة الحديثة أصبحت مشكلة توافق الانسان مع زملائه من بنى الانسان تستحق قدرا أكبر من الانتباه ، أن التفكير الاجتماعى

العلمى قد اكتسب دقة متزايدة خلال القرن الحالى ولآلاف السنين أمعن الانسان التفكير فى علاقاته بربه والتزامه نحوه ، فضلا عن علاقته بالعالم، وفى طبيعة عمليات فكره وطبيعة عمليات عقله ، وطرق ووسائل اكتساب النجاح الفردى من خلال السيطرة على موارد الأرض العادية . وعلى الرغم من أهمية هذه الجوانب فقد أهمل الانسان تماما حتى العصور الحديثة قلب الحياة الناجحة الحقه ، وهى بالتحديد علاقته بزملائه وبالمجتمع نحوهم فقد تجاهل الانسان تماما الفكر الاجتماعى أو التفكير التحليلى عن طبيعة الحياة الاجتماعية واتجاهاتها ومشاكلها .

لم يعد علم النفس فرديا وصوريا . انه الآن يحاول تفسير العالم فى ضوء السلوك الانسانى والانماط الجشتالتية . ويسعى نحو عمليات الجماعة لامكان تفسير السلوك الشخصى .

والعلم له طرق موضوعية ، ينغمس فى مقياس تأثير العوامل المادية والاجتماعية على السلوك والعلم بما اداه فى خلق أدوات للحياة أحسن وأحسن يثير أسئلة عن علاقة هذه الأدوات بقيم الحياة وعلى أى حال أحال العلم هذه المشكلة الى العلوم الكمية والى الدراسات التقويمية .

ان هذا الجانب من الفكر الاجتماعى المسمى بالفكر الاقتصادى هام للغاية من ناحية تأثيره أنه يسعى الى تقييم المشروعات الصناعية التجارية على أساس أهميتها الاجتماعية . ان ملكية موارد الأرض المادية وادارة المشروعات التكنولوجية وتوزيع الفائض والمكاسب الاقتصادية . كل هذه مفاهيم يحاول الاقتصاديون فى الوقت الحاضر اعادة تعريفها فى ضوء تقييم المجتمع .

وقد استفاد الفكر الاجتماعى من طبيعة الظروف الاجتماعية ولامكان فهم الفكر الاجتماعى علينا أن نعرف العصر الذى نشأ فيه . أن المعرفة العميقة بالثقافة وبالمستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية لشعب من الشعوب هو الحد الأدنى الضرورى لدراسة الفكر الاجتماعى .

وقد نشأ تاريخ الفكر الاجتماعى من بدء الصراع البشرى على الأرض . وقد وجد التعبير من خلال أعظم العقول .

والفكر الاجتماعي عادة يجد تعبيره المبدئي خلال الأزمات الاجتماعية وعندما يسود الازدهار بين الناس . فان فكرا اجتماعيا جديدا يسود فهو في حالة مـد وجزر . عندما تتميز الظروف الاجتماعية بظلم فادح أو عندما تحدث التغيرات الاجتماعية بسرعة نتيجة الاختراعات والحروب أو أيـة اضطرابات أخرى أساسية ، فان الفكر في الحياة الاجتماعية والمشـاكل يزداد وتنشأ أفكار جديدة أو أنساق من الأفكار أى ايديولوجيات (١) .

---

١ — مزيد من التفصيل انظر : ١ . د احمد الخشاب — التفكير الاجتماعي — دراسة كاملة للنظرية الاجتماعية — دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .

د . حسن شحاته سعفان — تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية — دار النهضة العربية القاهرة ١٩٥٧ .

الفصل الثاني

الفكر الاجتماعي عند الشعوب البدائية

يستخدم مصطلح الشعوب البدائية للاشارة الى شعوب لا تعرف القراءة والكتابة ، ولكنها ليست شعوبا نامية بل سابقة على ظهور الكتابة ، فهى تفتقر الى خصائص ثقافية محددة ، وهى بالذات اللغة المكتوبة ، بغض النظر عن عنصرها أو وطنها الجغرافى ، وسواء كانت بيضاء أو سوداء أو صفراء أو حمراء — تسكن فى المناطق الشمالية الباردة أو فى المناطق الجنوبية الحارة ، وسوف ندرس فكرهم كما يظهر فى امثالهم وخبراتهم المختلفة ، وهو يشبه الفكر الاجتماعى لأى شعب آخر ونضعه تحت عنوان واحد ، كما أن هذا الفكر لا يشير أبدا الى أن الشعوب البدائية أقل من الشعوب المتحضرة .

ولذلك جدير بنا أن ننظر الى الفكر الاجتماعى عند الشعوب التى لم تعرف اللغة المكتوبة على أساس ما له من مزايا أو عيوب دون الافتراض أنهم يفكرون هذا اللون من التفكير لأنهم أشبه بالقرود كما يظن البعض .

ويوضح بيكروباتز بعض خصائص الثقافة السابقة على معرفة القراءة والكتابة قبل الكلام عن الثقافة فى حد ذاتها فاذا كان هناك مجتمع محلى ريفى لا يعرف القراءة والكتابة على الرغم من انه يعيش وسط العالم الحديث الذى يعرف القراءة والكتابة ، فان معنى هذا ان هذا المجتمع الريفى يعيش فى عزلة ، فهو لا يتصل بالعالم والشعوب الأخرى .

وهناك فرق بين العزلة الجغرافية والعزلة عن الجيران ، فعبارة عزلة الجيرة ترجمة لمصطلح الهوة عند راتزل Ratzel ويختلف عن الموقع الجغرافى ، فكل شعب له موقعان أحدهما قائم على الأرض الواقعية

مباشرة والآخر مباشر ناشيء عن علاقة الشعب بجيرانه ، يتصل الأول بموضع الأرض أما الثانى فيتصل بالجيران •

واذا افترضنا وجود انسان لم يكن له على الاطلاق أى علاقة بأناس آخرين فيما عدا هؤلاء المنغمسين فى عملية الولادة ، فان له موقعا جغرافيا دون أن يكون له علاقة بجيرانه ، لأن هذا الأمر يتضمن وجود علاقات بأناس آخرين ولكن الوضع مع الجيران لا يوجد بدون موقع جغرافى • والموقع الجغرافى قد يتغير كثيرا مع تغير ضئيل نسبيا فى الوضع مع الجيران والعكس ، ان بعض أصحاب النظريات الاجتماعية لم يميزوا بين العزلة الجغرافية والعزلة عن الجيران •

حان الوقت كى نثير هذا السؤال : هل طبيعة الانسان تقاوم التغير أو تحب التغير بالضرورة ؟ لا شك أن الاجابة ستكون اجابة على مشكلة التغير الاجتماعى ، وكل ما سنعمله هو مقارنة آراء بعض العلماء •

يؤكد باجوت Bagehot على ندرة التقدم الثقافى وان حالة الاستقرار هى حالة الانسان التى تتكرر غالبا ، وعندما بدء التاريخ وجد ان معظم الأجناس غير متقدمة وتوضح البيانات المتوافرة كما تؤكد أن كثيرا من الشعوب السابقة على ظهور الكتابة وشبه المتعلمة تحفظ بسمات ومركبات ثقافتها القديمة لدرجة انها تظهر درجة عالية من الثبات الفكرى •

وقد استنتج فيدال دى لابلنكى Videl de la Blache وجودقدرمن التقدم فى الثقافات المنعزلة ، ولكن بعد فترة من الوقت تأتى فترة من الانحلال والضعف • وما لم تدخل عوامل تكسر هذه الدائرة الخبيثة تسود فترة من الحكم الخاملة • ويشير أوجبرن Ogburn «ان الانسان فى بعض المواقف يريد التغير ، وفى مواقف أخرى لا يريد» •

تنظيم القرابة وثبات التفكير :

الخاصية الثانية من مرحلة التطور الثقافى للشعوب البدائية هى انتشار تنظيم القرابة فأقوى روابط اجتماعية هى روابط القرابة لأن العزلة قضت على أى روابط أخرى ، وهذه الروابط القرابية تجعل التفكير ثابتا

لايتغير ، لأن الجماعة القرابية وهى وحدة نقل التراث والتقاليد بين جيل لآخر ، تؤثر تأثيرا قويا فى شخصية الطفل وبذلك تجعل الكبار أو المرشدين كل منهم يشبه الآخر الى حد كبير ، كما تجعلهم يتوائمون مع المجتمع الذى يعيشون فيه فالطفل يعيش مع أقاربه ولا يستطيع قطع روابطه بهم ، واذا فرضنا وحدث هذا الانحراف ، أى قطع الانسان روابطه بأهله فان العملية تشبه عملية قطع الحبل السرى التى تسبب كثيرا من الألم ، لان الانسان لا يستطيع أن يعيش بعيدا عن أهله .

ففى خطى هذه السنين الطويلة يحاول الكبار تشكيل الصغار على صورتهم كما يحاولون المحافظة على وحدة المجتمع المحلى وتماسكه ، لأن المجتمع يوفر أسباب الحماية والأمن ، واننا نعلم انه فى كثير من الشعوب البدائية امتدت عملية ارضاع الأطفال من الثدى فترة زمنية طويلة قد تستمر الى أربع سنوات ولذلك فان العلاقات بين الزوج والزوجة علاقات قوية ، وكذلك الحال بالنسبة لعلاقات الأم بطفلها . ولذلك فاننا نندهش من وجود الاعتماد المتبادل بين كل هذه الخطوط والعوامل البيولوجية تجعل من التنظيم القرابى نوعا من البناء متزايد القوة والتأثير فى خلق الشخصية الأساسية .

الضبط الاجتماعى والكبار :

يتضح لنا مما سبق أهمية تنظيم القرابة وأثره القوى على نمط الحياة والضبط الاجتماعى الذى يمارسه الأفراد الكبار السن فى الجماعة . ولا يتخذ الضبط صور الأوامر أو النواهى وقد يكون أقوى ضبط اجتماعى وأكثره فاعلية ذلك الضبط الذى ليس من السهل ملاحظته وليس ظاهرا وليس رسميا وهو أقرب الينا من اليدين أو القدمين أن قوى كبار السن لا تمارس بصورة مباشرة ، فهم يشكلون شخصية الفرد ويرسمون سياسة الحياة فى الجماعة القرابية ويحدد الأمور فى حياة كل شاب ، ولذلك فانه لا حاجة الى الضبط الاجتماعى المباشر . أما التأثير السائد القوى فتمارسه شعائر التحاشى الجزئى أو الكلى ، المحرمات ، الطقوس ، طرق العمل المقدسة . أى قواعد العرف والنظام .

وتزداد قوى كبار السن اذا عرفنا أن الملاحظة الشخصية وامتصاص التقاليد يتم من خلال الكلمة المنطوقة وحدها وهى لذلك المصدر الوحيد للمعرفة والحكمة •

وبسبب كل هذه الظواهر يسود فى الشعوب البدائية نمط الحكم الاستبدادى ذى الطابع التقليدى • وهو نوع من الحكم يستمد شرعيته من قداسة أوامر وسلطات الحكام بفضل بقائهم واستمرارهم فى الحياة • ولكن فى الدولة الدنيوية فان الوضع يختلف تماما لأن العلاقات بين الحاكم وموظفيه من ناحية ، ورعاياه من ناحية أخرى هى علاقات شخصية وقائمة على احترام الحاكم وطاعته •

التميز بين الجنسين :

من السمات المعروفة عند معظم الشعوب البدائية هو التقسيم الدقيق للسلوك الاجتماعى بين الذكور والاناث • ولو أن الشعوب الحديثة تضع معايير لسلوك الرجل والمرأة ، كما تحدد ماهية عمل الرجل وماهية عمل المرأة ولكن هذه التحديدات غامضة غير واضحة ، ثم جاءت رياح التغييرات العنيفة فى الخمسين عاما الماضية وجعلت من المرأة منافسا للرجل فى كثير من مجالات العمل التى كانت متصورة على الرجال وحدهم سنين طويلة •

والشعوب البدائية تضع خطوط واضحة تفصل بين عمل الرجل وعمل المرأة ، ولا شك أنه توجد اختلافات كبيرة بين الجماعات البدائية فيما يكون عمل المرأة وفيما يكون عمل الرجل •

ومن الظواهر المصاحبة لهذا التحديد الدقيق الصارم هو نظام التحريمات الخاص بالرجال والتحريمات الخاصة بالمرأة • فليس على الرجل تناول أنواع معينة من الأطعمة وكذلك المرأة ، ولا ينبغى على المحارم أن يخبر حبيبته باسرار رقص الرجال الذى يؤدينه وهم يرتدون الأقنعة وكما أن المرأة الماهرة فى التوليد عليها الامتناع عن الاشارة الى خنها فى حضور زوجها أو أبيها أو أخيها • هذه التحريمات وغيرها من

تحريمات لا نهاية لها تؤكد الاعتقاد بوجود احتياجات حادة بين الجنسين وبصفة خاصة من ناحية السمات الجنسية والعقلية .

ومن الظواهر التى تؤكد على وجود هذا التميز بين الرجل والمرأة اعتقادهم بأن دور المرأة فى التناسل أكثر أهمية من دور الرجل وخاصة عندما يضاف الى ذلك بعض الظواهر الشاذة حتى الاجهاض والولادة قبل موعدها المحدد ، وغير ذلك ولا يقتصر الفصل بين عمل المرأة وعمل الرجل على العمل الدنيوى ، بل يمتد ذلك الى العالم الآخر . اذ تؤكد البدائية ان المرأة لن يكون لها دور فى الحياة الأخرى .

واذا كانت هناك شعوب بدائية تضع المرأة فى وضع أقل من الرجل فى العالم الدينوى الى جانب العالم الآخر ، فان هناك شعوبا أخرى تضع المرأة فى وضع أفضل ، ففى الثقافيات الأمومية تحتفظ المرأة بسلطات خاصة تكفل لها وضع السيادة ، الا أن هذه المجتمعات قليلة للغاية . وعلى أى حال ان وضع المرأة أقل من الرجلفى كل المجتمعات البدائية الا فى بعض الحالات القليلة وتستطيع أن تستدل على ذلك من بعض الأمثال : —

— « الرجل بلا أمرأة هو عقل بدون جسد ، والمرأة بدون رجل هى جسم بلا عقل » (المانى) .

— « ان للمرأة شعرا طويلا وعقلا صغيرا » (يوغسلافى) .

— « ليس للدجاجة أن تصبح ديكا » (روسى) .

— « الزوج هو والد زوجته » (روسى) .

السياسات السكانية :

لا يكتفى التفكير البدائى أن يضع المرأة فى منزلة أدنى من منزلة الرجل ، بل انه فى بعض المجتمعات تقتل الأنثى عند ولادتها خاصة اذا كان الصراع قاسيا من أجل الحياة ؛ فالفلاح الصينى يقتل ابنته وهى طفلة قد تعوقه ولا تساعده بعكس الأبناء الذين قد يساعدون أسرهم .

وتحديد السكان على هذا النحو لا يتم على حساب الأناث ، فهناك مجتمعات كثيرة تحدد عدد سكانها على حساب أحد الجنسين الذكور والاناث ، فالشعوب البدائية تقيد الزيادة الطبيعية فى عدد السكان بدلا من علاج المشكلة عن طريق الهجرة • فعندما تشعر بان هناك خطرا يهدد الموارد التى تعيش عليها ، تلجأ الى تحديد عدد السكان عن طريق قتل الأطفال فكأن هذه الشعوب لا تعتقد فى تلك الحكمة القائلة بأن الله عندما يخلق فما فانه يرسل له الطعام الذى يملأه •

وهناك أسباب كثيرة تجعلنا ننسب لكبار السن فى المجتمعات البدائية هذا النوع من التفكير الذى تحدثنا عنه فى الفقرة السابقة • ولعل من أهمها : أن الأمور مستقرة فى المجتمعات التى يسودها روابط القرابة فالمجتمع المحلى المنعزل لا يتغير بدرجات محسوسة • كما أن التغير بطىء للغاية فى طرق الحصول على الطعام ، فكمية الطعام تحددها أساليب الحصول عليه وفضلا عن ذلك فان حجم الجماعة يتحدد فى ضوء كميات الأطعمة المتوافرة • ولذلك فان الجماعة أما أن تسعى لتوفير كميات وفيرة من الطعام واما أن تحدد عدد أعضائها فى ضوء كميات الطعام المتوافرة وهذا هو الأسلوب الشائع ، فتلجأ تلك الشعوب الى وسائل منع الحمل البدائية أو الاجهاض أو قتل الأطفال أو ذبحهم ، ومعنى ذلك أن المالتسية أو المالتسية الجديدة منتشرة فى تفكير كثير من الشعوب البدائية •

القيـــادة الكاريزميـــة :

هناك القيادة التقليدية ، ولو أن كبار السن يحصلون على الهيبة من مصادر أخرى وهى وظيفتهم الخاصة بنقل التراث وتطبيقه • كما أن هناك نوعا آخر من القيادة الكاريزمية (كلمة Charisma) كلمة يونانية تعنى الهدية المقدسة أو الروحية ، ونجد هذه القيادة مصدرها فى التقديس غير العادى الى شىء مقدس أو البطولة ، أو الاقتداء بأحد الأشخاص وتعليماته التى يكشف عنها أو يبتكرها • وليس من الضرورى دائما أن يكون القائد الكاريزمى قائدا دينيا فقد يمارس نفوذه فى المجال السياسى ، أو أن البطولة فى الحرب قد ترفعه الى صفوف القائد الكاريزمى •

وهناك عنصر آخر تتضمنه القيادة الكاريزمية وهو ما يتعلق بالافكار الدينية فوق الطبيعية ولو أن الجانب الدينى ليس الأساس • ويتضح ذلك العنصر من الاعتقاد بان القائد الكاريزمى يمتلك أو يمتلىء بقوة لا شخصية غامضة قد يطلق عليها حسنة أو مانا ، وهذه القوة هى السبب فيما يتمتع به من صفات غير عادية • فالرئاسة هى رئاسة لأن الرئيس يمتلك صفات تشير الى المانا التى يستمتع بها • وهذا الاعتقاد شائع كثيرا بين الشعوب البدائية وتختلف المانا عن السحر فالمانا مسألة أكثر عمومية أما السحر فمسألة محدودة ومحلية وشخصية •

ومفهوم المانا كقوة غامضة مع ارتباطها من تحريم أو قوة سلبية قد أثر فى التفكير الاجتماعى عند البدائيين بطرق مختلفة وبصفة خاصة فى أفكارهم عن القيادة والقرابة وغيرها • وليس من الضرورى أن يكون الرئيس هو الكاهن ، فالرئيس يكون رئيسا بسبب المانا وسيطرته على الطقس والمحصولات الزراعية وعمليات الطبيعة المختلفة وقد يفصل الرئيس وذلك حتى تنتقل سلطاته غير الطبيعية الى منافس ناجح بذلك يمكن أن تظل التربة خصبة • وبسبب الاعتقاد فى أن المانا التى يتمتع بها الرئيس أو الملك هى قوة تسيطر على الطعام والطقس أو الشفاء والمرض ، يتلقى القادة فى الشعوب البدائية هدايا فى مقابل المانا • وهذه هى المانا فى صورتها الايجابية •

كما أن للمانا أثارها السلبية • فقد يكون الملك مملوء بالمانا تماما حتى أن الشخص الذى يلمسه أو يلمس ممتلكاتيمرض فى الحال أو قد يموت • وعندما يتميز التفسير الاجتماعى البنائى بهذا الاعتقاد فان المانا تصبح اداة قوية للضبط الاجتماعى فهى تأخذ شكل رجل الشرطة أو الجندى أو انها تجعل هيبة الملك سهلة للغاية •

التكنولوجيا :

الانسان كائن ناطق أى انه مفكر وهو مدنى بالطبع أى أنه يعيش فى مجتمع ومعنى ذلك أن الانسان منذ القدم بدأ يحيا حياة اجتماعية وهو يفكر • وهو لا يفكر فيما حوله فحسب ، بل يفكر أيضا فيمن تربطه وأياه

علاقات اجتماعية ومعنى ذلك أول مظهر من مظاهر نشاطه كأنه نشاط جماعى •

والانسان أيضا كان صانعا • فهو يحاول أن يتكيف مع البيئة التى يعيش فيها ويحاول السيطرة على الطبيعة واستخدامها لصالحه ، ولذلك يصنع الأدوات لتساعده فى معيشته ، وهو لا يقف أمام الطبيعة بمفرده — بل مع غيره من أعضاء الجماعة التى ينتمى اليها فهو يعمل مع غيره ويتعاون مع باقى أفراد الجماعةفى تدبير حاجاته واشباعها • أى أن العمل المشترك هو الظاهرة الأساسية ، وكما أن التأثير الجماعى فى مظاهر الطبيعة مسألة موجودة — منذ نشأ الانسان على الأرض • فالصيد والرعى والزراعة كلها تتم داخل جماعات • وهذا — النشاط الجماعى صاحبه وصدر عنه مجموعة من الطاقات الاجتماعية المعقدة • كما أن التكنولوجيا بمفهومها البدائى البسيط التى تتمثل فى مجموعة من الأدوات الحجرية أو المعدنية هى النتائج الأولى لقهر البيئة ومحاولة استغلالها والحصول على خبراتها لصالح الجماعة •

ولذلك نستطيع القول ان أول مظهر من مظاهر التفكير البشرى كان مرتبطا بالتكنولوجيا التى كانت تستوحى من تنظيمات الانسان المتصلة بالعشيرة أو الجماعة أو المجتمع الانسانية والحياة الاجتماعية بصفة عامة • كما أن المقولات المنطقية التى يعتبرها علماء المنطق مقولات عقلية مبادىء أساسية هى فى الواقع مقولات مجتمعية ، نبعت عن التجربة الجماعية عند محاولة الجماعة اداء نشاطها للاتصال بالنظام الكونى الطبيعى ، ومحاولة الانسان تنسيق العلاقة بينه وبين الطبيعة لاستغلالها لامكان قضاء حاجات الجماعة أو العشيرة وأصبحت المدركات العقلية منبثقة من هذه العلاقة — علاقة الانسان بالكون — التى تعتبر مسألة ضرورية لكل حياة اجتماعية •

ويتضح من ذلك أن هناك ثلاثة عوامل لابد أن نأخذها فى الحسبان هى العلاقات — الاجتماعية والتكنولوجية ، والبيئة الطبيعية ، بينها علاقة التفاعل والتأثير المتبادل ، واذا أردنا فهم سلسلة التغير الاجتماعى

بطريقة تكاملية لابد من مراعاة هذه العوامل الثلاث ، واهمال أى عنصر منها لا يساعد على الحياة الاجتماعية .

ولا شك أن الفكر على اختلاف مستوياته هو محرك الطاقات الخلاقة للجماعات الانسانية وهو الأداة التى تحكم وتنظم وتنسق عناصر الكيان الفردى والمجتمعى وبقدر انطلاق الفكر فى آفاقه وتحرره من القيود والمعوقات بقدر ما يكون التوافق بين العوامل الثلاث للعلاقات الاجتماعية ، العامل الايكولوجى ، العامل التكنولوجى وبقدر خلاص المجتمع من خرافاته بقدر سيره فى طريق التقدم والرقى .

الاسطورة :

ان المعرفة الانسانية معرفة اجتماعية ، فأول نتاج فكرى انسانى — وهو الاسطورة البدائية — كانت تحكى تمثيليات وتصورات اجتماعية ، فقد كانت كل دوافعها الأساسية ومصادرها الرئيسية نابعة من ظروف الحياة الاجتماعية . فالاسطورة توضح أن الطبيعة فى ذهن الانسان البدائى هى صورة لعالمه الاجتماعى .

ولا نستطيع الموافقة على رأى عالم الاجتماع الفرنسى ليفى بريل ان العقلية البدائية غير منطقية فى تفكيرها أو متنافسة مع تفكيرها أو غريبة فى تصوراتها أو متناقضة فى تعليلاتها غير واعية بفكرة ثبات القوانين الطبيعية . وانما نوافق على رأى مالينوفسكى فى دراسته الحقلية الأنثروبولوجية حين قرر أن القواعد التى تتبعها الجماعات البدائية فى انتاجها والتى تبدو على أنها ممارسات سحرية مستقلة تمام الاستقلال عن الأمور الطبيعية . ومن الخطأ أن نزعم أن الانسان فى مرحلة مبكرة من راحل تطورة كان يعيش فى عالم مضطرب يختلط فيه الواقع ، أو تلتقى فيه المسائل الطبيعية بالمسائل الشعورية الادراكية . ان الانسان البدائى لا يلجأ الى السحر وشعائره الدينية لتقدم له العون والمساعدة الا عندما تنتهى معرفته وعندها لا يساعده جهده على بلوغ ما يصبوا اليه .

ولكن الفكر البدائى يختلف عن فكر الانسان الحديث فالفكر الحديث فكر تحليلى تصنيفى ٠

واننا نفصل بين الأنواع والسلالات والفصـائل ٠ غير أن الفكـر البدائى فكر مختلف عن ذلك ، فالحياة فى نظرة كل متصل مستمر ، وكان يجمع بين النزعتين العلمية والعملية على أساس ارتباطه معيشيا بهذين المجالـين ٠

ومن أوائل الفكر الانسانى محاولة التفكير فى نشأته كانسان وعلاقته ببيئته الطبيعة وبيئته الاجتماعة ، وكان يهدف من ذلك التعرف على الوسائل التكنولوجية التى تتيح له معالجة بيئته الايكولوجية عن طـريق التجربة والخطأ لامكان الحصـول على حاجاته المعيشية ٠ كما حاول التفكير فى أصل وجوده من خلال فهمة وتفسيره للعلاقات الاجتماعية والتنظيمات الجماعية والمشرية ومهما اختلفت التصورات الذهنية فهى كلها تلتقى فى نقطة واحدة هى تصور وحدة الوجود بين العالم الاجتماعى والعالم الطبيعى ٠ وهذا التصور للوجود الكلى ما لبث أن اكتسى بخلاف من طبيعة غيبية ؛ ليكتسب صفة القداسة وليكون الهاما للتنظيمات الجماعية ٠

الطـوطميـة :

وتراث الفكر الانسانى حافل بما يثبت صحة هذا القول ٠ فالعقيدة الطوطمية تمثل فى نظر كثير من علماء الاجتماع أبسط مظهر من مظاهر التنظيمات الاجتماعية الدينية ٠ وقد لاحظ علماء الانثروبولوجيا أن هذه الظاهرة سائدة عند سكان استراليا الأصليين ٠ وترتكز هذه التصورات الاجتماعية الدينية على الاعتقاد الراسخ بأن أفراد القبيلة أو العشيرة الطوطمية ينحدرون من أصل واحد من هذه الفصيلة الطوطمية فيعتقـد الانسان الطوطمى أن هناك رابطة حقيقية تصل وجوده المـادى والاجتماعى بأجداده الطوطميين ٠ وفى دراسة لاحدى القبائل الهندية المقيمة فى وسط البرازيل تبين أن الهندى يؤكد انه والحيوان الطوطمى الذى يقدسه شىء واحد فهم أنفسهم كانوا حيوانات مائية وببغاوات حمـراء ٠

كما أن عالم الاجتماع الفرنسي دور كايم أبرز في تحليله للطوطمية أن عبادة وتقديس القبيلة لرمزها الطوطمي انما هو تقديس للعشيرة أو القبيلة نفسها • أى انها تقدس مجموعة التنظيمات الاجتماعية التي تسير عليها البشرية في حياتها وفي علاقاتها الاجتماعية •

والدليل على ذلك أن الفكر الاجتماعي البدائي يرتكز أساسا على الاعتقاد المتين بوحدة الحياة الطبيعية والاجتماعية ، فيطمس كل الفروق بينهما وليس معنى ذلك أن الفكر البدائي يطمس كل الفروق من الناحية التجريبية الحسية ولكنه كان يعيش في اطار فكر اسطوري ديني ، يقضي بأن مجتمع الحياة أو المجتمع البيولوجي الحيوي لا يتمتع الانسان فيه بأى منزلة أرفع من منزلة أى كائن — نباتا كان أو حيوانا — فالناس والحيوانات والنبات كلها تقف في خط واحد •

كما أن الفكر البدائي لا يفصل بين الأشياء المقدسة ، فالمقدس لا يمتاز عن العلماني (أو الدنيوي) بالسمو والرفعة أو التأثير الخارق كما أن المقدس قد يصبح علمانيا ، والعلماني قد يصبح مقدسا وهكذا في الطقوس والممارسات التي يراها المجتمع •

ويقرر العلماء وعلى رأسهم دوركايم أن الحياة العقلية ومبادىء الفكر ترجع الى أصول الجماعة فالمقولات أو المبادىء العقلية مثل فكرة الزمان والمكان ، والجنس والعقلية والعدد والجوهر وما الى ذلك ترجع الى تنظيمات الحياة الاجتماعية نفسها فالتقسيم الزماني الى أسابيع وأيام وشهور يطابق التكرار الزمني لمواعيد الطقوس والأعياد والحفلات الجماعية العامة • فالتقسيم السنوي يرجع الى مصطلحات وأحداث وأوضاع اجتماعية • وكذلك الحال بالنسبة لفكرة المكان • فالتنظيم المكاني نتيجة التنظيم الاجتماعي : فالمكان ليس ذلك الوسط اللامحدود ولكنه تجسيد لأوضاع مكانية لها أهميتها الاجتماعية •

كما أن الفكر البدائي تصور «الزمن» وحدة كلية متصلة مستمرة فهناك وحدة متصلة يمكن أن تتعلق باتخاذ زمن الأحداث الاجتماعية والظواهر الطبيعية والأنشطة الحيوية • والأهم من ذلك هناك وحدة في

نظام التتابع بمعنى أن أجيال الناس تكون سلسلة واحدة لا تنقطع وعن طريق التجسيد والتناسخ تظل المراحل الأولى فى الحياة مستمرة ، كما يمتزج الحاضر بالماضى والمستقبل دون أن يكون بينهما خط حاسم •

والدليل على هذا القول أن الانسان البدائى لا يعترف بحقيقة الموت ولا يعتبرها ظاهرة طبيعية أو حيوية • فالوفاة عمل من أعمال الكهانة ، أو الانتقام السحرى ، وناتج عن العين الشريرة • فقد أوضحت الدراسات عن قبائل استراليا الأصليين أنها لا تعرف شيئا اسمه الموت الطبيعى ؛ ويبدو ان فكرة «فناء الانسان» فكرة غريبة عن الفكر الاجتماعى البدائى • وهذه الوحدة الزمانية تنعكس فى الفكر الاجتماعى السائد بين الجماعات التى فيها عبادة السلف وينطوى هذا اللون من العبادة على التسليم بفكرة الامتداد الزمنى بين الخلف والسلف • وتظهر هذه العبادة فى الصين القديمة وعند الرومان •

كل هذا يوضح ان الفكر البدائى تميز بخاصية أساسية هى الوحدة المتكاملة بين الحياة الاجتماعية والحياة الطبيعية والمملكة الحيوانية • وكان يعتبر الوحدة المكانية والزمانية ووحدة الحياة سبيلة فى مقابلة تحدى القوى الطبيعية وغيرها من القوى التى تواجهه •

وحينما كان يعجز الانسان فى معركة تحدى أى قوة ، كان الفكر الاجتماعى يسعفه بضمانات تحييد هذه القوى ، عن طريق عبادة مظاهر الطبيعة ، أو الدخول فى معاهدة مع الآلهه أو القيام بمجموعة الشعائر الجنائزية ، لمقاومة الخوف من الموت بعد أن أوضحت عنده أن الموت نهاية الحياة الدنيوية •

والفكر البدائى أعطى سمة من التقديس للعمل الانسانى ، فالعمل له قيمة أخلاقية فالبدائى لا يقف موقفا سلبيا بين الخير والشر ، بل ينبغى أن يفضل الخير وأن يبتعد عن الشر • كما أن العمل المنتج هو خير فى ذاته • فالرجل الذى يصطاد من أجل جماعته انما يؤدى واجبا اخلاقيا ودينيا •

وقد وضع الانسان البدائى نظاما من التحريمات Taboo بسبب حساسيته لاخلاقية العمل ويبدو أن ذلك كان محاولة لتحديد الواجبات الاجتماعية الواجب اتباعها فى المواقف والمناسبات فهناك تحريمات — خاصة بالعلاقة بين الرعايا ورؤسائهم الروحيين والسياسيين ، وتحريمات خاصة بالحياة والشئون الأسرية ، والاقتصاد ونظام الملكية . . . الخ .

مقـولات الزمـان والمكـان :

وأخيرا نشير الى مقولتى الزمان والمكان بصفة خاصة نظرا لأهميتها . ونوضح العوامل الاجتماعية الداخلية فى تكوينها .

يشير الدكتور أحمد أبو زيد فى الجـزء الثانى فى كتابه البنـاء الاجتماعى الى أن الدورة السنوية فى المجتمعات البسيطة التى ترتبـط مناشطها الاقتصادية والاجتماعية ارتباطا وثيقا بالظروف الجغـرافية السائدة فيها تدفع تلك المجتمعات الى اتخاذ نمطين مختلفين من التنظيم الاجتماعى نتيجة للتعارض الواضح بين هذه الظروف ؛ ويظهر هذا بوضوح فى الجماعات القبلية التى تعتمد فى حياتها على الجمع والالتقاط أو صيد السمك أو قنص الحيوان أو الرعى أو الزراعة . ويزيد من أهمية هـذا الموضوع ارتباط المقاييس الزمنية والمكانية فى الشعوب البسيطة بالمناشط الاجتماعية والاقتصادية . وهذا معناه ، أن الشعوب والمجتمعات لا تتبع نفس أسلوب التوقيت أو مقاييس المسافات المتبعة فى المجتمعات المتقدمة، فالزمان لا يقاس بالساعات والدقائق . والمسـافة لا نقاس بالاميـال أو الكيلو مترات وانما يقاس الزمان والمكان بنوع النشاط الذى يمارس فى وقت معين بالذات أو بوجود بعض الموانع الفيزيقية آبار أو مرتفعات فى المكان الذى يقصده المرء فالمقاييس التى يتبعها المجتمع الحديث المتقدم والتى تؤخذ على انها الزمان أو المكان المخصص لا تعتبر أهمية أو جدوى بالنسبة للمجتمع البسيط أو البدائى لأنها تتفق وبقية ايقاعات الحياة .

وقـد أدى ذلك الاختلاف فى النظرة الى الزمان والمكان بكثير من الكتاب الأوربيين الى الاعتقاد بأن الشعوب البدائية ليس لديها فكـرة

عن الزمان وأنها لا تستطيع أن تقدر بالضبط المسافة التى تفصل بين مكانين بدقة ، وهو اعتقاد غير دقيق تماما • فكل شعب له مفهوماته وتصوراته وطرقه الخاصة لقياس الزمن ، وكلها تختلف الى حد كبير عما نجده فى المجتمعات المتقدمة نظرا لاختلاف المناشط وايقاع الحياة •

ومن هنا كان اهتمام علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية بتبين المعانى الاجتماعية لمفهومى الزمان والمكان فى المجتمعات التقليدية ودراسة المقاييس التى تستخدم فى تلك المجتمعات وأوجه الخلاف بينها وبين ما نجده فى المجتمعات الحديثة •

ويمكن أن نرد الاهتمام بهذا الموضوع الى كتابات اميل دوركايم من ناحية ومارسيل موس من الناحية الأخرى • وقد تعرض دوركايم لهاتين الفكرتين فى مقدمة وخاتمة كتابه عن (الصور الأولية للحياة الدينية عند البدائيين) ففى هذا الكتاب يتابع دوركايم فكرته الأساسية من أن المقولات جميعا ومنها الزمان والمكان تنشأ عن الدين وبالتالى عن المجتمع ذاته • والواقع كما يقول دوركايم من الصعب على المرء أن يتكلم عن الزمان الذى هو ليس تتابعا للسنوات والشهور والأسابيع والأيام والساعات • صحيح أن تجربتنا السابقة وتذكر الأحداث التى يرى بها الفرد تساعد على فهم الزمن ، ولكن مفهوم الزمان لا يتألف فقط من تذكر كل أحداث تلك الحياة الماضية مهما بلغ ذلك التذكر من الكمال • فالمهم فى نظر دوركايم «زمنى» شخصيا ، وأما المهم هو الزمان فى عمومه كما يتصوره جميع أفراد المجتمع أو جميع الأشخاص الذين ينتمون الى ثقافة معينة : وهذا كفيل فى حد ذاته بأن يبين لنا أن فكرة الزمان فكرة جماعية يضاف الى ذلك ان الملاحظة الدقيقة تدلنا على أن جميع العناصر التى تستعين بها لمعرفة الوقت مستخدمة هى أيضا من الحياة الاجتماعية ذاتها • فالتقسيمات المتعارف عليها بين الناس الى أيام وأسابيع وشهور وسنين وغيرها انما تتفق كل الاتفاق مع الشعائر والحفلات والمراسيم على فترات مرسومة • فكل التقاويم التى تعترف بها المجتمعات ليست سوى تعبيرات عن رتابة المناشط الاجتماعية ويؤكد الانتظام حدوثها • فمقولة الزمن تعبر

عن الوقت المشترك بين الجماعة ككل . فهو بذلك زمـان اجتماعى له كل مقومات النظم الاجتماعية .

لقد كانت المشكلة الرئيسية التى اهتم بها العلماء هى كيـف أمكن للانسان فى المجتمعات المختلفة الوصول الى هذه الفكرة ومدى ارتباطها بتجارب هذه الشعوب والمجتمعات فى حياتها اليوميـة .

الواقع ان مفهوم الزمان يتضمن نوعين متمايزين من التجربة الأولى هى فكرة التكراركل تكرار وتتابع الساعات والأيام والأسابيع والفصول وما الى ذلك . والثانية هى فكرة الاستمرار التى نستمدها من احساسنا بأن الأشياء الحية تولد وتنمو وتهتم ثم تموت . ففكرة الزمان فى ذاتها ترجع لدى كل الشعوب والمجتمعات الانسانية الى ادراك هذه الشعوب والمجتمعات للظواهر الطبيعية التى تعيش فيها والتى تتكرر . ان عملية الحياة ذاتها لا يمكن ارجاعها الى الوراء بحيث تسير فى خطوات عكسية وهذا يصدق على كل الشعوب بغض النظر عن كل مسـتوياتها الثقافية واختلاف الوسائل والأدوات التى تتخذها لقياس الزمن . وهذا لا يمنع من أن بعض المجتمعات البدائية لا تنظر الى الوقت على أنه مجرد تتابع فترات زمنية متلاحقة وأنه بالأحرى سلسلة من التذبذب أو التراوح بين شيئين متقابلين كالليل والنهار أو الصيف والشتاء ، أو الجدب والرخاء ، والشباب والشيخوخة ، أو الحياة والموت . وربما هذه كانت أبسط الوسائل التى استطاعت بها الشعوب البدائية فهم ومعرفة مرور الزمـن .

وهناك دراستان فى الانثروبولوجيا الاجتماعية لفكرة الزمـان فى اثنين من المجتمعات البدائية والتقليـدية الدراسـة الأولى للأسـتاذ ايفانزير يتشارد والثانية للدكتور أحمد أبو زيد .

وقد درس أيفانزير يتشارد الزمان عند النوير ، وحاول أن يدلل على أن مفهوم الزمان عندهم حددته لهم نفس الظروف البيئية التى يعيشون فيها . وقد ميز بين نوعين من الزمان الأول هو ما تطلق عليـه الزمـان الايكولوجى ويقصد به كل التصورات التى هى انعكاسـات لعـلاقات الناس بالبيئة والثانى هو الزمان البنائى ويقصد به التصـورات التى

هى انعكاسات بعلاقة الناس ببعض في البناء الاجتماعى وكلا النوعان يشير الى تطلع الأحداث التى لها أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع ، والزمان الايكولوجى هو زمان دورى بمعنى أنه يتكرر دائما فى شكل دورات • مثل الدورة السنوية التى تنعكس فيها تغيرات الطبيعة واستجابات الناس لهذه التغيرات • ولذلك لا يمكن استخدام الزمان الايكولوجى فى التمييز بين فترات زمنية أطول من الفصول التى تنقسم اليها السنة • وهى عند النوير عبارة عن اثنين هما فصل الجفاف وفصل المطر • أما الزمان النهائى فهو زمان تقدمى أى أنه يسير فى خط واحد مستمر ولا يكاد يتكرر •

والدورة الايكولوجية عند النوير هى السنة ، وتمتاز بايقاع خاص يتميز فى تحركات الناس الفصلية بين القرى ومخيمات الماشية استجابة لثنائية الظروف المناخية • والواقع أن هذه المناشط الاجتماعية التى ترتبط بالتغيرات الموسمية هى الأساس الأول الذى تقوم عليه فكرة النوير عن الزمان وهم يعتمدون فى تقدير الوقت أو مقياس الزمن على بعض العوامل الايكولوجية التى تتحكم الى حد بعيد فى تحركات الناس ، ولعل أهم هذه العوامل هو مدى وفرة الماء وجودة العشب والنبات على العموم ثم وجود السمك فى النهيرات والمستنقعات • فاحتياجات الماشية والتغيرات التى تطرأ على موارد الطعام تترجم الايقاع الايكولوجى الى ايقاع اجتماعى أثناء السنة فالنوير لا يستخدمون أسماء الشهور مثلا فى الاشارة الى الأحداث الماضية وانما يربطونها ببعض أوجه النشاط البارزة التى كانوا يمارسونها بالفعل وقت وقوع هذه الأحداث مثل الانتقال من القرى الى مخيمات الماشية أو البدء فى حصد الذرة وما الى ذلك • فالزمان بالنسبة لهم علاقة بين أنواع مختلفة من النشاط الاقتصادى أو الاجتماعى • ومن هنا كان النوير يتخذون من المراحل المختلفة التى تمر بها زراعة الذرة مثلا ونضج المحصول اشارات وعلامات لتحديد الزمن • كذلك قد يلجأ الناس فى تحديد الزمن الذى وقع فيه الحدث الى ربطه بحدث آخر هام واقع فى نفس الوقت أو باحصاء عدد مرات القدوم ، أو مرات ظهور الشمس منذ وقوع ذلك الحادث •

ويعتمد النوير فى تحديد الزمن على الأعمـال والمناشـط العـادية الرتيبة التى يقومون بها فى حياتهم العادية فمرور الوقت بالنسبة للنوير هو عبارة عن تتابع الأعمال المختلفة وعلاقتها أحـدها بالآخـر ، مثـل الماشية من الحظيرة الى الأكـواخ وحلب البقر وارسـال القطعـان الى المراعى وعودة الماشية وحلبها للمرة الأخيرة فى المسـاء ثم ادخالهـا فى الحظائر وهكذا . فالرجل منهم يقول سأعود عند حلب اللبن أو سأرحل عندما تعود العجول الى المراعى وهكذا . واذا كان الزمان فى عمومه هـو العلاقة بين المناشط الاقتصادية والاجتماعية المختلفة فيجب أن نفهـم فى الوقت ذاته أن له مفهوما يختلف فى فصل الجفاف نظرا لرتابة واتسـاق ودقة التوقيت الزمنى أثناء الجفاف . ولكنهم يجدون من الصعب تحديد العلاقة بين الحوادث فى رموز عددية مجردة فهم يفكرون دائما بالاشارة الى المناشط الاجتماعية والى تتابع هذه المناشـط وكذلك الى البنـاء الاجتماعى والى الفوارق البنائية .

ان أكبر وأطول وحدة للزمان الايكولوجى عندهم السـنة وتوجد عند النوير ألفاظ تشير الى السنة الماضية والسنة قبل الماضية والسـنة الحالية والسنة القادمة ثم السنة التى تليها أو فيما وراء ذلك ان مسألة التوقيت الدقيق تكون بالاشارة الى البناء الاجتماعى والتنظيم الداخـل فى تكوينه . أى لابد من الاعتماد على النظام الاجتماعى وخاصة طبقات العمر . فالنوير يذكرون أن حادثة ما وقعت بعد تكوين طبقة عمرية معينة مثلا أو اثناء فترة تكديس طبقة عمرية أخرى ولكنهم يعجزون عن تحديد عـدد السنوات التى مـرت على هـذه الحادثة . فالزمـان يحسـب بطبقات العمر ويمكن أن نقـول ان الفترة التى تنقضى بين بداية طبقتين متتاليتين هى عشر سنوات تقريبا مما قد يساعد فى النهاية على الوصول الى تقدير تقريبى للزمن الذى مر على الأحداث السابقة .

والشىء نفسه يصدق على فكرة المكان . فلقـد اهتم بعض علمـاء الاجتماع وبخاصـة فى فرنسا بما سموه بالمكان الاجتمـاعى تمييزا له عن المكان الهندسى وتابعهم فى ذلك بعض العلماء الأمريكين مثل سـوروكين وقد تعرض دوركايم لفكرة المكان فى كتابه عن « الصورة الأولية للحياة

الدينية » وعرض للفكرة بنفس الطريقة التى اتبعها فى دراسة « الزمان الاجتماعى » ان الشىء الذى يساعد على وضع وتحديد الأشياء والتمييز بينها فى المكان هو اختلاف جزئيات المكان بحيث يمكن وضع الأشياء بطرق مختلفة بحيث يكون بعضها الى اليمين وبعضها الى اليسار ، والبعض الى أعلى والبعض الآخر الى أسفل ، والبعض الجنوب أو الشمال ، والبعض الآخر فى الشرق أو الغرب وهكذا . فالأمر أشبه بطريقة توزيع الأشياء وتحديدها فى الزمان حيث يقتضى الأمر وجود تواريخ محددة . وهذا معناه أن المكان مثل الزمان قابل للتقسيم والتمييز بين انقسامه وهذا لن يتيسر الا فى المجتمع والحياة الاجتماعية .فالمجتمع يعطى قيمة معينة لكل اتجاه من الاتجاهات المعروفة كالشمال أو الشرق أو اليمين أو اليسار ، ثم يمد هذه القيم الى المواقع المكانية المختلفة . ونستطيع تقريب فكرة المكان من الاذهان اذا ذكرنا تصور بعض القبائل الاسترالية وبعض قبائل الهنود الحمر فى أمريكا للمكان من أنه دائرة واسعة فالواقع ان هذه القبائل تستمد هذه الصورة للمكان من نفس الطريقة التى تنظم بها معسكراتها . فهى تقسم مخيماتها فى العادة فى شكل دائرة ثم تتم هذه الدائرة المكانية بنفس النظام الذى نقسم به الدائرة القبلية وعلى صورتها بل أنها تميز بين عدد من المناطق تتساوى تماما مع عدد العشائر التى تنقسم اليها . وذلك بالاضافة الى الموقع الذى تمثله كل عشيرة داخل المعسكر هو الذى يحدد اتجاه هذه المناطق مع تمييز كل منطقة عن الأخرى عن طريق الطوطم الذى تنتمى اليه كل عشيرة ، وواضح أن تقسيم المكان يختلف من مجتمع لآخر مما يدل على ان هذه التقسيمات انما يستمدها المرء من الحياة الاجتماعية ذاتها وليس من طبيعة الانسان الذاتية (١) .

---

١ — انظر د . احمد الخشاب نفس المرجع السابق .

الفصل الثالث

الفكر الاجتماعى
فى المجتمعات الشرقية القديمة

تتميز المجتمعات الشرقية القديمة بأنها مجتمعات تاريخية ، أى أن لها تاريخا مكتوبا ، وذلك بفضل تقدمها وانتقالها من مرحلة الصيد والترحل من مكان خصر الى مرحلة الزراعة وما تتطلبه من استقرار وتنظيم اجتماعى ، كانت مجتمعات متقدمة من النواحى الفنية والتكنولوجية وتركت لنا آثارا مادية تدل على ما كانت فيه من حضارة • وعرفت نظام التخصص وتقسيم العمل الاجتماعى • ويمتاز البناء الاجتماعى لهذه المجتمعات بوجود نظام التدرج الطبقى واستناد النظام السياسى والاقتصادى على أساس دينى • ويعتبر الفكر الاجتماعى انعكاسا للبناء الاجتماعى والمثل الاجتماعية التى ارتضاها المجتمع فى ذلك الوقت •

وسنتناول ثلاث حضارات قديمة هى مصر وبابل والصين :

أولا : الفكر الاجتماعى فى مصر القديمة :

نستطيع تحديد ملامح التفكير الاجتماعى فى النواحى التالية :

١ ــ التدرج الطبقى :

كان البناء الاجتماعى مرتكزا على تقسم طبقى فى قمة هذا البناء الطبقى يجلس الفراعنة باعتبارهم حكاما سياسيين آلهة أو أشباه الآلهة أو منحدرين عن الآلهة ولذلك كانوا يجمعون فى أيديهم بين السلطتين الزمنية والدينية • ويلى هذه الطبقة طبقة الكهنة الذين يقومون بالخدمة فى المعابد ، ثم طبقة قادة الجيش القائمون على حراسة الأماكن المقدسة ثم طبقة الفنيين والصناع وأخيرا طبقة الفلاحين • ويرتكز هذا النظام

كله على النظام الدينى وعندما يتغير النظام الدينى تتغير النظم السياسية والاقتصادية والعكس أيضا صحيح .

ويرجع ذلك الى أن الفكر الاجتماعى كان يصور الآلهة المحلين لأعلى أساس أنهم مجرد آلهة وانما أيضا قادة حربيين ورؤساء سياسيين أى أن الاله له السيطرة على كل النواحى الدينية والحربية والسياسية . فاذا انتصرت مدينة على مدينة أخرى فان آلهة المدينة الغالبة تصبح الآلهة الأكبر بالنسبة لآلهة المدينة المغلوبة.ولذلك كانت فكرة التوحيد فى الديانة المصرية القديمة سارت جنبا الى جنب مع فكرة الوحدة السياسية للدولة المصرية القديمة ؛ فبعد أن وجد الملك مينا الوجهين القبلى والبحرى تحققت فى عهده الوحدة الدينية .

وبذلك أصبح للسلطة الدينية سلسلة مركزية فى النواحى السياسية والاقتصادية . وقد ساعد هذا الأمر على نشأة تشريعات وقوانين عامة بالنسبة للدولة ، هذه القوانين صارت تحكم سلوك الأفراد وعلاقتهم ومعاملاتهم بعضهم ببعض . ويتضح من كل هذا أن التفكير الاجتماعى كان يحمل فى ثناياه بواكير النضوج التشريعى والقانونى الى جانب بواكير التنظيمات الاجتماعية .

٢ ـ الأفكار الاقتصادية :

أثبتت الوثائق التاريخية ان الفكر الاجتماعى قد أهتم بفكرة الملكية وكان نظام الملكية يرتكز على حقوق الهبة فلا يجوز للفرد امتلاك المعابد . فلم يكن الكهنة ملاكا وانما كانوا يستغلون الحقوق الزراعية لصالح الهيئات الدينية . وكان كبار الملاك يمنحون الكهنة بعض الأملاك بقصد الصلاة على أرواحهم وتقديم القرابين بعد وفاتهم . ويعمل بالأرض الفلاحون وهم يكونون طبقة انصاف الأحرار وعرف المجتمع فى ذلك الوقت نظام العبيد الذين تنتقل ملكيتهم بالميراث . فقد كان الرق مشروعا بالنسبة للزنوج وأسرى الحرب من الأجانب .

٣ ـ الأفكار الدينيـــة :

كانت الطقوس الدينية لقدماء المصريين تعكس حياتهم الاجتمــاعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والفنية . كما كانت السلطة السياسية ترتكز على الحكــومة الدينية التى جعلت من الفراعنـــة آلهة وجعلت من الكهنة طبقة الاشراف المثقفين والقضاء .

وكان لكل عشيرة معبودها الذى يحميها وقد أدى اتحاد العشائر الى اتحاد هذه المعبودات المتعددة . ولذلك كانت الأســاطير القديمة تحكى التحالف السياسى أو التنافس الاقليمى ويتضح من ذلك أن التفكير الدينى كان يتأثر بالظروف السياسية والأوضاع الاقتصادية .

وقد نشأت فلسفات دينية تفسر خلق العالم ونظامه الاجتمــــاعى والدينى فى المعابد المركزية مثل هليوبوليس ومنف وطيبة .

وكان الآلهة الوظيفيون يجسدون اهتمامات المجتمع المصرى القديم فمصر كبلد زراعى يحتاج الى ضــمانات لنجــاح الانتــاج الزراعــى والحيوانى . فكان هؤلاء الآلهة خبراء فنيين يضمنون التقدم فى الزراعة وتربية الحيوان . فهناك اله للأرض يدعى « نوت » ويتبع هذا الاله عدد من أرواح الآلهة ومنها حابى الذى يروى الأرض كما أن هناك اله للحبوب وآخر للحصاد .

وبسبب الاهتمام بالثروة الحيوانية قدست بعض الحيوانات مثــل العجل أبيس فى منف وكبش آمون فى طيبة وغير ذلك .

غير أن تقديس هذه الفصائل الحيوانية كان له أهمية خاصة عنــد العامة دون الخاصة . الأمر الذى يوضح أن الاعتبار الاقتصــادى يكمن وراء تقديسها . وكانت الاساطير الدينية تدعم هذا التقديس وقد نشأت التربية فى أحضان الدين . فقام الكهنة بوظيفة التعليم مرضاة للالهة الى جانب تقديس الأدب واجلال العلم . فكان الكاهن يعلم أبناء حيه وجيرانه فى مكان ملحق بالمعبــد كما تكفلت الدولة باقامة نظــام تعليمى ودينى فأنشأت دور التعليم المختلفـــة .

وكل هذا يوضح أن التفكير الاجتماعى مصطبغا بالصبغة الدينية .

٤ ــ التامــلات القــانــونية :

اهتم التفكير فى مصر القديمة اهتماما بالغا بالناحية التشريعية فأوراق البردى والنقوش على جدران المعابــد كلها زاخرة بالقواعد القانونية . وقد وحــد الملك مينا القوانين المصرية وجعل قانون «تحوت» سائدا فى الوجهين القبلى والبحرى كما عرف المصريون القدماء كثيرا من النظــم الدستورية والمنظمات السياسية على مســتوى الدولة ، ومارسوا نظام اللامركزية على أساس أن المدينة تؤلف وحــدة سياسية متكاملة .

٥ ــ الطــوطمية فى مصر :

كان السكان القدماء صيادين رعاه دخلوا وادى النيل منذ عشرين ألف سنة وأحضروا معهم أشهر مبدأ من مبادىء التنظيم وهو الطوطمية ويتكون جوهرها من الادعاء بأن كيانا ماديا غير بشرى قــد يكون غــير عضوى وقد يكون عضويا فى أغلب الأحوال هو جــد الجماعة القرابية ويطلق اسم هذا الكيان على الجماعة أو أعضائها أو الاثنين معا . وهناك خصائص أخرى ، والطوطم دائما حيوان ولا يمكن أن نقتله أبدا أحفاده أو سلالته من البشر الا فى حالة الطقوس الدينية كما أن هؤلاء الأحفاد يحتفلن بتحريم الزنا . ولا يدعى بيكر وبارنز أن الطوطميــة مســألة أساسية أو ذات أهمية بالغة فى حياة الشعوب البدائية فكل ملاحظاتهــا تنطبق فى المحل الأول على الظواهر المصرية كدليل على وجود نسق من التفكير الاجتمــاعى .

وقد ترك سكان الوادى كثيرا من الصور توضحهم وهم يصطادون ويحاربون أو يعملون فى الزراعة فى حضور بعض الرموز من بينها الصقور والبقر والفيله وغيرها . وهناك رأى علمى ينسب اليها أهمية طوطمية فهى تشير الى عشائر طوطميــة .

وفى كثير من الجماعات الطوطمية ، الحكم الاستبدادى يمارسه عدد من الأفراد كبــار الســن .

والتقاليد الدينية المسجلة فى مصر القديمة تشير الى ماضى لا يبتعد كثيرا من بداية العصور التاريخية (٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد) حيث جماعة من كبار السن هى التى تمارس الحكم وهذا يثبت أن التنظيم الطوطمى كان له نفوذ فى مصر فى عصور ما قبل التاريـخ .

٦ ـ أسـطورة أوزيريس واهميتهـا الاجتماعيـة :

كثيرا من الملوك أطلقوا على أنفسم خدام حوريس وهو لقب له أهميته العظيمة بالنسبة لعلاقة فرعون باسطورة أوزيريس . فالاله حـوريس هو اله النور والسماء وهو يقيم فى كل المملكة السماوية ، فهو الصـقر (وقد كانت العلامة التى تشير الى فكرة الآلهه هى رسم الصقر) . والى جانب خدام حورس الذين كان لهم النفوذ فى مصر السفلى كان هناك عدد آخر من الملوك الذين يظهرون الولاء والانتماء الى «ســت» ويبدو هذا الآله فى صورة مختلفة فأحيانا فى صورة بقر الوحش وأحيانا فى صـور الكلب السلوقى ، وأحيانا فى صور آكل النمل . ويبدو أن هذه الحيوانات كانت فى الأصل طوطم لعـدد العشـائر كانت تقيـم فى مصر العليـا ونجحت فى بسط نفوذها وسيطرتها على كثير من العشـائر فى هـذا الاقليم . وأصبح الاله ســت يرمز الى القوى التى تضاد وتعارض . خدام حورس اله النور والسماء ، أما قوة ســت نفسه فتتمثل فى الظلام والرعد والعواصف ورياح الخماسين الصحراوية وعنـد غروب الشمس واختفاء القمر يعمل ســت على تمزيق عيون حورس ينتقم حورس لنفسه بأحضار ســت . ويعتقد العالم موريث أن الاسـطورة تسجل فترة من المعارك والصراعات قبل عصر الملوك بين الدلتا حيث الاله حورس والوادى حيث الاله ســت والأمر الجدير بالذكر أن الاله تحوت الذى كان يتدخل بين الفريقين والذى كان يضمد جروحها لجأ الى هوليوبلس التى تقع عند ملتقى مصر العليا بمصر الدنيـا .

وبعد سلسلة من المعارك أخلى حورس مكانة لأوزيريس شقيق الأب وايزيس أخت الأم وحوريس طفليهما . ويبـدو أن أوزيريس هى الاله لمجموعة من Momas فى الدلتا تتأثر بطقوس الاخصاب وكان ســت يذبح أخاه ويقطعه الى عدد من القطع ولكن ايزيس تجمع القطع معا وتمارس

سحرها وتعيد حورس الى الحياة • وقد اختفى حورس الكبير من الديانة المصرية واحتل مكانه حوريس الطفل •

وتفسر الاسطورة على النحو التالى :

أوزيريس ملك الدلتا يمثل ويرمز الى هؤلاء الرؤساء الذين يركزون فى شخصيتهم سلطة العشيرة •

وعندما عرفت العشائر حياة الاستقرار وأصبحت القوة متمركزه فى أوزيريس تغيرت عادات الزواج • وبسبب الارتباط بالأرض كف الرجل عن الخروج من العشيرة للبحث عن زوجته فقد حل الزواج الداخلى محل الزواج الخارجى • وتزوج أوزيريس من أخته ايزيس وارتبط هذا الزواج بالهيبة المقدسة واستمر فى تمييز الحياة المصرية • وأصبح هذا النظام فى الزواج يميز انتقال المجتمع من النظام الأموى حيث تعتقد كل أمرأه فى العشيرة ان الطوطم يلحقها الى النظام الأبوى حيث الزوج هو الأب الحقيقى •

ومع ذلك فقد احتفظت اسرة أوزيريس ببعض الآثار المتعلقة بالنظام الاجتماعى السابق واستمرت فى المجتمع المصرى •

ويرى بانزوبيكر ان الاسطورة تمثل الانتقال من نظام العشيرة الى نظام العائلة والانتقال من سلطة المجتمع المحلى الى سلطة الفرد • وهذا السبب فى أن الملك أوزيريس الأساس فى قيام النظام الملكى كما تشير الى حكمه باعتبار أقدم نمط من أنماط الحكومة القانونية المدنيــة •

ولكن أهمية أوزيريس أعظم من ذلك فهو اله للخصب يرمز الى الطمى الذى يحمله النيل كما يرمز الى الفيضان السنوى ولاحتفاظ بجسد أوزيريس ضرورى للغاية اذا أراد أن ينجب من ايزيس ابنة حورس • وهذا يفسر العناية الفائقة بأجساد الفراعنة بعد موتهم •

والفرعون يقلد سيده أوزيريس الذى يروى الأرض بالماء وفى اللحظة التى يبدو أن ست ينشر الشر عندما يجف النهر وتصبح الأرض

السواء مسحوقا يرمى فرعون أمرا مكتوبا فى النهر كى يفيض مره أخرى ومن ثم يرتفع المـــاء •

والفرعون عظيم فى جلاله أكثر من أوزيريس وأكثر من حورس وقد وضع علماء الفلك المصريون فى هليوبوليس تقويما سنويا واختاروا نقطة البداية منتصف يونيو وهو موعد فيضان النيل • وهوليوبوليس هو الاسم اليونانى الذى يطلق على المدينة المصرية التى تدعى بيت رع الى درع هو الابن المصرى ، بابن له وأصبح فرعون يرمز الى شخص رع وأوزيريس وحورس عند تتويج الملك يصعد الى عرشه كالشمس فى السماء ، وخلال أسلوب من التفكير يصعد الملك يوما ما مؤكدا اعادة ظهور ملك الخـــير •

(ب) الفكـــر الاجتمـــاعى فى بـــابـــل :

١ ــ التـــدرج الطبقـــى :

كان الكلدانيون ــــ وهم أقدم سكان بابل متخصصين فى الطقـــوس الدينية ويقضون حياتهم فى التأمل والفلسفة ويلجأ اليهم العامة فى تفسير أحلامهم • ولذلك كان مقامهم عاليـــا • يؤلفون طبقة معفاه من الضرائب والالتزامات العـــامة •

ويلى هذه الطبقة طبقة الجند •• وكانت الظروف هى التى تطلبت أن يحتل الجنود مكانة مرتفعة لأن أشـــور كانت مملكة شاسعة بعيـــدة الحدود مؤلفة من عناصر مختلفة ولذلك لابد من أن يكون الحكم قويا يعتمد على جيش قوى • وانعكس هذا الوضع فى الفن الآشورى •• فاللوحات التى تركوها تمثل أفظع وأبشـــع المواقف فى معـــاملة الأعـــداء واسرى الحـــرب •

وكان الملك على قمة هذا البناء الطبقى فهو الذى يقود جيوشه وهو بمثابة الاله الأعظم «أشـــور» على الأرض وكان الملك يؤلف كل ســـنة جيوشا لاستتباب الأمن فى البلاد • وتعسكر الجيوش خارج كل مدينة ثم تسرح كل عام وتعود الى أوطانها •

وتتألف طبقة العامة من التجار والفلاحين ويتميزون عن غيرهم بأنهم كانوا حفاة الأقدام وعراه الرؤوس بخلاف الكهنة ورجال القصر الذين يرتدون القلانس التى تختلف اشكالها باختلاف الوظائف والمراكز . وكان لبس الشعار مقصورا على الأمراء ورجال الحرب ولكل شخص من الطبقات العليا زخرف رمزى يستخدم للتوقيع .

٣ ـ الديانة السومرية :

يقوم الدين السومرى على موجموعة كبيرة من الآلهة مرتبة على نسق التثليث وهناك مجموعة أخرى الاهيه تعبر فى الواقع عن الصفات التى تصف بها الآله الأم . وهناك آلهة الخصب ويرتبط باسطورة الموت والبعث الذى يموت شتاء ثم يعود فى الربيع وهناك أيضا طبقة من الآلهة المحربة كان للمدن المختلفة آلهة محلية على نحو ما نجده فى مصر القديمة مثلا .

ولم يكن الاشوريون يميزون بين الآلهة والملوك وكان احترامهم للملك اشبه بالعبادة لم يكن احد من أفراد الشعبيجرؤ على توجيه الكلام اليه . وكان الملك هو المصدر الذى تنبعث عنه كل ما يختص بالمسائل الدينية والحربية .

وهناك دلائل تشير الى انتقال الديانة الكلدانية الى الاغريق عن طريق آسيا الصغرى كما كان الشائع عند البابليين نظام تعدد الزوجات .

العلم عند الكلدانيين :

سجل الكلدانيون أفكارهم فى مصنفات شاملة التاريخ والدين والاساطير . كما احتوى كثيرا من الآراء الدينية والتشريعية كما تركوا بضع معلومات فلكية ورياضية ومجموعة مشوشة من التنجيم والسحر .

(جـ) الفكر الاجتماعى فى المجتمع الهندى القديم :

تعتبر الاشعار الهندية القديمة المعروفة باسم « ماها بهارتا » من

اقدم المصادر الهندية التى تعكس الافكار الاجتماعية للحضارة الهندية القـــديمة .

وكانت الافكار الاجتماعية والسياسية ممتزجـة بالقواعـد الدينية والممارسات الطقوسية وقد ورد فى تعاليم « مانو » ان الآله براهما خلق الملوك مزودين بمجموعة من العناصر للقوى المقدسة التى اصـطنعت من الوهج أو النار المقدسة ويتضح من ذلك ان السلطة السياسية من طبيعة دينية لانها مستمدة من سلطة الآله الأكبر « براهما » .

كما نصت تعاليم مانوا على تقديس طبقة رجال الدين من البراهمة. وأوجب على الملوك احترامهم ، وجعلت املاكهم مقدسة لا يعتدى عليها ولا تفرض عليها جزية .. وهم اعوان الملوك فى سلطاتهم .

ويرتكز التنظيم الاجتماعى للمجتمع الهندى القديم على التفاوت الطبقى الذى أرسى الدين قواعده ونظم علاقة كل طبقـة بالطبقـات الأخرى . ويرتكز هذا التنظيم على دعـامتين الأولى : توارث المركـز الاجتماعى الذى لا يمكن أن يتغير والثـانية : ضرورة مراعاة العـرف والتقاليد التى تلتزم بها كل طبقة فلكل طبقـة التزامـاتها ووظـائفها الاجتماعية التى جاءت من وحى الاله براهما .

ويقف على قمة السلم الطبقى طبقة البراهما ، وهى طبقة رجـال الدين وهى طبقة نصف مقدسة تمارس الطقوس الدينية بقصد حمـاية الانتاج الزراعى وزيادته وقد فرضت عليها التعاليم المانوية خضـوعها لكثير من التحريمات ، فحرمت عليها الزواج أو الاختلاط بغـيرهم من سلالات وخاصة من القبائل التى كانت تسكن الهند قبل هجرة البراهما اليها . وبذلك بقيت طبقة البراهما — وهى الغازية فى عزلة أرستقراطية عن بقية الطبقات التى تؤلف المجتمع . وقد ظل هذا اللون من التفكير الاجتماعى مسيطرا على المجتمع الهندى حتى ظهر المصلح الاجتماعى « ساكيامونى » صاحب التعاليم الدينية المقدسة التى عرفت باسـم الديانة البوذية وتمثل تعاليم بوذاثورة جذرية على الأسس الاجتماعية التى ارتكزت عليها الديانة البراهمية .

ودعت البوذية الى القضاء على مظاهر المغالاة فى التفرقة بين الطوائف من حيث الحقوق والالتزامات غير أنها انتهجت طريقا سلبيا يتمثل فى محاولة الفرد الخلاص من نزواته وشهواته الملحة • غير أن البوذية تتألف من مجموعة من القواعد السلوكية العملية التى يجب على الفرد الالتزام بها لكى يحيا حياة فاضلة خالية من الآلام والآثام•ولذلك امتزجت البوذية ببعض الآراء الصوفية ومعنى هذا أن البوذية أبعدت الناس عن التفكير فى شئون الحياة الدنيوية والحقوق والواجبات ومع ذلك فقد أعلنت فى نفس الوقت مبادىء الانسانية التى تدعو الى عدم التفرقة بين الطبقات ، فهناك قانون أبدى أطلق عليه مصطلح (الكرماء) ووفق هذا القانون وجد الناس متساوين فى الخلقة والحقوق بقدر مساواتهم فى حظوظهم من الآلام لأن الوجود مرتبط بالألم والرغبة فى الحصول على أى شىء ينطوى على عنصر الألم الملازم لهذه الرغبة • ومن ثم كان التقصد فى الرغبات والشهوات وسيلة للتقليل من عناء الحياة •

فالتفكير الاجتماعى البوذى ذو طابع أخلاقى سلوكى على خلاص المجتمع الهندى من براثن النظام الطائفى عن طريق هدم العقيدة البراهمية وأثبتت البوذية بالتفسيرات العقلية لاسفار الفيدا أن كل الطبقات تتساوى فى طبيعتها الحيوية والاجتماعية وأن فى استطاعة أى انسان مهما كانت الطائفة التى ينتمى اليها أن يكتسب هذه الصفة عن طريق بعض الفضائل السلوكية العملية هى الاستقامة والتأمل والحكمة •

ولكن التأملات البوذية لم ترق بتفكيرها الاجتماعى الى حد استخلاص مفاهيم أساسية فى النظريات السياسية أو الحقوق المدنية بل حاولت صبغ السلوك والنشاط الفردى والجماعى بصبغة صوفية ذات مسحة دينية • ولم يصل المجتمع الهندى القديم فى تفكيره الى التنظيم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الذى بلغته المدينة المصرية القديمة•

ولم تخلو الحضارة الهندية من بعض المفكرين الاجتماعيين الذين تبنوا بعض الآراء الاجتماعيةوحاولوا تطبيقها فى ميدان السياسةالعملية وفى مقدمة هؤلاء المفكرين المفكر الهندى كوتيلا وقد أشار هذا المفكر

الى نشأة الدولة والسلطة باعتبارهما ضرورة اجتماعية وقد دافع عن نظرية الحكم المطلق .. فقد افترض وجود الحالة البدائية حيث يسيطر قانون الغاب . ولذلك لابد من قيام الحاكم الذى يتولى حماية الضعيف من بطش القوى . وهكذا فان القانون يسود بدلا من حكم الغاب وبذلك يستمر المجتمع فى الوجود ولكى يؤدى الحاكم وظيفته الاجتماعية لابد أن يكون حازما وماكرا . الا أنه أشـــار أيضـــا الى بعض الأفكار الديمقراطية مثل اشراك الشعب فى الحكم عن طريق مجالس الشورى.

وعلى أى حال فان التعاليم البوذية وأن كانت تجنح الى الزهد فى أمور الدنيا الا أنها تتضمن مفاهيم خلقية عملية . فقد وضعت الاخلاق الحميدة والسير الطاهرة فوق الثروة والجاة بل فوق الطقوس والشعائر الدينية .

ان التفكير الاجتماعى البوذى له طابعه الأخلاقى السلوكى الذى يعمل على خلاص المجتمع الهندى من براثن النظام الطائفى عن طـريق هدم العقيدة البراهمية التى كانت تزعم أن البراهمية من طبيعة مقدسة وأثبتت البوذية أن كل الطبقات الاجتمـــاعية تتساوى فى طبيعتهـــا البيولوجية .

خـــــاتمة :

وعلى أى حال يتميز التفكير الاجتماعى فى الشرق القديم بعـــدة سمات منها :

أنه كان مشتتا ومتفرقا فى كثير من الكتابات التى وصلتنا عن هذا العهد البعيد ، ولم ينشأ نتيجة الدراسة المقصودة وكان ذا طابع فردى شخصى فى أصله وتعبيره فلم يكن نتيجة مدارس أو انماط متبـــاينة من

التفكير الاجتماعى ويدور حول الفــرد وليس الجماعة • ويهــدف هــذا التفكير الى تقديم النصائح المتعلقة بالحياة اليومية •• غير أنه وجــد تفكيرا اجتماعيا يهتم بما يسمى بالجماعات الأولية كالعشيرة والجــيرة والقرية • ويتميز هذا التفكير الاجتماعى بالطابع التقليدى المحافظ فلم يتكلم عن التقدم الاجتماعى ورأيه عن التغير الاجتماعى انما ينشأ عن قوى ما وراء الطبيعــة •

الفصل الرابع

الفكر الاجتماعى عند اليونان

سنناقش فى هذا الفصل العقلية اليونانية وبخاصة جزيرة كريت وهى مركز الحضارة اليونانية .

كل هذه الحضارات البرونزية تحمل آثارا من التأثير المصرى ـ وهى حضارة أسمى بكثير من حضارة الغزاه أهل الشمال على الأقل لفترة خمسة قرون بعد الهجرات العظيمة . وهؤلاء الغزاة البرابرة حطموا الحضارة التى وجدوها لأنهم لايستطيعون مجاراتها لمدة خمسمائة عام على الأقل .

وحتى الألف الرابعة قبل الميلاد استمر سكان اليونان فى العصر البرونزى فيما عدا سكان جزيرة كريت اذ يبدو أنهم استخدموا البرنز فى عصر مبكر . وازدياد اتصالهم بمصر وفنيقيا جعلت حضارة سكان كريت تنمو بسرعة متزايدة وفى عام ٢٠٠٠ ــ ٢٢٠٠ قبل الميلاد تقريبا تجمعت القرى الكرينيه وكونت دولة ملكية قوية فى نفس الفترة تقريبا التى ازدهرت فيها المملكة الوسطى فى مصر بملوكها الاثنى عشر قد شيد الملك قصرا قويا وجمع الجزية من الأمراء وازدادت العلاقة البحرية مع مصر وازدهرت التجارة . واستمر ازدهار الدولة فترة من الزمان حتى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد حيث ساد الجزيرة خراب شامل وظلت الحضارة الكريتية ناشئة فترة تتراوح بين ٢٥ عام ومائة عام ثم ظهرت فجأة بصورة فاقت كثيرا ما كانت عليه .

لقد نشبت حروب كثيرة بين أثينا وفارس . ولم يستطيع النظام

القديم فى أثينا أن يقف فى مواجهة الآثار التخريبية التى سببتها الحروب الفاريسية، والهزيمة على يد أهل أسبرطه فانهارت الحياة فى المدينة اليونانية. ولذلك وعدت حكومه الأغنياء باصلاح أوضاع الدولة القديمة ، وبدأت النزعة النفعية فى الانتشار ولم يستطيع أحد الوقوف أمامها . ففى مجال الخدمة العسكرية كان الضباط الأثينيون لايراعون مصالح وطنهم بل يعملون فى خدمة السلطات الأجنبية كلما أمكنهم ذلك رعاية لمصالحهم الشخصية . كما أصبح الرجال فى أثينا يتقاضون الرشاوى فى كل ناحية من نواحى الحياة . فقد انهارت جدران الدولة ، ولم يبق شىء لبحميهم من أنفسهم الا خطة جديدة للتنظيم الاجتماعى وفقا لأسس رشيده .

وترجع الاتجاهات المميزة للفكر الاجتماعى اليونانى الى البيئة الاجتماعية التى عاش فيها اليونانيون . فلم تتكون دولة مركزية واحدة بل وجدت عدة دول ، فقد كان لكل مدينة دولتها الخاصة بها تعرف باسم دولة المدينة وكانت كل دولة تتمتع بالحرية .

وانعكست هذه الحرية على معظم التفكير الاغريقى فى الظواهر الاجتماعية ونظرا لوجود سكان المدينة معا . وهى مدينة صغيرة الحجم فقد أدى هذا الى وجود درجة عالية من التشابه العقلى بين المواطنين ، ثم أدى هذا التشابه الى وجود الشعور الجماعى الذى كان الأساس لكثير من النظريات اليوتوبية أو المثالية عن المجتمع . تلك النظريات التى ظهرت فى كتاب الجمهورية لأفلاطون وكتاب السياسة لأرسطو . وبالرغم من مطالبة الاثنين بتكوين امبراطورية تجارية ، الا أن الحضارة اليونانية كانت على أساس اقتصاد زراعى ، وهذا الاعتماد على الزراعة كان من العوامل التى أدت الى وجود نظرة استاتيكية ثابتة عن العمليات الاجتماعية . ولذلك يصف أرسطو الدولة المثلى بأنها الدولة التى تتصف بالثبات والاستقرار . وبالرغم من ثراء الفكر الاغريقى، الا أنه لم يشتمل الا على القليل من الدراسات الاستقرائية عن الظواهر الاجتماعية ويستثنى من ذلك أرسطو ، أى أن المفكرين اليونان اتبعوا المنهج الاستدلالى ،ولم يتضح المنهج الاستقرائى الا فى منتصف القرن السابع عشر على يد بعض

الفلاسفة والعلماء الطبيعيين • ثم حاول بعض علماء الاجتماع اتباع هذا المنهج ابتداء من كونت فى القرن الثامن عشر •

يحتل التفكير الاجتماعى عند الأغريق القدماء مكانا بارزا فى تاريخ التفكير الاجتماعى الانسانى ؛ فقد حددوا — بصورة ما — المواقف والاتجاهات لكثير من المدارس الاجتماعية فى العصور الحديثة •• فنجد أن أفلاطون مثلا يمثل الاتجاه المخطط الذى لا يؤمن بالعشوائية أو التلقائية كما يمثل أرسطو الاتجاه الدينامى • وأن اختلافات البيئة والبناء الديموجرافى يفرض عليها صفة التنوع وتقسيم العمل والتعقد الوظيفى •

ولاشك أن الفكر اليونانى قد التقى واحتك بالفكر الشرقى القديم وخاصة الفكر البابلى الآشورى والفكر الفارسى والفكر الفرعونى • فالاتصال الحضارى والاحتكاك الثقافى له دوره فى توجيه الفكر الاجتماعى نحو الموضوعية • فقد اتصلت الحضارة اليونانية بالحضارات الأخرى نتيجة لهجرة بعض القبائل من الشعوب المجاورة ونتيجة الحروب اليونانية وأصحاب الحضارات الشرقية القديمة وبخاصة البابلية والآشورية والفارسية • فضلا عن حركة التبادل التجارى التى راجت فى تلك المرحلة خاصة وأن اليونانيين كانوا يشتغلون بالتجارة بين الشعوب المختلفة • فضلا عن زيارة بعض حكماء اليونان وفلاسفتها لمصر القديمة وزيارتهم لمعابدها والتقائهم مع الكهنة الذين كانوا يقومون بوظيفة التعليم ، فقد زار هيرودت وغيره مصر ونقلوا عنها كثيرا من المعارف • وهذا الاتصال والاحتكاك أدى الى انتقال قيم وعادات جديدة على المجتمع اليونانى •

غير أن أهم ما فى التفكير الاجتماعى اليونانى :

١ — سقراط •

٢ ـ السوفسطائيون •

٣ ـ أفلاطون •

٤ ـ أرسطو •

سقراط :

لم يصل الينا سجلات كثيرة من أقوال سقراط حتى أننا لا نستطيع أن نجزم بأن له نظرية عن الدولة •ويبدو من المعقول الافتراض بأنه اتبع السوفسطائيين فى ادخال مفهوم قانون الطبيعة الذى يختلف عن قانون الانسان ويعارضه وبذلك يكون قد فتح الطريق أمام خط من التفكير أصبح أساسا خصبا لنظريات الأصول السياسية والاجتماعية • ولا نستطيع أن نجزم بأنه قال شيئا عن هذا الاحتمال وعلى أى حال فان المتفق عليه أن اسهام سقراط فى علم السياسة يتمثل فى اصرارد على وضع تعريفات دقيقة للمصطلحات التى نستخدمها كما أن المتفق عليه أنه لم يضع أية نظرية مطرده فى أى مجال من مجالات الفكر • فقد كانت أعظم تبعه له أنه يسخر من المذاهب التى انتشرت فى عصره • وقد لخصت جانبيت هذه النقطة بقولها :

« لايوجد شىء علمى فى المناقشات السياسية لسقراط • فقد كانت السياسة عنده فوق كل الاعتبارات العملية والأخلاقية • فقد تناول واجبات الحياة العامة وواجبات الحياة الخاصة أيضا ، دون أن يضع لنا أية نظرية مجرده على الاطلاق » •

أفلاطون : (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق • م) :

اتخذ التفكير اليونانى الطابع اليوتوبى المثالى ويبدأ هذا التفكير عند سقراط ويبلغ ذروته عند آ . . وقد تأثر أفلاطون فى تفكيره بطبيعة الأزمة الاجتماعية التى كان يعانيها المجتمع الأثينى فى ذلك الحين ، وما أحدثه السوفسطائيون من هدم القيم لذلك المجتمع ولذلك

انطوى تفكير أفلاطون على تصورات ذهنية وتطلعت مثالية مستوحاه الى حد كبير من مثل مجتمع اسبرطه وتجسد كل ذلك فى المدينة الفاضلة التى خططها أفلاطون ، وكأنها تمثل الهروب من الواقع القيمى والأخلاقى فى اثينـــا .

ولم يكن الفكر الاجتماعى اليونانى يميز بين الدولة والمجتمع فليست المدينة سوى أكبر وحدة سياسية .

وليس معنى هذا أن الفكر الاجتماعى كان بعيدا عن تحليل دقيـــق لمظاهر الحياة الاجتماعية وخاصة ما اتصل منها بالقيم الجديدة التى نشأت نتيجة احتكاك المجتمع الاغريقى بالحضارات الأخرى — المجاورة وخاصة الحضارتين الفرعيونية والبابلية الآشورية .

يعتبر أفلاطون أشهر أتباع سقراط وكانت أول مؤلفاته عن المجتمع والدولة ولعل أشهر كتاباته هو كتاب الجمهورية أو المدينة الفاضلة والكتاب لا يعالج المسائل التى عالجها بصورة عامية ، بل بل أنه صورها بطـــريقة مثالية وكانت الدولة مثالية لدرجة أن أفلاطون نفسه كان يشك فى امكان تطبيقها واخراجها الى حيز الواقع . وقد اختلفت الآراء حول الأهميـــة العلمية لكتاب لجمهورية . وقد أشـــــار بولوك Pollook « أعتقد أن جمهورية أفلاطون ، يجب اعتبارها ممارسة براقة للخيال الفلسفى وليس أسهاما فى علم السياسة » .

وقد يكون نيتلشيب Nettleship أكثر تقـــديرا فقـــد قـــال : كل الجمهورية ليست سوى محاولة لتفسير طبيعة الانســـــان تفســــيرا سيكولوجيا . وتعتمد طريقة الكتاب على مسلمة أساسية وهى أن كل نظم المجتمع الطبقى والقانون ، والدين ، والفن وغــير ذلك : هى النتـــــائج النهائية لروح الانسان ، وهو مبدأ داخلى للحياة يعمل من تلقاء نفســـه فى هذه الأشكال الخارجية » .

وأفلاطون فى كتابه الجمهورية يفسر أصل المجتمع (أو الدولة كما كان يستخدم المصطلح) وترجع جذور المجتمع الى حاجات البشر المتباينة

وما ينشأ عن ذلك من تقسيم للعمل وليست هذه صورة تاريخية اذ يحدثنا نيتلشيب « بأنها منطقية لأصل المجتمع وبهذا المعنى فهى توضـــح لنا حاجات المجتمع كى يوجد وكى يستمر فى الوجود ، كما يوضح لنا طريقة اشباع تلك الحاجات : تبعا لترتيبها المنطقى » .

وتتكون الدولة — فى رأى أفلاطون — من التكامل بين الأشـــخاص الذين لهم حاجات والأشخاص الذين يشبعون تلك الحاجات فهى تتكون من الأشخاص الذين ينتمون الى هاتين الفئتين أما الحاجات الأولية للانسان فهى : الغذاء ، المأوى والملبس . وأما الشروط الأساسية فى تباين سكان المدينة الأولى فهو أن أحد السكان يجب أن يكون فلاحا ، والثانى بناء ، والثالث نساجا ، والرابع صانع أحذية . ويرى أفلاطون أن كل فكرة فى المجتمع — فى فترته الأولى — يجب أن تتضـــمن أربعة أو خمســـة من الرجال . وبذلك يقوم المجتمع على مبدأ تقسيم العمل فهـــو ضرورى لوجود المجتمع ، كما أن له قيمة عظيمة فى انتاج سلع أفضل من السلع التى يستطيع رجل واحد انتاجها اذا اضطر الى اشباع كل حاجـــاته . ويعنى هذا أن تقسيم العمل أوجد التخصص ، وهذا بالطبع ماهر فى أداء عمله .

ثم رأى أفلاطون ضرورة اضافة طبقات أخرى فى تكوين الدولة . فان الفلاح والبناء والنساج وصانع الأحذية كلهم يحتاجون الى أدوات ولذلك لابد من وجود النجار والحداد لصناعة هذه الأدوات . وقد رأى امكان أن تكون المدينة فى موقع معين بحيث تصل الى درجة الاكتفاء الذاتى ولكى يتحقق ذلك لابد من وجود طبقة التجار الذين يشترون من المـــدن المجاورة كل ما تحتاج اليه مدينتهم . وينبغى الا يذهب التجـــار صـــفر اليدين بل ينبغى أن يأخذون معهم انتاج مدينتهم، ليبدلوه مع انتاج المدن الأخرى . ومعنى هذا أن الانتاج يجب أن يكون كبيرا ويفيض عن حاجات ســـكان المدينة ، ولكى تتحقق الزيادة فى الانتاج ينبغى أن تزداد اعـــداد الفلاحين والصناع.وقد يضطر التجار الى عبور البحار ولذلك يحتاجون الى سفن وبحارة . ثم وصل أفلاطون فى تفكيره الى أن التجارة لا تحقق فى المدينة الا اذا وجد السوق حيث يشتغل تجار الجملة الذين يمدون التجار المحليين بكل ما يحتاجون اليه من سلع . وأخيرا فهناك طبقة الخـــدم — والعبيد والحاجة اليهم ماسه كى تكون الدولة طبيعية وكاملة .

وبعد أن وصف أفلاطون أصل الدولة أخذ فى وصف الحياة البدائية كما يتصورها وهذا الوصف يشبه وصف روسو Rousseau للانسان فى حالة الطبيعة • غير أن التشابه بين الوصفين يرجع الى عدم وجــود القمع فى الحياة البدائية وما ينشأ عن ذلك من سعاده فالتشــابه ليس فى المسائل الخارجية • ويمكن القول أن صورة أفلاطون تمثل مرحـــلة من الحضارة أكثر تقدما من صورة روسو •

ولكن أفلاطون لم يكن راضيا عن تصوره للدولة المثالية لأن الانسان فى تلك الدولة يكتفى باشباع حاجاته المادية ولذلك فان الدولة غير مناسبة فهى مجرد « مدينة للخنازير » ولتحقيق الكمال ينبغى وجـــود قدر من الكماليات • التى تتطلب بدورها عددا آخر من الطبقات تقوم بالخدمات الضرورية لاشباع الحاجات الجديدة • وتتمثل هذه الطبقات فى : الغوانى النحاتين ، الرسامين ، الموسيقيين ، الشعراء ، الراقصات ، الحـــلاقين ، الطباخين المرضات ، الأطباء • وهذا العدد الضخم من الحاجات يتطلب اتساع حدود الدولة •

أن تصور أفلاطون للدولة المثالية ، بما يتميز به من شــيوعية تنتشر بين طبقة الحكام وطبقة الجند ، لا شك أنه تصـــور يوتوبى قائم على الاعتقاد بأن الانسان قادر على التحكم فى عـــلاقاته الاجتمـــاعية وأن التنظيم الاجتماعى ليس سوى فن وليس نموا مستمرا : وهذا هو شأن كل اليوتوبيات التى جاءت بعد أفلاطون • أن — توجيه اللوم شىء سهل كما أن توجيه الانتقاد الى مفكر مثل أفلاطون يكسب الانسان شهرة واسعة كما أنه يملأ النفس بالغرور غير أن أفلاطون نفسه كان يدرى تماما عدم امكان تنفيذ خطته • وفى كتابه القوانين Laws وضع له المثاليــة الثانية أو أفضل دولة ممكنة فى الظروف القائمة وقــد سمح بالملكية الخاصة والحياة العائلية ولكنه أصر بشكل غريب على أن يكون عــدد سكان الدولة ٥٠٤٠ نسمة وعلى الحكام واجب محدود هو تنظيم عــدد السكان والحرص على استمرار هذه الحالة دون أدنى تغيير •

وعلى أى حال نقد خطط أفلاطون البناء الاجتماعى الأمثل للمدينة الفاضلة • ويرتكز هذا البناء على ثلاث طبقات رئيسية مرتبه بعضها فوق

بعض . لكل طبقة وظائفها الخاصة بها . الطبقة العليا تتكون من الحكام الذين يتولون سياسة أمور الدولة العليا ثم يليها طبقة الجند التى تدافع عن أفراد المجتمع وتحمى مصالح الطبقة الحاكمة . ثم تأتى طبقة العمال من الفلاحين والصناع وتعمل هذه الطبقة على توفير حاجات الشعب .
وتقوم السلطة العليا بعدة وظائف كما تتوزع السلطات على النحو التالى :-

١ — حراس الدستور ويتولون المحافظة على الدستور .

٢ — مجلس الشيوخ يتولى حكم المدينة بالاتفاق مع حراس الدستور.

٣ — الكهنــــــة يسهرون على رعاية المعابد والقيام بالطقوس الدينية .

٤ — حكيم التربية يهيمن على شئون التربية الأخلاقية .

٥ — رجال القضاء والمحاكم يحكمون وفقا لقوانين العقل التى لا تتعارض معها القوانين الآلهية التى ترعى الى تحقيق العدالة والفضيلة .

ولكى يتحقق التساند والتجانس بين مكونات البناء الاجتماعى . ينبغى أن تتحلى كل طبقة بفضيلة من الفضائل حتى تؤدى وظيفتها بطريقة طيبة . ففضيلة الطبقة الدنيا هى الاحتمــال والتعفف .. وينبغى أن يتحقق لطبقة الجنــد فضيلة الشجاعة ، أمــا الطبقة الحاكمة ففضــيلتها الحكمة .

غير أن من الصعب تحقيق هذه الفضائل الا بعد تغيير أسـلوب التنشئة الاجتماعية حتى ينتج الفلاحون والعمال ما يحتاج اليه المجتمع ويستهلكون قدرا ضئيلا منه ويتركون الباقى لطبقة الجند وطبقة الحكام. ولا يتحقق ذلك الا اذا ترك لهم ملكية ما فى حوزتهم ولكن الملكية الفردية حرمت على الجنود والحكام كما حرم عليهم تكوين الأسرة لأن كثيرا من المشاكل تنشأ بسبب ملكية المال والنساء والأطفال ويسمح للجنود بزواج المتعة على أن تتولى الدولة تربية أطفالهم ويتفرغ الجنود لمهامهم القتالية.

واهتم أفلاطون بشكل الحكومة ؛ لأن الحكومة اذا كانت صــالحة

تستقر المدينة وتستكمل بناءها . فالحكومة الأرستقراطية هي الحكومة المثالية فهي تتألف من نخبة من العلماء الفلاسفة وتعمل على تحقيق التوافق بين المنظمات والكمال في العلاقات .. ولكن المدينة لاتصل الى هذا الشكل بطريقة عشوائية أو تلقائية بل عن طريق التجربة السياسية .وتبدأ هذه التجربة عادة بالشكل الدكتاتوري الحربي الذي يتولى السلطة فيه مجموعة من طبقة الجنود ، ويبدأ الاستقلال الاقتصادي من جانب التجار وأصحاب رؤوس الأموال ، ومن ثم يسود الظلم الاجتماعي فينشأ شكل جديد من الحكم يطلق عليه أفلاطون الأوليجاركية وهو يقابل حكم الأقلية وينتهي هذا الصراع الى تغيير سياسي يؤدي الى حكم الشعب أو ذلك الشكل السياسي المعروف بالشكل الديمقراطي أو حكم الغوغاء . واهتم أفلاطون بمسألة السكان ورأى أن يكون عدد السكان على قدر حاجة الدولة ومعنى هذا أنه لابد من تنظيم الزواج . ولا مانع لديه من اعدام من زاد عن حاجة الدولة ، حتى تحتفظ الدولة بحجمها الأمثل، ولا جريمة لاعدام الطفل المشوه أو ناقص التركيب . وينبغي اعدام الأفراد المعتوهين وعديمي النفع فاسدي الأخلاق والمرضى ممن لا يرجى شفاؤهم كما ينبغي على الدولة العمل على تحسين النسل . فيوضع أطفال الدولة في مكان مشترك يتولى رعايتهم وتغذيتهم نساء متخصصات حتى يمكن تحطيم الاطار العائلي .

ومهما كانت آراء أفلاطون بعيده عن الواقعية أو غير مألوفة ، الا أنها تعكس بالضرورة الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي كان يعيش فيه ويمثل هذا التفكير الهروب من ذلك الواقع ومحاولة وضع تخطيط مثالي للتنظيم الاجتماعي المرتكز على أساس فلسفي أخلاقي .

السوفسطائيون :

نشأت جماعة السوفسطائيين في وقت كان المجتمع اليوناني قد أصابه الكثير من الضعف ويعتبر السفسطائيون من رواد الفكر الاجتماعي الجدلي في صورته البدائية ومن أوائل من أتجهوا اتجاها واقعيا نقديا في معالجة الموضوعات الاجتماعية ولقد أحرقت كتبهم ومؤلفاتهم ولكن بعض أفكارهم وصلتنا عن طريق خصومهم وهذه الآراء تعكس دورهم في

توجيه الفكر نحو الاهتمام بالوضع الاجتماعى ، وقد عارضـــوا الآراء الفلسفية التى ترتكز على الاهتمام بالكليات المجردة والتعميمات المطلقة والقضايا والمسلمات الثابته .كما انتقدوا التفسيرات الاسطورية الشائعة وسخروا منها .ونادوا بضرورة الاهتمام بالفرد والمواطن وحقوقه فيجب أن يكون المواطن محور اهتمام الدولة وهاجموا القول بأن الفرد مجرد تابع للجماعة. وناقشوا القيم الاجتماعية المجردة فالعدل — فى نظرهم — ليس فكرة مجردة يمكن الوصول اليها بالتفكير المنطقى ، ولكنه لابد أن يتحقق فى الواقع ، فهو نتيجة الممارسة الاجتماعية ولكنهم جعلوا الفـــرد مقياس كل شىء فما يراه عدلا فهو عدل وما يراه حقا فهو حق ، ويبدو أن ذلك يرجع الى نبذهم فكرة الحقيقة المطلقة وكأنهم يريدون نشر مبـــدأ النسبية الاجتماعية . ومهاجمة المنطق الذى كان يتذرع به أصـــحاب المصالح والمزايا المكتسبة للدفاع عن مكاسبهم الاجتماعية . والواقع أن السوفسطائيين هاجموا بحماس وقوة مظاهر عدم المساواة الاجتمـاعية وأشكال النظـــم الاجتماعى التى انتشرت فى المجتمع اليونانى.وكان ذلك واضحا فى مهاجمتهم لنظام الرق والعبودية وفكرة المواطنة اليونانية التى ترتكزا على النظرة العنصرية ، أى انهـــم حاولوا هـــدم البنـــاء الطبقى فى المجتمع الأغريقى .

كما هاجم السوفسطائيون القانون الأخـــــلاقى والتشريع الدينى ونادوا بالقانون الطبيعى الذى يعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية .. فالسعادة فى القانون الطبيعى هى فى العدول عن اللذة الى المنفعة .

أرسطو : (٣٢٢ — ٣٨٤ ق . م) :

تلميذ أفلاطون ومعارضه : واستاذ الاسكندر الأكبر من أشـــهر شخصيات التاريخ كله ليس بسبب معرفته وما انجزه فحسب بل وأيضا بسبب تأثيره الواسع على الأجيال المتعاقبة ولا شك انه لا يوجد فيلسوف فى العصور القديمة له مثل تأثير أرسطو على الأجيال التى جاءت بعده . ويدعى العلماء ان كتابات أرسطو من بين الكتابات القليلة التى نافســـت الانجيل فى النفوذ والتأثير أكثر من ثلاثة قرون خلال سيادة الفلســـفة المدرسية على التفكير الانسانى .

وأهم تباين بين أفلاطون وارسطو يتمثل فى المنهج الذى اتبعه كل منهما فالأول كان خياليا فى المحل الأول واتبع المنهج الاستدلالى فى حين أرسطو كان يبنى كتاباته على ما اجراه من ملاحظات وكان استقرائى وعندما يقارن بولوك Pollock بين المفكرين العظيمين يشير الى اننا لم تعد نتأثر بسحر أسلوب أفلاطون وعظمة خياله وأفلاطون كمن يجلس فى بالون يطير به فى الهواء ويأخذ فكرة عن بعض الأشياء على سطح الأرض يراها من خلال الضباب • فى حين أن أرسطو يعمل على سطح الأرض ويشق الطريق بنفسه والانسان يعجب بعقله فى تناول الموضوع ويشير بكير وبارنز الى انه على الرغم من صدق تعميمات بولوك وخاصة عند دراسة النظريات الاجتماعية لافلاطون فى كتابه القوانين أكثر كمالا وأكثر دقة من كتابات أرسطو •

ويعتبر أرسطو رائد نظرية التطور الا أنه لم يقدم لنا شيئا عن أصل الانسان • عندما درس أصل الدولة والمجتمع قدم لنا نظرية ولكن عندما قدم لنا كتابة السياسة لم يستهله بموضوعات مجردة ثم يوضح هذه الموضوعات بالاشارة الى الظروف القائمة بل تناول مباشرة مناقشة تحليلة لأصل الدولة ومنفعتها فقد أشار الى أنه من أجل استمرار العنصر البشرى يجب أن يتحد الجنسيان فهذا هو المتطلب الأول لاستمرار الدولة فى الوجود ثم يأتى بعد ذلك العلاقة الضرورية بين السيد والعبد « هى ضرورية لبقاء كل منهما » وهكذا فهناك علاقتان أساسيتان الأولى هى علاقة الزوج بزوجته والثانية هى القائمة على الطبيعة لتوفير الحاجات اليومية للانسان •

وتصور أرسطو لطبيعة علاقات الأسرة مسألة جديرة بالتأمل فان نظرته الى العلاقات بين الجنسين تختلف كثيرا عن نظرة أفلاطون كما تتمثل فى كتاب الجمهورية • فبدلا من شيوعية النساء نشاهد المساواة بين الجنسين ، ومشاركة المرأة فى نفس المهن التى يزاولها الرجل، وقد وصف أرسطو أسرة قائمة على زواج الرجل الواحد من امرأة واحدة حيث يبدو الأب هو الحاكم المطلق وحيث يعاقب الزانى بالحرمان من حقوق المواطنة • وفضلا عن ذلك ينبغى الاتشارك النساء فى نفس مهن الرجال

لأن مكان المرأة فى البيت تدبير الشئون المنزلية • وكان أرسطو من أشــد المؤمنين بالحق الطبيعى للعبودية • فالأشخاص الموهــوبون بالمعــرفة والفراسة جعلتهم الطبيعة حكاما ؛ وهؤلاء الذين لا يملكون سوى القوة الجسدية مع قليل من التفكير عليهم القيام بالخدمات • وليس هذا مجرد نوع من التأمل أو التفكير بل كان مقتنعا اقتناعا تاما بالبيانات الأمبريقية المتوافرة عن الصدق العملى لهذه الفكرة •

وقد تعجب لهذه الصراحة من جانب أرسطو وهو يقول ان بعض الناس خلقوا كى يكــونوا حكاما وأناسا آخــرين خلقوا كى يكونوا محكومين • وعلى أى حال فان هذه الآراء أكثر صــدقا من رأى بعض المفكرين فى القرن الثامن عشر الذين أشاروا الى المساواة البيولوجيــة الطبيعية بين كل البشر •

فالأسرة هى أول ارتباط بين الناس ؛ ويلى ذلك القرية التى تنشــأ عن اتحاد عدد من الأسر • والقرية أكثر كمالا من الأسرة لأنها لاتكتفى بتوفير الحاجات اليومية للانسان والقرية فى نظر أرسطو •ـ فى صورتها الطبيعية . تجمع تكوينى خالص وهى مستمدة من الأسرة •

والدولة هى الشكل الثالث من المجتمع وهى أسمى الأشكال الثلاث؛ وتنشأ الدولة من اتحاد عدد من القرى تحقق الاكتفاء الذاتى لنفســها • ولا شك أن أصل الدولة يرجع الى توفير الضرورات الفيزيقية للحيــاة ، ولكنها استمرت فى الوجود لأنها وفرت الظروف المناسبة للتطور الكامل للطبيعة الاجتماعية للانسان • وتساءل أرسطو عن السبب وأجاب عن هذا السؤال اجابة تقع فى جوهر علم الاجتماع وهو أن « الانســـان كائن اجتماعى بالطبيعة » ، وليست الدولة خلقا مصطنعا بل نشأت بصــورة طبيعية عن حاجات الانسان وميوله الطبيعية • والحيوانات كلها كائنات طبيعية ولكن الانسان كائن اجتماعى بســبب قوة النطــق أو الكلام ، وهذه المسألة بدأ علماء الاجتماع المحدثين وبخاصــة بعد ميد Mead فى استثمارها الى أقصى حد مستطاع • واذا كان المجتمع ضروريا للتطور الكامل للانسان فهو من الناحية المنطقية سابق على الفــرد وأهم منه

وسابق فى الزمن على وجود الشخصية المتطورة ،وبالتالى فان أى شخص قادر على أن يعيش فى عزلة تامة عن المجتمع أو يريد تحقيق ذلك هو شخص شاذ غير طبيعى • وفى الجزء الأخير من معالجة أصل الدولة يبدو أن أرسطو يعتبر الدولة بمثابة التنظيم السياسى للمجتمع ومميزين المفهومين ويبدو أنه يعتقد فى وجود مرحلة سابقة على ظهور الدولة ، وأن الدولة ضرورية كى يمكن التغلب على الشروط الطبيعية للانسان • ولكن اذا أخذنا كتاباته ككل يبدو أنه لا يعتقد فى أن الدولة ثمرة النمو العضوى •

ومن الناحية التاريخية فان آراء أرسطو عن الأصول الاجتماعية Social genesis ليست كلية كما أنها ليست دقيقة بمقارنتها بآراء أفلاطون كما جاءت فى كتابه القوانين • كما أنه فشل فى تحليل تقسيم العمل الاجتماعى بنفس الدقة التى ظهرت عند أفلاطون فى كتابه الجمهورية •

وقد أخطأ أرسطو عندما أشار الى أن المجتمع سابق على الفرد ولو أن كثيرا من المفكرين يشيرون الى أن المسألة تتعلق بالأسبقية المنطقية ولكن الرأى الصحيح • هو أن المجتمع ليس سابقا على الفرد : كما أن الفرد ليس سابقا على المجتمع فكل منهما مكمل للآخر وضرورى لكماله •

وفى الكتاب الرابع من كتاب السياسة : يشير أرسطو فى عبارة واضحة الى النظرية العضوية عن المجتمع ، وهى نظرية شاعت فى التاريخ وصاغها صياغة دقيقة عدد من العلماء خلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر ومن أشهر هؤلاء العلماء : سبنسر Spenser وشافل Schaffle وليلينفلد Lilienfeld وورمز Worms ولكن أرسطو لم يعتقد المماثلة بالتفصيل بين المجتمع الكائن العضوى ومع ذلك فمن الواضح أنه فهم المبدأ فهما كاملا • ويتكون المجتمع من عدة نظم • نظام الاستمرار فى الوجود ويتمثل فى الصناع والرعاه والعمال • ونظام التوزيع ويتمثل فى التجار ونظام الادارة والحكم ويتمثل فى المحاربين والمشرعين والحكام والقضاة • ولم يهتم أرسطو بتطور هذه النظم

وتباينها ولم يدرك أن كل فئة تستطيع أن تتجمع فى طبقة واحـــدة كما لم يدرك أن التقدم يأتى من تباين البناء والوظيفة ولكنه على أى حال قـــدم لنـــا تخطيطا أوليـــا للنظرية •

وفى الكتابـــين الثـــامن والتاســـع من الأخـــلاقيات النيكـــومية Nicomacheak ethics وجـــد أرســـطو الأســـاس الذاتـــى الدولة والمجتمع ، ويتمثل هذا فى الأساس فى الصداقة وقد نشأت هذه الفكرة عن فكرة أخرى كان قد أشار اليها فى مستهل كتابه السياسة وهى أن الأنسان كائن اجتماعى بالطبيعة •

ويسبب ميل الانسان للمعاشرة وهو ميـــل كمن يريد أن يكون له أصدقاء ولا يشعر بالسعادة الا مع أصدقائه • فالمجتمع أو الرابطة هـــى الحافز للصداقة • والصداقة هى الصورة المموهة للطبيعة الاجتمـــاعية للانســـان •

وأرسطو كأفلاطون قدم لنا بناء لدولة مثالية ويكفى هنـــا الاشارة الى أهم أفكاره • فهو يرى أن الدولة يجب أن تكون دولة مدينة صـــغيرة حيث ينبغى أن يعرف المواطنون كل منهم الآخر • وهو فى هـــذه الناحيه مثل أفلاطون • وعلى الرغم من أن أرسطو هاجم الشيوعية فهناك عـــدة آثار منها فى دولته المثالية ، ومثال ذلك الوجبات المشتركة • وهذه الصورة عن الدولة بأفقها اليونانى المحدود وباستقرارها وســـكونها لا تهم عالم السياسة الحديث • والواقع كما يثير بيورى Bury أن المـــدن اليونانية لو كانت وفق نموذج أرسطو لما فعلت ما فعلته من أجل الحضارة اليونانية•

نظـــريات أرســـطو :

كان أرسطو أعظم الكتاب تأثيرا فى الفكر الاجتماعى بسبب عمـــق فهمه للعمليات الاجتماعية وبسبب تأثيره القوى على الفكر فى العصـــور الوسطى • وقد فاق أفلاطون فى كثير من النواحى من ناحيـــة دراســـته لأساس العلاقات السياسية والاجتماعية • وقد أدخل أرســـطو المنهـــج الامبيريقى المطرد فى دراسة الظواهر الاجتماعية فى حـــين أن أفـــلاطون

اعتمد تمامـــا على الطريقة التأملية وأهم من ذلك تأكيده المباشر والقاطع بأن الانسـان كائن اجتماعى بطبعه • وهذا المبدأ لو اتبعه المفكرون الذين جاءوابعده لمـا وقعوا فى الخطأ القائل بأن المجتمع قام من خلال التعاقد الاجتماعى الأصيل ذلك التعاقد القائم على مبدأ الوعى بالمصلحة الذاتية •

وأوضح أرسطو تفسيرا للتطور الاجتماعى على أساس المنفعة وهو توسيع للطبيعة الاجتماعية ومجال الرغبة والحاجة الى المجتمـع • ومن هذه الناحية تقدم على أفـلاطون ، الذى دافـع عن التفسـير المنفعى والاقتصادى الى درجة استبعد الأساس الوراثى ولو أن تفسير أرسطو أكثر شمولا وأحسن توازنا ، ولكن تحليله كان أقـل كمـالا من تحليل أفلاطون وبخاصة عند تحليل الأسس الاقتصادية للمجتمع•ولكن مشروعه عن الدولة المثـالية لم يكن أفضل من مشروع أفلاطون لأنهما يونانيـان تحكمهما المثـل اليونانية عن الشمول والاقليمية والمحلية كمـا أن أفكار الاستقرار الاجتماعى هو الغاية التى يجب أن تسعى اليها نظم المجتمع وأن المجتمع سابق على الفرد من ناحيـة •

أما الأساس الذاتى للمجتمع فهو عند أرسطو كامن فى الصداقة هو فى تحليلة للصـداقة يقترب من نظرية جيد نجز giddinge عن الوعى بالنوع — consecousness ofkind وأخيرا قدم لنا أرسطو عبارة أكثر كمالا عن المماثلة العضوية من عبـارة أفـلاطون الذى اقتصر على تأكيد الوحدة العضـوية •

وأخيرا تذكر أهم المبادىء التى أنطوى عليها تفكير أرسـطو :

١ — الدولة هى الاطار السـياسى للمدينة وهى تنظيـم حيـاة المواطنين تبعـا للقانون •

٢ — وجوهر القانون العدالة التى لا تتحقق الا من خـلال تطبيق القانون الأخلاقى الذى يرتكز حول الفضيلة والمسـاواة الاجتماعيـة • والمساواة نوعان : مساواة توزيعه بحيث يتناول الأفراد أجورهم حسب كفاءاتهم • ومساواة تعويضية بحيث يتساوى جميع الأفراد أمام القانون•

وينبثق من خلال تفكير أرسطو بعض القضايا الأساسية التى حددت فيما بعد مواقف عدد كبير من المدارس الاجتماعية ومن بين هذه القضايا •

١ — التأكيد على دينامية المجتمع واعتبار التغير شرطا أساسيا لحياة المجتمعات الانسانية فهو يرفض فكرة الثبات المطلق ويأخذ بفكرة النسبية الزمانية والمكانية • فليس هناك نظام اجتماعى مثالى يمكن تطبيقه على كل الشعوب •

٢ — الاهتمام بدراسة البناء الاجتماعى من الناحية المورفولوجية ومن الناحية الوظيفية ويتألف البناء الاجتماعى من ست طبقات ولكل منها واجباته ووظيفتها الاجتماعية • فطبقة الزراع تنتج المواد الغذائية • وطبقة الصناع تزاول الصناعات اليدوية • وطبقة الجند ترد العدوان • وطبقة الأثرياء تمد الدولة برأس المال لاشباع الحاجات • وطبقة الكهنوت تشرف على العبادة ، وطبقة القضاة والحكام تتولى القضاء بين الناس ولابد أن تتحقق لكل طبقة سمات خلقية تؤهلها لأداء وظيفتها الاجتماعية • كما لابد من تحقيق التساند بين هذه الطبقات حتى يتحقق التوازن بين المواطنين الأحرار وبين العبيد •

٣ — ابراز أهمية التوازن وكذلك التغير الديموجرافى • فيرى أرسطو أن البناء الاجتماعى يظل متوازنا بحكم التساند الطبقى ، ولكن هذا التوازن قد يختل أو يتحطم عن طريق التغير الديموجرافى • فقد ينمو أحد أحياء المدينة أو يزداد عدد أعضاء احدى الطبقات عن العدد الذى يكفل أحداث التوازن بين هذا الحى والأحياء الأخرى أو بين هذه الطبقة والطبقات الأخرى أو قد يزداد مجموع السكان زيادة ملحوظة بحيث لا يستطيع دستور المدينة مواجهة متطلبات هذا العدد لأن كل دستور يتفق مع عدد معين من السكان • وكل عدد من السكان يستلزم شكلا سياسيا معينا أو دستورا خاصا حتى تتحقق المساواة الاجتماعية والاقتصادية•ومعنى هذا أن يكون عدد السكان متوازنا يضمن المواطنون الرخاء المادى ويضمن الحكام التقدم الفكرى لتكون الحكومة صالحة •

ولا يمانع أرسطو فى أن تلجأ الدولة الى اباحة الاجهاض اذا ازداد عـــدد السكان عن متطلبات الرخاء والســـعادة .

ومن العوامل التى تؤدى الى ضعف البناء الاجتماعى العامل البيئى الجغرافى فعندما تحول البيئة الجغرافية دون تحقيق الوحدة الاجتماعية والسياسية لسكان المدينة كأن يفصل بين أجزاء المدينة جبل أو نهر فـــلا يتحقق التوافق التام بين الأنظمة الاجتماعية لكل أجـــزاء المدينة وبذلك يصعب الاحتفاظ بمقومات الوحـــدة .

غير أن فساد نظام الحكم يعتبر أهـــم عامـــل من العوامل القلـــق الاجتماعيـــة .

فهناك أشكال صالحة للحكم تتمثل فى رأيه فى حكومة الفرد الفاضل العادل وحكومة الصـــفوة الفاضـــلة العادلة ثـــم حكومة الجمهورية أو حكومة الطبقة الوسطى . ولكن هذه الأشكال الصالحة قد تتعرض للفساد وتتحول الى حكومات فاسدة تقابلها حكومة الطغيان (الفرد المســـتبد) والحكومة الاوليجاركية (حكم الأغنياء) والديمقـــراطية الزائفة (حكـــم الغوغـــاء) .

ه — تفسير وتحليـــل الثورات الاجتمـــاعية التى كانت منتشرة فى مجتمع اليونان فى تلك المرحلة على أسس سياسية واقتصادية وســـلالية وديموجرافية وبيئية .

المدرســـة الرواقيـــة :

هى مدرسة فلسفية أسسها زينون فى النصف الأخير من القرن الثالث قبل الميلاد واستمرت حتى نهاية الامبراطورية الرومانية الغربية . واتفق الرواقيون مع أرسطو من ناحية أن الانسان لابد أن يكون اجتماعيا حتى تنمو شخصيته وأن يؤدى واجباته نحـــو زملائه . وكان مفهوم المجتمع عند الرواقيين أوسع من تصور المجتمع عند المدارس الاغريقية الأخرى اذ كان المجتمع عند هذه المدارس أما اغريقيا أو بربريا . أما الرواقيون فكانوا

يعتقدون فى المجتمع العالمى ، والمواطن العالمى ، ومن ثم كانو يؤمنون بالاخوة الانسانية أو الاخوة بين الصفوة على الأقل .

المدرسة الابيقورية : (٤٣٢ — ٢٧٠ ق . م)

أسسها ابيقور ، وكان تصورها عن المجتمع يخالف تصور المجتمع عند الرواقية . اذ يدرك كل فرد مصلحته الذاتية ، ولكنه لا يستطيع تحقيق مصالحة الا اذا كون علاقات اجتماعية مع غيره . وقد أدت هذه الفكرة الى ظهور فكرة أخرى هى العقد الاجتماعى والمجتمع يمر بمرحلة سابقة على الاجتماع وهى مرحلة الطبيعة وهى مرحلة لها مساوىء كثيرة ولذلك يفكر الأفراد فى انشاء علاقات اجتماعية . أى انهم يتعاقدون على المعيشة والتعاون لضمان تحقيق مصالحهم . وهم فى هذه الناحية يختلفون عن أفلاطون وأرسطو .

واذا قارنا بين الرواقيين والابيقوريين نجد أن الابيقوريين نظرتهم فردية والرواقيين نزعتهم اجتماعية الابيقوريون ماديون اذ يتخذون من المصالح المادية أساسا للعلاقات الاجتماعية . فى حين أن الرواقيين يتميزون بالنزعة العقلية الروحية (1) .

---

(1) انظر : يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية — لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٥٨ .

د . احمد الخشاب مرجع سابق .

د . حسن سعفان مرجع سابق .

الفصل الخامس

الفكر الاجتماعى

فى العصور الوسطى

---

١ ـ العصور الوسطى الأولى :

الاتجاهات الرئيسية :

نشأ الفكر الاجتماعي في العصور الوسطى بفضل اتحاد عدة عناصر معا فقد أتى من الرومان المفهوم الذى عبر عنه سينيكا Seneca تعبيرا واضحا ؛ وهو طبيعة النظم السياسية الاصطناعية artificial

نتيجة عاملين : الأول هو الانحدار من عصر بدائى ذهبى ، والثانى هو العقد مع الحكومة . كما أتى من الرومان مبادىء القوانين التى تساند أفكار الاستبداد الدينوى فضلا عن أفكار السيادة الشعبية والموافقة الشعبية باعتبارها الأساس الذى تقوم عليه القوة الامبراطورية .

وأتت من المسيحية فكرة سقوط الانسان التى اتفقت مع المفهوم الوثنى عن الوراثة أو الانحدار من عصر ذهبى ، كما جاء من المسيحية مبدأ طبيعية السلطة السياسية المقدسة ؛ وعقيدة الأستقلال الذاتي للحياة الروحية . وقد أسهمت الدولة الجديدة فى أوربا الشمالية بفكرة أن السلطة السياسية ليست سوى سلطة مفوضه لكل المجتمع ، وبذلك تتفق مع النظرية القانونية للمحامين الرومان بالنسبة للسيادة الشعبية كما تؤكدها وتساندها . كما أن المفهوم المسيحى على الأساس عن الأخوة الانسانية والوحدة العضوية بين البلاد المسيحية ، فضلا عن التباين الدقيق بين طبقات العصور الوسطى التى تتألف من رجال الدين والنبلاء والنواب والعمال ـــ كل هذا مال الى احياء وجهه النظر الأفلاطونية عن وحدة المجتمع العضوية القائمة على أساس تقسيم العمل الوظيفى . كما أن المدرسين فى العصور الوسطى

المتأخرة عملوا على احياء أعمال أرسطو ولذلك أدخلو اهتمام أرسطو بالنزعة الاجتماعية الطبيعية عند النسان ، ومعنى هذا أن المجتمع هو انتاج طبيعى ولذلك فالحكومة طبيعية وضرورية كى يظل المجتمع ثابتا ومستقرا .

وكانت المشكلة السياسية العملية هى تقسيم السلطة بين الكنيسة والدولة وقد أعد الآباء الأرافى لقيام المعركة لقبولهم مبدأ كل من بسول Poul وبيتر Peter أن الحكومة نظام مقدس . ولكن الكنيسة أيضا مقدسة ، ومن ثم نشأت مشكلة تقرير أولوية أحد هذين النظامين فكل منهما له قوة مقدسة ولا نهائية،وازداد الموقف تعقيدا لأن الكنيسة دخلت النظام الاقطاعى كما أن لها دورا كبيرا فى الأرض فى حين أن الحكام الدنيويين تضايقو من استئثار رجال الكنيسة برموز السلطتين الدينية والدينوية .وقد استغرق كتابة فى هذه الفترة مسألة خلق علاقات التوافق بين السلطتين الدنيوية والدينية . وقد بلغ هذا الاهتمام ذروته فى النظرية المتطرفة من الدولة كما تتمثل فى كتاب جون أوف سالسبيوى John of salisbury المسمى بوليكراتيكس Polycraticus وكما تتمثل فى الدفاع الحربى عن السلطة الدنيوية من جانب كل من بيير دابوا Piere Dabois ومارسيلو أوف بادوا Marsiglio of padus

ولم تسهم اليقظة الفكرية أثناء القرن التاسع اسهاما واضحا فى النظرية الاجتماعية والسياسية . فقد قبل الكتاب الفكرة التقليدية العامة عن حالة الطبيعية البدائية المليئة بالاضطربات والقلاقل الأمر الذى أدى الى قيام السلطة السياسية لاعادة النظام والقضاء على القلاقل والاضطوابات .

وقد حدثت تطورات هامة خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر فقد أتى احياء القانون الرومانى بنظريات السيادة الشعبية والاستبداد الدنيوى . كما أن المبدأ القانونى ساند وأيد مفهوم آباء الكنيسة من العصر الذهبى البدائى تلاه «السقوط» الأمر الذى جعل التنظيم السياسى أمرا ضروريا لحفظ النظام .

وقد دافع القسيس فيرى (١٠٨٥ م) عن جريجورى السابع وخلال

ذلك الدفاع أعلن لأول مره فى تاريخ أوربا الغربية مبدأ العقد الحكومى كأساس تقوم عليه السلطة السياسية ، واعتبر الاستبداد أو الطغيان خرقا للعقد الأصلى الذى له الفضل فى تعيين الحاكم فى منصبه . ولذلك فان استبداد الحاكم معناه خرق العقد ، الأمر الذى يجعل الثورة أو العصيان أمرا مشروعا .

وقد حرص جون أوف ساليسبورى وهو من رجال الدين الانجليز (١١١٥ — ١١٨٠ م) فى كتابه بوليكرانيكس نظرية الدولة عرضا كاملا وقد زاد من تأكد دونية الأمير عن القسيس واعتبر الحاكم أو الأمير ضروريا كى يقمع الشرور البشرية . كما قدم لنا المماثلة بين جسم الفرد والدولة وافترض أن المجتمع يضم جماعات أو طبقات تقابل الروح والعقل والقلب والأعضاء الأخرى عند الانسان . الأمير هو رأس الجسم السياسى والقسيس هو روحه أما النائب فهو القلب ، وأما القضاه والاداريون فهم أعضاء الحس ، والجنود والضباط يمثلون الأيدى أما الموظفون فهم المعده والأمعاء ؛ وأخيرا فان الفلاحين يمثلون الأقدام .

وقد سبق أن تنبأ كل من أفلاطون وأرسطو بهذه الفكرة وعقد الأكوينى هذه المماثلة العضوية ثم ظهرت فى عبارة أكثر وضوحا عند كل من مارشيليو أوف بادوا ونيكولاس أوف كويسا Nicholas of cusa وقد نالت الفكرة كل الاستحسان القبول بسبب توافقها مع النظام الاقطاعى فى العصور الوسطى ، الذى يتكون من الأمراء الحكام ، ورئيس الأساقفة والنبلاء والنواب والفلاحين وغيرهم وقد لخص الأستاذ راندال J. H. Randall الطبيعة الوظيفية لمفهوم المجتمع :

«ان الظاهرة الأساسية فى حضارة العصور الوسطى هى الانسجام الكامل بين الفرد والمجتمع فالمجتمع يتكون من تسلسل كبير من الأوامر الصاعدة حيث لكل انسان وظيفة عينها له الرب والتزمات معترف بها ، كما أن له حقوقه وامتيازاته . وكل انسان عضو فى اقطاعية أو جماعة وكل اقطاعية عضو ضرورى فى الكل يؤدى وظيفة خاصة به ؛ كما أنها فى نفس الوقت — ضرورية للحياة الكلية للبلاد المسيحية . ولا يستطيع الانسان تحقيق أغراضه الا من خلال اشتراكه فى حياة الجماعة ، ولكن المجتمع

لا يستطيع توفير الموقف المناسب للحياة الكلية لأعضائه الأفراد الا من خلال مساعدة كل فرد من أفراد وكل جماعة من جماعاته ويوجد جميع الناس من أجل الآخرين ويرتبطون معا بمجموعة من الالتزامات المتشابكة» •

وهذه النظرة الوظيفية للمجتمع اكتسبت شهرة فى عصرنا بفضل الاقتصاديين الأحرار مثل تامنى R. H. Tamney وقد بدأ الفكر السياسى والاجتماعى تنضج فى القرن الثالث عشر مع أعمال البرتوس ماجنوس Albertus Magnus (١٢٠٦ — ١٢٨٠) ، الذى حاول التعبير عن النظرة المسيحية تعبيرا فلسفيا فاستعان بمنطق أرسطو وفلسفته وأدخل سياسة أرسطو عندما تناول المشاكل السياسية كما مهد الطريق للعمل الذى انجزة تلميذه توماس الأكوينى Thomas Aquinas (١٢٢٥ — ١٢٧٤) الذى كان كتابه نظام الحكم الاساسى De regimine principum أعظم المؤلفات التى ظهرت خلال العصور الوسطى فى الفكر الاجتماعى والسياسى •

وكفيلسوف مدرسى قبل توماس الأكوينى مبدأ أرسطو عن النزعة الاجتماعية الفطرية عند الانسان كما أخذ بتحليله للأجهزة السياسية وأشار الى أن المجتمع المدنى يتضمن ثلاثة أفكار رئيسية هى : الأولى : أن الانسان اجتماعى بطبعه • الثانية يضم المجتمع مجموعة من الأغراض والمصالح ولا يستطيع الانسان تحقيق مصالحة بصورة أفضل الا من خلال العلاقات الاجتماعية الثالثة : أن القوة العليا ضرورية لتوجيه المجتمع من أجل المصلحة المشتركة ، ولمساعدة الحاكم على استخدام قدراته الفائقة من أجل منفعة المجتمع • كما أن أصل الدولة كامن فى الحكم الأبوى الطبيعى الذى يمارسه رؤساء الأسر • ومن أجل خلق تنظيم سياسى كبير يتسم بالكفاءة والفاعلية لابد من تفويض هذه السلطات لرئيس عام من خلال التعاقد •

ويبرهن الأكوينى على روحه المدرسية الصادقة بأن مزج العقيدة المسيحية بالنظرية الأرسطية وأشار الى أن السلطة السياسية تأتى كلية من الآله وحده ، ولو أنه قد يفرضها الى الشعب ومعنى ذلك أن القوة الأساسية أدنى من القوة الدينية وقد أنكر الأكوينى أن دولة المدينة هى التنظيم السياسى المثالى واتخذ خطوة فى اتجاه ماكيافيللى ، بأن أعلن

موافقته وتفضيله لدولة الاقليم الذى يتكون من عدة مدن كما اتبع جون أوف سالسبسيورى فى تخطيطه للمائلة العضوية للدولة .

ونظريات الأكوينى عن أثر الطقس على المجتمع والثقافة تجسد الفكر التقليدى العام فى العصور الكلاسيكية كما هو واضح فى كتابات أرسطو ولكن الأكوينى أضاف من عنده تعليقات أصلية ويقضى هذا الفكر التقليدى بأن شعوب المناطق المتوسطة أو ذات الطقس المعتدل هى الشعوب المتفوقه وتستخدم الفكرة لتعظيم شأن أوربا المسيحية .

دانتى Dante (١٢٦٥ — ١٣٢١) وضع دانتى نظريات السياسية فى خدمة مشروع من أجل اقامة النظام الملكى الأوربى العالمى ومن أجل التنسيق بين سلطتى الكنيسة والدولة وقد وضع هذا المشروع كى يضع حدا للنزاع العالمى لكى يستطيع المجتمع تحقيق وظيفةبأن يجعل الانسان قادرا على ممارسة قدراته الفكرية فى التأمل والتفكير دون معوقات وعندما نسق بين من ناحية وبير دوبوا وماريشيليوا من ناحية أخرى . فقد دافع العالمان الأخيران من تفوق الدولة وسموها فى حيث أن الأول دافع عن سمو الكنيسه ولاشك كتاب دانتى يمثل عبارة مكتوبة على قبر الماضى السياسى ولكنه لا ينبىء «بشىء» عن المستقبل . وقد حطمت البروتستانية الكنيسة العالمية كما أن النزعة القومية أن أضرت بكل المفاهيم الامبراطورية ومثل النظام العالمى .

وفى كتابه المشهور المسمى المأدبةThe Bannuet عرض دانتى تفسيرا هاما للتقليد كعملية اجتماعية وبذلك تنبأ العالم الفرنسى جبرائيل تارد وعند مناقشة طريقة نشأة الشهرة والسمعة السيئة أوضح الطريق الذى يسير فيه التقليد بنسبة هندسية وكيف ينحرف عن طريقه .

٢ — العصور الوسطى المتأخرة :

لقد حدثت تغيرات فى المجتمع الأوربى بين عام ١٣٠٠ وعام ١٦٠٠ أحدث عدة تطورات أخرى فى النظرية السياسية وهناك عدة أفكار سادت التفكير فى العصر الوسيط من أهمها مذهب مافوق الطبيعة عند المسيحية

ونظام الاقطاع والمثل الامبراطورية فضلا على الصراع بين الكنيسة والدلة . ودارت المناقشات : نشأة الملكيات قوة الدولة المتزايدة قيام الحكومة النيابية .

أما الهجوم الأول على أفكار العصر الوسيط فيتمثل فى نقد المبدأ القائل بتفوق الكنيسة على الدولة ، كما ثار الشك ازاء فكرة دانتى عن التنسيق بين سلطات ووظائف الكنيسة العالمية والامبراطورية .

وعاد القانون الرومانى فى الظهور عام ١٠٨٥ تقريبا ليشجع مبدأ تفوق الدولة على الكنيسة وعلى كل النظم الأخرى . وقد وقف خبراء القانون الرومانى الى جانب الملوك والأباطرة فى ادعاءاتهم الدنيوية وأعلنوا أن قوة الدولة مطلقة ونستطيع القضاء على معارضة أية جماعة بداخلها . وكان بيير دبيوا (١٢٥٥ـــ١٣٢١) قد دافع فى كتابه De recuperatione terre عن فيليب العادل فى صرعه ضد البابا بونيفاس الثامن pope Boniface VIII وقد حذر البابا من التدخل فى الشئون الدنيوية لأن مثل هذا التدخل ـــ فى الماضى كلف المسيحيين ملكية الأرض المقدسة . وقد وضع برنامجا للصلاح الاجتماعى ، ومن بين ما طالب به اعادة بناء الحكومة الفرنسية واصلاح القانون وتسهيل تحقيق العدل وأن يكون عمليا ومصادرة ممتلكات الكنيسة وتجديد الجيش الفرنسى استخدام التحكيم الدولى لانهاء الخلافات بين الدول ويعتبر دى بوا الشخصية الراديكالية الاجتماعية الرئيسية فى العصور الوسطى .

مارشيلو أوف بادوا (١٢٧٠ ـــ ١٣٤٢) :

يعتبر كتابه Befensor pacis من أهم الكتب لتى صدرت فى العصر الوسيط وهاجم الكنيسة الكاثوليكية بروح وعصرية فولتير ، وهاجم بقوة المبدأ الكاثوليكى الأساس المتعلق بأولوية القديس بطرس . وأعلن أن القساوسة ليسوا سوق قساوسة للخلاص ، ولقد أنكر امتثالهم لقوة العفو عن الذنوب كما أنذر عليهم أى حق ليتدخل فى الشئون الدنيوية . وكان مارشيلو أقل أصالة من ناحية الفكر الاجتماعى والسياسى وفسر المجتمع بالقول ان المجتمع ضرورى لنوع الانسانى كى يستطيع القيام بالانشطة التعاونية الضرورية للوجود الجماعى والراحة الانسانية . ولكن المجتمع غير

المنظم قد يصل الى حالة الاضطراب،ولما كانت الحكومة المدنية لاغنى عنهافان الناس يفوضونها السلطة السياسية لانهم يجمعون فى أيديهم دائما قوة السيادة وكان مارشيلوا أول من دافــع عن السيادة الشعبية والحكومة النيابية وهى من متعقدات السياسة العضوية ، كما أكد مارشيلوا الوحدة العضوية والطبيعية الوظيفية للمجتمع بتوزيع المماثلة العضـوية بطريقة شاملة ، وان المهن تتوافق من أعضاء الجســم وقد فصــل مارشيلوبين السياسة والدين وبذلك يكون قد سار خطوه فى انجاز الطقس الذى قام به حاكيا فيللى ،

نيقولا أوف كوسا Nicholas of cuasa (١٤٠١ — ١٤٦٤) قدم نيكولا كتابا بعنوان De concordantia catholica حيث عرض أعظم تطور ظهر فى المماثلة الوظيفية بين الكائن العضوى الفرد وبين الدولة،وقد ادخل أيضا مفهوم علم الأمــراض السياسية ، وبذلك يكون قد أحيا لعبــارة الأفلاطونية التى تميز الحاكم بأنه طبيب الدولة المريضه فينبغى عليه أن يصف لأمراض الدولة أحسن البضائع التى يمكن أن يقدمها المفكرون — الاجتماعيون فى المــاضى والحاضر ، كما أكد فترة الموافقة الشــعبية كأساس ترتكز عليه السلطة السياسية ، كما وضع مشروعا أصيلا للحكومة النيابية (١٠) ،

---

(١) بول ماسون او رسيل — الفلسفة فى الشرق ترجمة محمد يوسف موسى دار المعارف — القاهرة ١٩٧٤م.

الفصـل السـادس

الفكـر الاجتمـاعى عنـد المسـلمـين

يعتبر القرآن الكريم ــ فى نظر المسلمين ــ مصدر العقيده وهـو ينبوع الآراء والأحكام والمعاملات الشرعية •وهو دليل عملْ واسـلوب لأحداث التغيير الاجتماعى والارتقاء بالمجتمع الانسانى فضلا عن أفراده • لانه يتناول موضوعات اجتماعية مختلفة ويتناول كل ما يطرأ على المجتمع من المشاكل •

والاسلام يخضع الجماعات الانسانية كلها لنظام موحد ويرتفع فوق التناقضات السلالية والعنصرية والعرقية • ففى أطار الوحدة الدينية يمكن أن تتعدد العادات وتتنوع ــ التقاليد ويمكن أن نجد أجناسا ولهجـات وسلالات ــ وطبائع مختلفة تربطها ديانة واحده أى أن المجتمع الانسانى يتنقل من مرحلة الجزئيات المختلفة الى مرحلة التجانس والاطار الفكرى الموحد ونستطيع أن نتأمل هذه الآيات القرآنية الكريمة :

« انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » •

« ان أكرمكم عند الله اتقاكم » •

« لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » •

« كلكم لآدم وآدم من تراب » •

ولم ينتشر الاسلام كديانة فحسب بل كأسلوب فكرى•• وقد حدد القرآن الكريم مبادىء مرنة القصد منها استمرار المجتمع الاسلامى بأن يتوائم دائما مع الظروف المتغيره •

ولا شك أن المصادر الأساسية للفكر الاسلامى هى :

١ ــ القـرآن الكـريم •

٢ ـ الأحاديث النبوية الشريفة : يفسر الحديث ما أجمله القرآن الكريم ويعطى صور صوره تطبيقية لمـا انطوى عليه من مبادىء اجتماعية •

٣ ـ الاجتهاد : نظرا للاتســاع الاقليمى والجغرافى للمجتمــع الاسلامى تظهر بعض المشكلات ، التى تتطلب ابداء الرأى فيها •

والى جانب ذلك خضع المفكرون الاسلاميون آخرى فقــد اتصلوا بالحضارات الأخرى واطلعوا على ما خلفته من تراث انسانى ثم قدموا من جانبهم تفكيرا أثرى الفكر الانسانى بصفة عامة • وسيتناول هنا الفارابى، ابن سينا ، ابن باجه وابن خلدون •

الفـــارابــى

اطلق على الفارابى لقب المعلم الثانى لأنه تبنى كثيرا من أراء أرسطو الى جانب تأثيره بالافلاطونيه الشرقية التى ظهرت على يــد أفلوطــين الاسكندرى ـ ويمثل الفارابى الاتجاه اليويتوبى فى الفكر الاسلامى عندما نشر كتابه «أراء أهل المدينة الفاضلة» وسنعرض هنا ـ لأهم أرائه فى هذا الموضوع •

١ ـ طبيعــة المجتمــع :

يأخذ الفارابى بفكرة أرسطو القائمة بأن الانسان مدنى بالطبع وان الاجتماع ضرورى لاشباع الحاجات الضرورية للأفراد ، فضــلا على أنه يشير الى أهمية تقسيم العمل والتخصص الاجتماعى كأساس لبناء المجتمع • فهو يقول ان الانسان لا يستطيع وحده اشباع كل حاجاته بل يحتاج الى قوم يقدمله كل واحد منهم شيئا مما يحتاج اليه يتأتى هذا الا باجتماعات كثيرة •

٢ ـ أشــكال المجتمــع الانســانى :

قسم الفارابى أشكال المجتمع الانسانى الى اجتماعات انسانية كاملة واجتماعات انسانية غير كاملة فتتكون من ثلاث مستويات من المجتمعات هى الوسطى والدنيا ـ فالعظمى هى اجتماعات الجماعة كلها على المستوى

الانسانى فى المعموره والصغرى هى اجتماع أهل المدينة ، أما الوسطى فهى اجتماع أهل الأمة الواحدة • أما عن المجتمعات غير الكاملة فيصنفها الى ثلاث مراتب : أكملها هى اجتماع أهل القرية أو أهل الحله (جزء من المدينة) ويليها اجتماع أهل السكة وأخيرا اجتماع أهل المنزل •

ويبدو أن أساس هذا التقسيم هو مدى ما يمكن أن يتحقق فى نطاقها من مظاهر التعاون فى اشباع الحاجات ومدى حاجة بعضهـا لبعض • فجماعة المنزل فى حاجة الى جماعة القرية وجماعة القرية أو أهل الحله فى حاجة الى جماعة المدينة فالقرية خادمة لأنها تمدها بالحاجات الضرورية • كذلك فان اجتماع السكة جزء من اجتماع الحله واجتماع الحلهجزء من اجتماع المدينة وهى تمثل حاجة الجزء الى الكل • اذا استطاعت المدينة تكوين وحدة سياسية دخلت المدينة نطـاق الجماعـات الكاملة فى أولى مراحلها • واذا تعاونت عدة مدن وأخذت شكل الأمة أصبحت أعلى مرتبة من ناحية الكمال • ولا شك أن الشكل الأمثل هو اجتماع العالم فى وحدة سياسية تحت سيطرة سلطة واحدة •

ثم يركز الفارابى على النواحى المثالية التى ينبغى أن تتحقق كى تصبح هذه الأشكال فاضلة ومقياس ذلك هو مدى ما نحققه لأفرادها من سعادة فالاجتماع الفاضل هو يتعاون فيه الأفراد من أجل السعادة والأمة الفاضلة التى تتعاون مدنها فى سبيل السعادة •

وأخيرا المدينة الفاضلة هى المدينة التى يتعاون أفرادها فى سبيل انجاز الأمور التى تتحقق بها سعادتهم وذلك بأن يختص كل فرد من أفرادها بالعمل الذى يتقنه •

٣ — البنــاء الاجتمــاعى للمدينــة الفاضلة :

الفارابى يشبه المجتمع بالكائن الحى فهو يقول ان المدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح الذى يتعاون أعضاؤه فى سبيل حياة الكائن الحى والمحافظة عليه • وكما أن أعضاء الجسم مختلفة ومتفاضلة ويعتبر القلب أهمها ومصدر حياتها كذلك يعتبر الرئيس مصدر حياة مدينته ودعـامة

نظمها وسبيل سعادتها . وكما أن القوى العضوية تتفاوت فى الأهميـة ، كذلك وظائف المدينة وهيئاتها تتفاوت فى القدرة وفى المهنة .

فالبناء الاجتماعى للمدينة الفاضلة للمدينة يتكون من الرئيس الذى يمثل القمة ثم أعضاء تقرب مراتبهم من ذلك الرئس ، وقد جبل منهم على قوة فيه بالطبع . وفى الرتبة التالية يأتى أعضاء مزودون بملكات تعقل بها ما تبتغيه الطبقة العليا . ودون هؤلاء قوم يفعلون الأفعال على حسب اغراض هؤلاء . وهكذا تتدرج المراتب حتى الى طبقة من الناس يخدمون ويكونون هم الأسفلون .

وتبدو الاراء المثالية عند الفارابى فى معالجته للشروط الواجـب توافرها فى رئيس المدينة الفاضلة كما يذكر عوامل تماسك وترابط المجتمع: الانحدار من أب واحد ، المصاهرة وحدة الجنس والسلالة ، الاشتراك فى اللغة والاشتراك فى التناسل وتشبه الخلق والشيم الطبيعية والاشتراك فى البيئة الطبيعية .

ويؤخذ على الفارابى الخثة بالنزعة الذاتية وابتعاده عن الناحية الموضوعية فهو قد ركز جهده على ما ينبغى أن يكون عليه شئون الاجتماع وتأثر تأثرا كبيرا بالفلسفة وغالى فى اصدار الأحكام التقيمية عند اجراء دراساته التحليلية المقارنة .

ابـن سـينا

جاءت معظم أراء ابن سينا فى كتابه «الشفاء» وتستند على بعض أراء أفلاطون والفارابى ولكنها تعكس أيضا شيئا من واقع العصر الذى عاش فيه .

١ ــ طبيعـة المجتمـع :

تختلف حياة الانسان عن حياة الحيوان . فالاخير يحيا حياة غريزية طبيعية . أما الانسان فله حاجات كثيرة متنوعة وهذا الأمر تطلب أن يقوم المجتمع على تعاون الأفراد وهـذا التعاون لا يتـم الا بتفاوت كفاءاته

الأفراد . والتفاوت بالذات حكمة آلهية . ومعنى هذا أن طبيعة المجتمع الانسانى تقوم على التفاوت فى القدرات والتنـوع فى التخصـصات وتقسيم العمل الاجتماعى والتعاون المشترك .

٢ ـ التفـاضـل الاجتمـاعى :

ان تفاضل الناس من حيث الأموال والآراء منه أنعم الله بها عليهم فى سبيل حفظ بقائهم وازدهار حياتهم ، فلو كانوا متساوين فى الأموال والأقدار كان ذلك أدعى الى فنائهم وانقراضهم . والحقيقة أن الناس لو كانوا كلهم ملوكا لـما استطاعوا أن يتعاونوا فى أعمالهم وان يتفاهموا فيما بينهم . ويحاول كل منهم أن يستبد بالسلطة وان يحتكـر الجـاه لنفسه . وينشأ عن ذلك نشوب النزاعات بينهم كذلك الحال اذا جـاءوا جميعا فقراء . أما اذا كانوا مختلفين فى أقدارهم أدى هذا الى استمرار بقائهم واقتناع كل منهم بحظه . فالغنى المحروم من التفكير والادب قانع بما له فالمـال عند الغنى خير من الأدب والتفكير . والأدب والتفكير عند الفقيرخير من المـال والمتـاع وهكذا .

يوضح كل هذا ان الحياة لا تقوم على التشابه وانمـا تقوم على التباين والاختلاف والتفاضل .

٣ ـ وجوه الدخـل والانفـاق :

يحتاج الناس جميعا الى القوت واقتنائه . ولكنهم يختلفون فى وجوه اكتسابه وقد حدد ابن سينا وجوه كسب الرزق منها ما يأتى عن طريـق الوراثة ومنها ما يأتى عن طريق كسب . يجب أن يأتى الرزق من وجوه معنية ، فهى تؤدى بالمرء الى صلاحة واستقامة حياته أما اذا خالف هذه الوجوه فهى تؤدى به الى الفساد واضطراب الحياة . فيجب أن يأتى الرزق من الاشتغال بصناعة ، وأن يعرق الانسان ويبذل جهدا واضحا . والا يكون ماله محرما كأن يكون قد سرقه أو غش انسان آخر . فالرزق القليل الذى يأتى من طريق حلال خير من الكسـب الكثير المسروق أو الذى يأتى عن طريق الغش .

ثم حدد ابن سينا وجوه الانفاق • فهناك وجوه واجبه وأخرى غير واجبه • والوجوه الواجبة قسمان : قسم يتعلق بنفقات الانسان فى أمور معاشه وقسم يتعلق بأعمال البر •

٤ ــ الدولة والمدينـــة :

الدولة منذ ابن سينا هى المدينة التى تؤلف دونة كالحال عند الفلاسفة اليوانان • ويبدو انه تأثر بالفارابى فى هذه الناحية فى مدينه الفاضلة ولكنه يختلف عنه فى ناحتين :

اولى ان المدينة الفارابى مثالية فى حين آن مدينة ابن سينا ســـينا أقرب الى الواقعية أما الناحية الثانية فهى أن الفرابى يميل الى جانب الفلسفة فى حين أن ابن سينا يغلب عنيه جانبى الدين والاجتماع •

ويقول ابن سينا ان المدينة مجتمع من الناس يقوم على تعاون الأفراد فالانسان لا يحسن المعيشة اذا انفرد وحده ــ فلا يستطيع انســـان أن يتولى تدبير أهله من غير شريك يعاونه على اشباع ضروريات حاجته لان الانسان كائن اجتماعى كما قال أرسطو •

ثم يقسم طبقات المدينة الى ثلاثة هم المدبرون والصناع والمحفظة • وينبغى تنظيم هذه الفئات تنظيما متسلسلا ، فينصب الحاكم فى كل فئة منها رئيسا وهو بدوره ينصب تحته رؤساء الى أن ينتهى الى أغنياء الناس فلا يكون فى المدينة انسان معطل ليس له مقام محدد بل يكون لكل منهم منفعـــة •

ويعالج مشكلة البطالة بنفى العاطلين من المدينة أو حملهم على اصطناع الحرف وعلى الحاكم أن يردعهم واذا لم يرتدعوا نفاهم من الأرض •

ومصادر حال المدينة ثـــلاثة : الضرائب على الثمرات والنتـــاج ، والغرامات التى تفرض عقوبة على المجرمين والغنائم •

وقد نبه ابن سينا الى بعض المشكلات الاجتماعية التى يبدوا أنها كانت منتشره فى عصره القمار واللصوصية والقوادة والربا • كما أشار

الى يلتين تهدمان أركان المدينة وهمـا الزنا واللواط لانهما يؤديان الى الاستغناء عن الزواج • ويعلى ابن سينا من أمر الزواج ويشترط فيه أن يكون ثابت الدعائم فلا تقع التفرقة بين الزوجين لأقل سبب •

ابـن باحـــه

ما يهمنا من ابن باحه هو آراءه الاجتماعية التى جاءت فى كتـابه «تدبير المتوحد» وفيه يتحدث عن المدينة الفاضلة على نحو ما نجده عند الفارابى كما يعالج الانسان الفاضل ، والانسان المتوحد (هو الانسـان الفاضل الذى يعيش فى مدينة غير فاضلة) •

١ ــ عـلاقة الفـرد بالمجتمـع :

الانسان كائن سياسى وهو مدنى بالطبع ، فهو يعيش فى جمـاعة ويعتبر الاعتزال شرا اذا كان الفرد يحب العزلة لذاتها أما اذا كان الاعتزال يهدف تجنب الفاسدين من أهل مجتمعه فهو من روب الخير •

والدولة هى أكبر وحدة اجتماعية ويعبر عنها بالمدينة على نحو مانجده عند الفارابى وقد تكون المدينة فاضلة وقد تكون المدينة فاسدة ويعبر عن سياسة المدينة أو الدولة بمصالح «تدبير المدينة» والتدبير الفاضـل هو التدبير الكامل الذى يشمل مدن العالم كله • فهو يعتقد ان نظام العالم كامل محكم لا خلل فيه •

٢ ــ المدينــة الفـاضـلة :

تقوم المدينة الفاضلة على أساس الفضيلة التى تحكم العـلاقات الاجتماعية بين الأفراد بحيث لا تحتاج المدينة الى أطباء وقضاة لان أهل المدينة الفاضلة متحابون ولا يقع بينهم نزاعا وبذلك لا يحتاجون الى قاض• كما أن غذائهم يكون وفيرا ونظيفا بحيث لا تصيبهم أمراض وعلى ذلك لا يحتاجون الى أطباء والبدن الحسن يستطيع أن يعتنى بنفسـه فتبرأ جروحه حتى العظيمة منها من تلقاء نفسها •

وفى المدينة الفاضلة يؤدى كل شخص العمل الذى يجيده،وهو يقصد بأفعاله نفع المدينة الانسان الفاضل جزء من المدينة الفاضلة .

٣ ــ المــدن النــاقصــة :

المدن الناقصة عند ابن باجة أربعة ولكنه لم يطلق عليها أسماء . وكلما كانت هذه المدن أبعد عن الكمال كانت الحاجة فيها الى الأطباء والقضاة . وميزة أهل المدن الأربع انهم يجعلون لانفسهم ملذات جسمية ما لم يكونوا جاهلين لا يعرفون ماذا يريدون .

٤ ــ تــدبــير المتــوحــد :

قد يعيش فى المدينة غير الفاضلة شخص أو أكثر من الفضائل ويسميهم ابن باجــه « بالنوابت » وقــد اســتمد هــذه التسمية من تشــبيههم بالنبات الذى ينمو من تلقاء نفسه بين أنواع الزروع لان آراءهم تخالف آراء الذين يعيشون معهم . وهؤلاء النوابت من الفــلاسفة والقضــاء والأطباء ،ووجودهم ضرورى فى المدينة غير الفاضلة حتى ينتفع الأهالى برعايتهم وهدايتهم ولكنهم يعيشون فى المدينة غرباء ــ واذا كثر عــدد النواب فى المدينة الفاضلة ساعدوا على أن تصبح مدينة فاضلة .

وينقسم السلوك الانسانى الى قسمين : بهيمى وانسانى ــ فالسلوك البهيمى هو السلوك الذى ينبنى على الحاجة أو الانفعال ، فاذا اندفع الفرد الى الطعام بدافع الجوع المحض فانه يعمل عملا بهيميا لأن الحيوان يقوم على الطعام والشراب بدافع الغريزة وحدها ، وليس له غاية وراء الشبع . ولكن غاية الانسان هو القيام بالأعمال المثلية كذلك الســلوك القادم على الانفعال فاذا ضرب البغل ضربا شديدا فانه يرفس ، وهو لا يفكر نتيجة فعله ، فالفضل ليس سوى انفعالا طبيعيا يؤدى الى نتيجــة لا دخل لارادته فيها ، أما انفصال الانسان فهو صادر عن الارادة والعقل ويدرك تماما نتائج أفعاله .

ولكن الانسان مختلف عن الحيوان . فالانسان مؤلف من جزئين ، جزء عاقل ثم جسد له حاجات ضرورية لابد من اشباعها . ولذلك لا يمكن أن

يكون فعل الانسان محضا انسانيا بل يخالطه جزء بهيمى • ففى عملية الطعام فعلا متميزان الدافع الطبيعى الموجود عند الحيوان ثم الغاية لقصوى المبنية على ارادة عاقلة • فالانسان يقصد من طعامه حفظ حياته لمتابعة جهوده الانسانية او لينال السعادة العقلية أو السعادة الروحانية •

ونلاحظ أن أراء ابن باجه الاجتماعية تنطوى على لمحات من فهم السلوك ولكن شابها لون من التفكير المثالى الخيالى • (١)

ابــن خلـــدون

ولد ابن خلدون فى نوفمبر سنة ١٣٣٢ م • من اسرة ترجع الى أصل يمنى حضرمى استقرت فى الأندلس • ودرس كثيرا من العلوم التى كانت سائدة فى عصره من تاريخ وفلسفة وسياسة كما شغل كثيرا من المناصب الحكومية وقام بكثير من الرحلات فى الشرق والغرب وعمل فى السلك السياسى لدى كثير من الأمراء فى الأندلس وبلاد المغرب ثم أقام بمصر منذ سنة ١٣٨٢م حتى قبيل وفاته سنة ١٤٠٦م وتولى فيها كثير من الوظائف فى التدريس والقضاء •

وأهم مؤلفات ابن خلدون التى كان لها صدى عميق وتأثير ضخم مقدمته فى التاريخ واسمها بالكامل •

«كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» • وفى هذا الكتاب يعرض (ابن خلدون) فكرة الأصيل فى انشاء علم العمران ونظريته فى فلسفة التاريخ •

---

(١) انظر : آدم متز • الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري او عصر النهضة الاسلامية «المجلد الثانى» نقله الى العربية د • محمد عبد الهادى ابو ريده دار الكتاب العربى بيروت ١٩٦٧ •

— سير توماس آرنولد — تراث الاسلام — تعريب جرجس فتح الله — دار الطليعة بيروت ١٩٧٢ •

— جوستاف • فون جرونباوم — حضارة الاسلام — نقله الى العربية عبد العزيز توفيق جاويد وراجعه عبد الحميد العبادى — مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٦ •

اولا : الأسباب التى أدت الى دراسة ظواهر الاجتماع :

لاحظ (ابن خلدون) أن المؤرخين من قبله قد امتلات مؤلفاتهم بأخبار لا تحتمل الصدق ولا يمكن أن تتفق مع الواقع فى شىء ودعاه ذلك البحث عن الأسباب التى تقود المؤرخين الى الخطأ فى كتاباتهم وقد رأى ان من هذه الأسباب ما يأتى : —

١ — التشيعات للاراء والمذاهب ٠

٢ — الذهول عن المقاصد أى عدم معرفة الدوافع الحقيقية لواقعة تارخية معينة ٠

٣ — التقرب من ذوى الشـــأن ٠

٤ — جهل المؤرخين بالقوانين التى تخضع لها الظواهر الطبيعية ٠

٥ — جهلهم بالقوانين التى تخضع لها ظواهر الاجتماع الانسانى ٠

والاسباب الثلاثة الأولى تعتبر من الاساليب الذاتية التى لا عــذر للمؤرخين فيها ولعل السببين الأخرين من أهم أسباب الخطأ فى الوقائع التاريخية ومرجعة جهل المؤرخين بالقوانين التى تخضع لهــا الظــواهر الطبيعية كالفلك والكمياء والطبيعة والحيوان والنبات ووظائف الأعضاء وما اليها وقد أدى ذلك الى أن يأتوا فى مؤلفاتهم باخبارا لا تسمح قوانين الطبيعة بحدوث مثلها وهذا السبب أيضا لا عذر للمؤرخين فيه لان العلوم الطبيعية كانت قد وصلت فى عصر (ابن خلدون) الى درجة كبيرة من النضج وكان علماؤها قد اهتدوا الى كشف طائفة كبيرة من القوانين التى تخضع لها ظواهر بحوثهم وكان الواجب على المؤرخين أن يلموا بالنتائـــج التى انتهى الباحثون الى كشفها فى العلوم الطبيعية ٠

أما الجهل بالقوانين التى تخضع لها مظاهرات الاجتماع الانســـانى أو كما سماها (ابن خلدون) واقعات العمران فلهم العذر فيه وذلك انه الى عصر ابن خلدون لم تكن هذه القوانين قد اكتشفت بعــد لان ظاهــرات العمران لم تدرس قبل دراسة ترمى الى بيان طبيعتها والكشف عما تخضع

له من قوانين وانما درست لأغراض أخرى كبيان ما ينبغى أن تكون عليه أو بيان الوسائل المؤدية الى اصلاحها أو تثبيتها • ولما كان ابن خلدون حريصا على تخليص البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة وعلى عصمة المؤرخين من الوقوع فى الخطأ ؛ فقد قام هو نفسه بانشاء هذه الدراسات الجديدة لظاهرات الاجتماع وقام على ضوء هذه الدراسة بمحاولة الكشف عن القوانين التى تخضع لها هذه الظاهرات ومن هذه الدراسة يتألف علم جديد سماه ابن خلدون (بعلم العمران) وهى تسمية أدق تعبيرا لأن العمران لا يصدق الا على المجتمع الانسانى وقد قرر (ابن خلدون) انه بحسب معلوماته وما وصل اليه من مؤلفات لم يسبقه أحد اليه فقد جاء فى مقدمته المشهورة (وكأن هذا العلم مستقل بنفسه ، فانه ذو موضوع وهو العمران البشرى والاجتماع الانسانى ••) وكان ابن خلدون صادقا فى قوله الى حد بعيد •

ثانيا : موضوع الدراسة وأغراضها ومناهجها :

وموضوع هذه الدراسة عند (ابن خلدون) هو ما سماه واقعات العمران ، ولم يحاول (ابن خلدون) أن يعرفها أو يبين خواصها وانما اكتفى بالتمثيل لها فى أول مقدمة (كالتوحش والعصبيات وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش) والأغراض المباشرة لهذه الدراسة عندهترمى الى الكشف عن طبيعة الظاهرات الاجتماعية والوصول الى القوانين التى تخضع لها •

أما منهج الدراسة فهو يرى أن يكون منهجا علميا يعتمد على الاستقراء والملاحظة وكما يقول (قياس الغائب بالشاهد والحاضر بالذاهب ، مع من الرحلات ومايراها الباحث فيها رؤية العين ومن المؤلفات التى تعالج الموضوع المدروس •

ويمكن تحديد خطوات المنهج عند (ابن خلدون) فى النقاط الآتية :

١ — ملاحظة الظواهر ملاحظة مباشرة •

٢ — تعقب الظاهرة الواحدة فى تاريخ الشعب الواحد فى مختلف

المراحل التاريخية مع تحرى الصدق فى الروايات التاريخية بمطابقتها مع أصول العادات وما هو متبع فى هذه المجتمعات •

٣ — استخدام منطق المقارنة فنقارن الظاهرة بغيرها من الظواهر المرتبطة بها نفس المجتمع كما نقارن بينها وبين غيرها فى المجتمعات الأخرى •

٤ — استخدام منطق التعليل بعد جمع المواد الأولية المتصلة بالظاهرة وذلك للوصول الى القوانين العامة التى تحكم الظواهر المختلفة •

فالطريقة التى يبحث بها «ابن خلدون» الخبر ترجع الى وجوب البحث عما اذا كان الخبر ممكن الحدوث أو انه غير ممكن لمناقضته لطبائع العمران وكان ابن خلدون يرى ضرورة تفسير الظاهرات وتحليلها والاعتماد فيها على المنهج المقارن •

كما يجب قياس الأخبار على طبيعة العمران ودراسة تطور الظاهرات والنظم العمرانية المختلفة حتى يستقيم التاريخ ويستقيم التفكير فى شئون العمران ومعنى ذلك ان (ابن خلدون) اتبع فى بحثه الطريقة الوضعية التى تعتمد على تمحيص الخبر قبل تقريره وعلى التفسير العلمى فهو يؤمن بالملاحظة وبما هو قائم فعلا من واقعات العمران • وهذه نزعة علمية تدل على عظمة هذا المفكر ونفاذ بصيرته بالنسبة لمستوى زمانه حيث لم يكن المفكرون يهتمون بدراسة الظواهر الاجتماعية لذاتها •

ثالثا : اقسام الدراسة :

يقسم (ابن خلدون) كتابه الى ستة فصول تستوعب تقريبا كل فروع الظواهر الاجتماعية المتجانسة فى طبيعتها وهذه الأقسام هى :

أ — فى العمران البشرى وأصنافه وهو يقابل عند المحدثين علم الاجتماع العام •

ب — فى العمران البدوى والأمم الوحشية وهو يقابل علم الانثرولوجى •

جـ — فى الدول والخلافة والملك وهو ما يقابل علم الاجتماع السياسى •

د ـــ فى العمران الحضرى والبلدان والامصار وهو ما يقابل علم الاجتماع الحضرى والريفى •

هـ ـــ فى البضائع والمعاش والكسب وهو ما يقابل علم الاجتماع الاقتصادى

و ـــ فى العلوم واكتسابها وتعلمها وهو ما يقابل علم الاجتماع التربوى •

وفى ثنايا ظواهر القسم الأخير كثير من الظواهر المختلفة كالظواهر القضائية والعائلية والخلقية والدينية واللغوية والجمالية •

رابعا : النتائج العامة لأبحاث ابحاث ابن خلدون :

يبحث ابن خلدون فى الاجتماع الانسانى ويقرر ضرورته لحاجة الأفراد الى تبادل المنافع وللتعاون ضد الوحوش الضاربة لحماية أنفسهم •

ويبحث ابن خلدون فى تطور المجتمع واشكاله فيحدد له شكلين هما البدو والحضر ويرى أن البداوة أصل للحضارة وسابقة عليها وهذه بلا شك نظرية لها أهميتها فى علم الاجتماع الحضرى الذى يهتم ظاهرة تكوين المدن وأسبابها وكيفية حدوثها فابن خلدون فى دراسته كان يدرس كل طائفة من طوائف الظواهر الاجتماعية على حدة ويستخلص من دراسته لهـــا ماهدته اليه ملاحظاته من أفكار وقوانين فى دراسته للظواهر الاقتصادية• مثلا لتنتهى الى عدة قوانين منها •

ان الأمصار اذا قاربت الخراب انتقضت منها الصنائع • ومن دراسته لظواهر السياسة انتهى الى أن المجتمع البشرى شأنه شأن الفرد الذى يمر بمراحل منذ ولادته حتى وفاته وأن للدول أعمار كالاشخاص سواء بسواء وعمر الدولة فى العادة ثلاثة أجيال والجيل أربعون سنة فعمر الدولة اذن مائة وعشرون سنة وخلال هذه الأجيال الثلاثة يمر المجتمع بأربع مراحل :ـــ

١ ـــ المرحلة الأولى هى مرحلة البداوة •• وهى المرحلة التى يقتصر فيها الأفراد على الضرورى من أحوالهم ويكونون عاجزين عن تحصيل ما فوق الضروريات وتتميز هذه المراحلة بخشونة العيش وتوحش الأفراد وبسالتهم كما تتميز بوضوح العصبيات وضعف الروح الفردية •

٢ — والمرحلة الثانية هى حالة الملك وفيها يتحول المجتمع من البداوة الى — الحضارة من الشظف الى الترف ومن الاشتراك فى المجد الى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعى اليه . ومعنى ذلك أن ما يحدث هو تركيز السلطة فى يد شخص أو اسرة أو فئة بعد أن كانت شائعة ولا تختفى العصبيات تماما وانما تظل ذات وجود فى نفوس الأفراد .

٣ — أما المرحلة الثالثة .. فهى مرحلة الحضارة وهى مرحلة ترف ونعيم وفيها يقول (ابن خلدون) ينسى الناس عهد البداوة والخشونة فيصبرون كأن لم يكن ويفقدون حلاوة العزوة والعصبية ويبلغ فيهم الترف غايته فيصيرون عيالا على الدولة وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة .

٤ — والمرحلة الرابعة — هى مرحلة الاضمحلال وهى المرحلة التى تسبق الدولة وزاولها وهى نتيجة حتمية لمرحلة النعيم والترف السابقة عليها .

وهذه الأطوار فى رأى (ابن خلدون) طبيعة تتفق مع طبائع الأشياء فالأصل فى المجتمع حالة البداوة كما يدل على هذا الاستقرار حالة التطور فى المجتمعات الانسانية ثم تتنازع العصبيات وتكون الغلبة لاحداها التى تستولى عليها (الغلبة هى الملك) . وهناك فرق بين الملك والرياسة التى هى سؤدد وصاحبها متبرع . أما الملك فهو التغلب والحكم — بالقهر كما تعنى حالة الملك كذلك اتساع رقعة المجتمع بعد استقرار الأمور فيه أما فى المرحلة الثانية فان أفراد المجتمع يتجاوزون ضرورات العيش وينزعون الى رقة الأحوال فى المأكل والملبس والزينة وهذه المرحلة تصل بهم الى مرحلة الاضمحلال اذ بعد أن يتعود الأفراد على المعيشة الناعمة تستمر حالهم هكذا حتى يأتى يوم تزداد فيه نفقاتهم وتزيد على كسبهم فيضعفون اقتصاديا ويضعف صاحب السلطان بضعفهم كذلك يؤدى الترف الى مفسدة الأخلاق فتذهب من الأفراد الخصال الخير ويكون ذلك مؤذنا بحالة الزوال بعد أن يتسرب الهرم الى المجتمع .

كذلك بحث (ابن خلدون)فى اختلاف الأقاليم الجغرافية وتأثير المناخ فى ألوان البشر وفى ذلك من شئونهم الاجتماعية كذلك اختلاف أحوال

العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار وهذه الاراء — تعرف بالنظرية الجغرافية لتفسير الحياة الاجتماعية •

كما تعرض (ابن خلدون) لدراسة الظاهرات المتصلة بطريقة التجمع الانساني وأثر الظاهرات الكغرافية عليها وقد ظن (دوركايم) في القرن العشرين انه هو أول من تنبه الى هذه الدراسة البيئية للمجتمع (المورفولوجيا الاجتماعية) فالحقيقة أن ابن خلدون قد سبقه اليها بما يزيد على خمسة قرون •

خامسا : أهم ما يوجه الى ابن خلدون من مآخذ :

١ — نقص الاستقراء :

ان كثيرا من القوانين والأفكار التى انتهى اليها ابن خلدون فى شئون السياسة وقيام الدول أفكار لا تصدق الا على الأمم التى لاحظها وهى شعوب العرب والعجم والبربر والشعوب التى تشبهها فى التكوين وشئون الاجتماع بل لا تصدق على هذه الأمم نفسها الا فى مرحلة خاصة من مراحلة خاصة من مراحل تاريخها وهى المرحلة التى شاهدها أو التى انتهى اليه علمه بها ، وهذا نقص فى استقراء الحقائق •

٢ — مبالغته فى أثر البيئة الجغرافية فى شئون الاجتماع :

ارجع ابن خلدون كل ظاهرة الى البيئة ومؤثراتها وفى هذا انكار لكثير من العوامل الأخرى التى تتبادل التأثير مع البيئة •

٣ — مبالغته فى اثر القادة والحكام :

يذهب الى أن السبب فى التطور الاجتماعى يرجع الى اختلاف نظم الحكم وتغير الاسرات الحاكمة وفى رسالتهم الا اذا كانت مجتماعتهم مهيأة أصلا الى ما يدعون اليه •

٤ — اتهام ابن خلدون بالتحامل على العرب :

وضع ابن خلدون فى خدمته عناوين يظهر فيها فى بادىء الأمر أنه يتحامل على العرب وينقص من قدرهم وان كانت الحقيقة غير ذلك •

واياكان الأمر فان ابن خلدون الذى عاش فى القرن الرابع عشر هو المنشىء الحقيقى لعلم الاجتماع كما انه سبق فى بحوثه العلامة الايطالى فيكو والعلامة البلجيكى كتيلية والعلامة الفرنسى أوجيست كونت الذى عاش فى القرن التاسع عشر (١) .

٥ ـ دراسات ابن خلدون الاقتصادية :

جعل تقسيم العمل أساسا للتجمع الانسانى لان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وفيه ميل لاشباع حاجاته الضرورية ، وهو لا يتمكن من اشباعها وحدة بل لابد من الاجتماع بغيره . فصناعة الخبز تحتاج الى صناعات عديدة كالحدادة والنجارة وصناعة الآلات الفخارية . كما أن زراعة القمح وغيره تستلزم آلات للحرث والحصاد وغير ذلك فالانسان يحتاج الى الاجتماع بغيره ليقوم كل منهم بصناعة أو ملاحة أو غير ذلك من الأعمال حتى يتمكن من المحافظة على حياته وبقاء نوعه .

ويجعل العمل أساسا لقيمة الأشياء فى المجتمع . فالعمل ضرورى لكى يحصل الانسان على المال فالفلاح يحتاج الى المال كى يشترى الالات والحيوان . وكذلك الصابغ فلابد من العمل حتى تتحقق المنفعة . ولابد أن يعمل الفرد حتى يحصل على ما يريد ويقول ابن خلدون :

لابد من الأعمال الانسانية فى كل مكسوب وممول لأنه ان كان عملا بنفسه مثل الصنائع فظاهر ، أن كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلابد فيه من العمل الانسانى كما نراه والا لم يقع به انتفاع .

وابن خلدون يرد تطور المجتمع الى أساس اقتصادى ، فالمجتمعات تدرجت من البساطه الى التعقيد حسب الطريقة التى كانت تستغل بها ثروات البيئة والمراحل التى سار فيها المجتمع هى مرحلة البداوة (الزراعة) ثم مرحلة الصناعة .

المرحلة الأولى :

حالة البداوه : ومن الأخطاء الشائعة الاعتقاد بأن ابن خلدون كان يقصد بهذه المرحلة أبناء البادية الرحل وانما يستعملها للتعبير عن غير

---

(١) انظر : د . مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه الكتاب الاول ـ تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره القاهرة مكتبة لجنة البيان العربى ـ الطبعة الاولى ١٩٥٤ .

المتحرفين على الاطلاق أى أن مصطلح يقابل الجماعة البدائية أو المتأخرة فهى لا تمثل مرحلة الرعى بالضرورة .

ويشتغل الانسان فى هذه المرحلة بالزراعة البدائية . ومما يرجح هذا الرأى انه فسر نشأة الجماعات بحاجتها الى التعاون فى سبيل أشباع حاجاتها الضرورية للحياة وفى مقدمتها الغذاء وذلك عن طريق صيد الحيوان وعن طريق الزراعة وكان يعتقد ان الزراعة أقدم وجوه المعاش وانها أولى الحرف منذ آدم عليه السلام .

المرحلة الثانية :

حالة الرعى : وهذه المرحلة تتطلب تقدما فى المستوى الثقافى لانها ترتكز أساسا على فكرة استئناس الحيوان بدلا من قتله .

المرحلة الثالثة :

حالة الصناعة والتجارة : هى المرحلة الأخيرة التى تتطلب علما وخبرة فنية فهى لا توجد الا فى أهل الحضر .

والواقع أن هذا التقسيم يتفق مع آراء العلماء المحدثين الذين يرون أن المجتمع الانسانى مر بثلاث مراحل هى الرعى والزراعة المتقدمة ثم الصناعة .

ثم يؤكد ابن خلدون أن لكل مستوى اقتصادى طبائعه وأخلاقه فالبدو بصورة عامة أقرب الى الشجاعة والتضامن والعصبية والاخلاق الحميدة أما الحضر فأقرب الى الرفاهية وأبعد عن تلك الأخلاق الحميدة .

أهمية ابن خلدون :

حاول ابن خلدون جعل المجتمع الموضوع الخاص للدراسة وقادته هذه المحاولة الى تحليل المجتمع وتقسيمه الى فئات يمكن معالجتها بالطريقة

العلمية والى أن يضع تعميمات عن بياناته هذه التعميمات لها أهمية دائمة وقيمة دائمة لعلم الاجتماع ولو أن هذه التعميمات وضعت فى البداية كأطار للنقد التاريخى Critical historiography وفى زمان ومكان لا يعرف علم الاجتماع . وقد اشرنا الى عدد قليل من الموضوعات التى جاءت فى المقدمة وقد أشار كتاب آخرون الى كثير من الموضوعات.ومن بينها أن ابن خلدون اتبع أرسطو فى نظريته بأن الانسان اجتماعى بطبعه كما أظهر فى كتاباته آثارا من أفلاطون بأن الانسان اجتماعى لان مطالبه كثيرة ومتنوعة لدرجة أن اشباعها يتطلب جهدا تعاونيا . كما أن هناك آثارا قوية من بعض المفكرين الاجتماعيين الكلاسيكين من ناحية الاعتقاد بأن صراع الرغبات يوجه المعارك ويقود الى ضرورة اقامة حكومة لتحقيق النظام والاستقرار . وقد أصر ابن خلدون على ضرورة التجانس لتحقيق الدولة المستقرة بنفس اصرار جيد نجز Giddings فهناك التماثل بين العصبية (الروح المعنوية) والوعى بالنوع . كما ان تحليل ابن خلدون لتأثير البيئة الفيزيقية على التنظم الاجتماعى تحليل دقيق يفوق أى دراسة فى هذا الموضوع حتى عن بودان Bodin ان لم يكن منتسكيو Montesque ويحق لابن خلدون ــ أكثر من العالم الايطالى فيكو Vico المطالبة بشرف تأسيس فلسفة التاريخ فى صورتها الحالية كما ان معالجته للعوامل المتضمنة فى العملية التاريخية معالجة دقيقة تفوق معالجة ذلك الايطالى الذى جاء بعده بثلاثة قرون .

والاكثر من ذلك أهمية ، كانت وجهة النظر والمنهج الذى اتبعه هذا المفكر المسلم . له اتجاه دنيوى نحو الدولة ، ويمكن مقارنته فى هذه الناحية بمكيافيللى وهو الدبلوماسى الخبير الدنيوى . وقد عبر روزنتال Rosenthal عن ذلك بقوله :

عندما نضع الرجلين جنبا الى جنب ونركز الاهتمام على تفكيرهما فيما يتعلق بالدولة نجد انهما يشتركان فى الفصل بين الدولة والتأثير الدينى وطريقته لملاحظة الشئون السياسية غير ثيولوجية بل

دنيوية تماما فكل منهما فكر بطريقة واقعية تماما ، لم يسمح لنفسه بالخضوع للاعتبارات الاخلاقية أو الميتافيزيقية ولاحظ الدولة كما هى فى الواقع دون اية عاطفة أو انفعال • أهمية ذلك لتاريخ العقل الانسانى أهمية عظيمة ففى القرن الرابع عشر أوجدت حضارة الاسلام أفضل ممثل للمذهب الواقعى التاريخى لهذا العالم الاجتماعى الذى تنبأ بنظريات تؤثر فيها (١) •

---

(١) عبد الرحمن خلدون ، مقدمة ابن خلدون لكتابه العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجمية والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر — الهيئة فى القاهرة .

الفصل السابع

الفكر الاجتماعى ذو النزعة الفردية فى العصر الحديث

(أ) لقاء الشرق بالغرب وتقدم النزعة الدنيوية :

لا ينظر الأوربيون عادة بعين التقدير الى أثر الشرق الاسلامى على العالم الغربى وحتى علماء التاريخ أنفسهم يفشلون عادة فى تقدير الوزن الحقيقى للاحتكاك الثقافى القوى .

ولكن هؤلاء الأوربيين يبذلون كل عناية لأهمية احياء نظريات ارسطو والواقع أن الاهمية الحقيقية لاحياء تلك النظريات ليس هو التعديلات التى لحقت بها بل لانها شاهد على الاحتكاك والاتصال بين الحضارتين الاسلامية والمسيحية فاهم كتابات أرسطو وصلت الى أوربا العصور الوسطى من خلال الترجمات التى قام بها اليهود من الاسبان (لعل عائلة ابن شيبون من بينهم) الذين تلقوا الشعلة اليونانية من مغاربة اسبانية وكان المغاربة يحجون مرة على الاقل فى حياتهم ، كما يتضح من كتابات الرحالة المسلم العظيم ابن بطوطة فقد سافر هذا الرجل ما يقرب من سبعة وخمسين الف ميل (اربع رحلات الى مكة والعودة منها فضلا عن رحلاته الى الصين وغيرها) ومن خلال رحلات الحج ثم الاحتكاك الثقافى بين المغرب العربى والمشرق العربى الذى كان مركزا للتعليم الدينى التنوير عندما كانت أوربا غارقة فى العصور المظلمة ولم يكن المسلمون يستخدمون الكتابات اليونانية لمساندة كتاب دينى كما كان الحال بالنسبة للاوربيين بل كان للكتابات اليونانية تأثير على النواحى الدنيوية وكان للمسلمين تعليقات كثيرة على كتابات افلاطون وارسطو قبل القرن الحادى عشر ولم يفعل الاوربيون ذلك قبل القرن السابع عشر .

ومن المؤكد ان الاحتكاك بين الثقافات غير المادية التى يمثلها استخدام الجامعات الاوربية الكبيرة لترجمات ارسطو فى القرن الثالث

عشر لم تحدث شيئا جديدا فى كتابات أكويناس Aquinas أو غيره من معاصريه • والواقع أن المدرسين فى ذلك الوقت لم يكن اهتمامهم كبيرا بشئون العالم الدينوى مثل انشاء الدول وتدهورها ومصير الشعوب لكن الحركات الضخمة كالصليبين الأوائل والثورة التجارية فعلت الكثير من أجل القضاء على المجتمع الدينى لاوربا المعزولة وأقامت مجتمعا دنيويا •

وبقول آخر كان الاحتكاك الثقافى مع الشرق أكثر فاعلية فى مجال الثقافية المادية كان الصليبيون والتجارة مع الشرق الادنى أكثر شيىء فى هذا المجال فقد اشتغل أهل فينسيا وغيرهم بنقل الصليبين الى اسيا الصغرى ويعودون بسلع الشرق الادنى ، فقد سارت الحرب والتجارة جنبا الى جنب ويبدو ان مغامرات الصليبين كانت الوسيلة الرئيسية فى نقل سلع الشرق الكثيرة الى العالم الغربى • ومن ناحية أخرى فالثورة التجارية لم تبدأ الا مع بداية القرن الرابع عشر ويجب الا تنكر بأن لها بعض الفضل فى اتساع الاحتكاك الثقافى الذى بدأه الصليبيون ومن ثم بدأت تتساقط جدران العزلة الأوربية •

ان التقارب الجغرافى فى بعض الحالات قد يكون تفسيرا كافيا للاحتكاك الثقافى ولكن فى حالات اخرى ينبغى ادخال اعتبارات أخرى • والواقع انه بالنسبة لموضوعنا فان مسألة الجوار الجغرافى ليس بذى شأن ، ولكن ظاهرة الاضطراب هى الأساس •

كيف نشأ الاضطراب وكيف أحدث الاحتكاك الثقافى ؟ الواقع ان الاضراب موجود فى كل ثقافة الى حد ما • وقد وصل توميان Thoman وزنانيسكى Znaniecki الى تعميم مشهور «الاستقرار الاجتماعى ليس عملية من اعادة التنظيم المستمر لنمط متعدد يحدث به سوء تنظيم مستمر واذا كانت الايديولوجيا وما يصاحبها من قواعد عرف Mores ونظم قد أوجدت النظام بعد الاضطراب الا ان هناك دائما قوى معاكسه نشطة ولامكان دعم هذه الايديولوجيا فانه ينبغى القضاء على تلك القوى أو ينبغى التخلص من التوتر والاضطراب الناشئين عن تدخل تلك القوى من خلال بعض المخارج » •

وقد تقضى المخارج على التوتر ، من ثم تخفف من الاضطراب أى أن القضاء على التوتر يتم عن طريق « الحشد الذى يرفض» ومن ناحية أخرى يمكن القضاء على التوتر من خلال الحشد الذى يفعل والنمط الأول يبدو أن التوتر يوجد فى سلوك الجهاز العصبى السمبتاوى ، وفى النمط الثانى يبدو أن الجهاز العصبى المركزى اكثر انغماسا ومن الامثلة على النمط الاول : جنون الرقص فى العصور الوسطى ووباء تعذيب النفس لنيل رضا الرب ، أما الامثلة على النمط الثانى فهى : الحملة الصليبية الأولى وتحطيم الباستل ويمكن القول ان النمط الأول هو سلوك منطوى أما الثانى فهو سلوك منبسط وعلى اية حال فطاقة التوتر فى الحالتين تتحول الى حركة جسيمة ويخف الاضطراب ،

ولامكان فهم هذه العبارات وتطبيقها على الفترة التى ندرسها من الضرورى الاشارة الى عصر مبكر ففى نهاية العصور المظلمة كانت أوربا استاتيكية تقريبا بمعنى انها تفتقر الى الابتكار الثقافى فقد انتشرت العزلة كما يتضح من الكتابات عن الرحلات والاتجاهات نحو الشعوب الاخرى ، وبمجىء القرنين التاسع والعاشر ارتبطت الجزاءات الدينية بكثير من السلوك الاجتماعى ، فقد نشأ مجتمع دينى معزول داخل الثقافات اللاتينية والالمانية ان فترة سوء التنظيم الاجتماعى والاسترخاء أو النزعة الفردية التى تميز الحكم فى أوربا الوسطى جاءت بعد فترة من اعادة التنظيم الاجتماعى ،

ان التوازن الديناميكى الذى احدثه اعادة التنظيم سرعان ما وجدا التهديد من ازدياد عملية سوء التنظيم ، ومما زاد الطين بلة عدة مجاعات خطيرة فى القرن الحادى عشر ، وكل العوامل المرتبطة بالتوتر والاضطراب ويبدو ان الجوع اكثر أهمية وخلال المجاعتين الأولى والثانية عام ١٠٠٥ ، عام ١٠١٦ ، انتشر التشرد اصبح السلوك الجمعى الأصيل القلق والتوتر دفع الافا من الأفراد الى صعود الجبال والنزول منها بحثا عن شىء لا يعرفونه فالنظام الاجتماعى الذى أعيد تنظيمه هددته الحركات وقد بذلت كل الجهود لوقف التشرد دون أى فائدة وحتى عقوبة الموت لم تفلح ،

كانت كل أوربا فى حالة من الفوضى والاضطراب بسبب الخلافات السياسية والدينية • كما اسهم الطاعون بنصيبه فى هذا الاضطراب السائد فهناك حملة بين الموت الأسود وجنون الرقص فى القرن الرابع عشر • وفى عام ١٠٩٤ تم اعلان أول حملة طاعون من نوع معروف انتشر من الفلاندرز الى بوهيما •

ان الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية لاترجعان الى العوامل التى سبق ان اوضحناها • فالطبقات الدنيا التى تشارك فى الحركة لايمكن فهمها دون أن نأخذ في الاعتبار الاضطراب الذى أوجده الجوع ، الطاعون : الأرض المقدسة أصبحت مكانا حيث يمكن الشفاء من كل أمراض العالم جنة على سطح الأرض ورمزا للهرب فالصليبية كانت وسيلة للراحة بالنسبة للاشخاص المضطربين وبخاصة فى الطبقة الحاكمة• كل شخص ضائع فى أوربا اجتماعيا أو اخلاقيا اشترك فى عملية الذبح والسلب •

نشأ عن الحملة الصليبية الأولى اقامة عدة دول فى سوريا استمرت حوالى قرن من الزمان • وقامت علاقات سلام واذدهرت التجارة مع مملكة القدس وامارة اديسا Edsea وامارة انطاكية وامارة طبرق •

واختلاط الاساليب الشعبية وقواعد العرف مصدر لسوء التنظيم الاجتماعى ظهر نتيجة لهذا الاحتكاك الثقافى •

وقد وصف ارنست بيكر Ernest Becker هذه العملية •

تعاقب البارونان بين خشونة الغرب واغراءات الكماليات الشرقية: عادوا من ميدان الحرب بحوائط مزدانة بالصور وأرضيات من الموزايكو وسجاجيد فارسية وملابس حريرية مطرزة • منازلهم فى المدن لها خصائص الفيلات المغربية وعاشوا حياة مغربية • دواليبهم مغطاة بالنحاس والفضة صنعها صناع الشرق وحلويات دمشقية • وارتدوا ملابس من الحرير وتحلت نساؤهم •

هذه النعومة التى تميزها جماعة من المنتصرين نتيجة للاحتكاك الثقافى سرعان ما كان له نتائجه الحتمية • فقد انتصر المسلمون على

الدويلات الصليبية واستمر الصراع ولم يهدأ منـــذ أن بدأ عام ١٠٩٥ وبسبب هذا الصراع استمرت التجارة والسلام، والصليبيون الذين اضطروا للعودة عادوا ومعهم بضائع من الشرق الادنى هذه السمات الثقافية المستوردة أيقظت الطلب على سلع الشرق الادنى • ولذلـــك فان تجـــار البندقية وجنوا وغيرهم من تجار البحر الابيض المتوسط حققوا أرباحا طائلة • ان معتقدات ونظريات المسلمين وثقافتهم غير المادية سرعان ما كان لها تأثير قوى على الغرب وبخاصة فى الكيميـــاء والرياضيات ولكن مجـــال الثقافة المادية هو المجال الاكثر فاعلية فلم يكن هنـــاك صراع من أجـــل المجتمع الدينى فى الغرب هذا المجتمع الدينى وصل الى الدرجة العالية من التكامل فى القرن الثالث عشر ان الحروب الصليبية حققت كثيرا من عناصر القلق والاضطرابات وبـــدأ الشعور بالجماعة فى الظهـــــور والشعور نما عند الأوربيين بفضـــل الصراع مع المســـلمين • وقد ازدادت قوة الكنيســـة • نفس العمليات التى أوجدت الوحدة فى القرن الثالث عشر احتوت على بذور سوء التنظيم ، لأن الصليبين احضروا معهم احتكاكا ثقافيا مع الشرق ، طوفان سلع الشرق الدنيوية التى بـــدأت تفيض على العالم الحديث •

فلاسفة القرن الثامن عشر المتفائلون كتبوا عن التقدم والكمال الانسانى عندما بدأ افق الانسان يتسع بفضل النشاط العلمى والفلسفى والادب الذى بدأ فى القرن السابع عشر وهو قرن بيكون وهاربى وكيلر وليبنز ولذلك لهم عصرهم الخاص بالتنوير العقـــلى عندما تكلمـــوا عن أثر التخلص من الروابط التقليدية كانوا يتكلمون عن مجتمعـــات الفســـاد الايطالية التى تأثرت بقوة باتصال الشرق بالغرب •

ان التخلص من روابط الوطن او من الجمـــاعة القـــرابية أو من المجتمع الدينى المنعزل قد يفصل الرجـــل عن طبيعته الانســـانية فقـــد ارتبطت عملية النزعة الفردية بالشر والجريمة ولكن هولاء الناس حققوا أشياءا عظيمة •

ان الانجازات العظيمة للعصور الوسطى المتأخرة ترجع الى سببين أولا : انهيار المجتمع الدينى المعزول بتأثير اللقاء بين الشرق والغرب وانتشار الحروب الصليبية والتجارة مع الشرق الادنى مع ما نشأ عن ذلك من نزعة فردية وثانيا : صراع الافكار بسبب نقصان الثقافة المادية وغير المادية بسبب الاكتشافات والثورة التجارية واحياء التعليم • وقد انتشر الاتجاه الدنيوى فى كل الحياه ، واثر فى كل ناحية فى نمو المراكز الحضرية وانهيار نظام الاقطاع وازدياد حجم السوق ، نشأة نظام اقتصاد النقود انهيار مبدأ السعر العادل والتعليم أصبح دنيويا •

(ب) اهمية النزعة الانسانية :

لعصر النهضة أهميته البالغة فى تطور الحضارة الحديثة فقد قضى على عصر الظلام بفضل القوى الكامنة الناشئة عن تقدير جديد للأدب الكلاسيكى والتقدم الملحوظ فى الفن خلال القرنين التاليين لعام ١٤٥٠ — ونسبت معظم النتائج لهذا السبب وحدة دون ذكر لنشأة المعلم الحديث ونشأة نظم الدولة القومية • والواقع ان هذه الفترة بين ١٤٥٠ — ١٧٠٠ م وهى عصر النهضة تشير الى النزعة الانسانية وتطور الفن •

ان الاهتمام المزايد بالاداب اليونانية والرومانية لم ينتج أى ثورة فكرية ملحوظة ولا أى دافع نحو حب الاستطلاع العلمى • والاسهام الوحيد من جانب النزعة الانسانية هو الكشف عن كتابات علماء اليونان الذين كان لهم افكار اكثر حداثة فى المسائل العلمية من شخصيات العصور الوسطى • ولو اننا نعترف بأن معرفتهم كانت قيمتها قليلة بالنسبة للعلم ، ولكن اعظم الشخصيات الموسوعية بين علماء اليونان وهو أرسطو عرفه الدارسون فى ترجمات من اللغة العربية فى نهاية القرن الحادى عشر وفى ترجمات ممتازة الاصول اليونانية من نهاية القرن الثالث عشر • ان علماء الانسانيات كان يجذبهم الكتابات الغامضة أكثر مما يجذبهم الكتابات العلمية القديمة•فقد لمع شيشرو والافلاطونية المحدثة اكثر مما لمع ارشميدس مثلا •

ان خلق الاهتمام بالعالم الدنيوى كان دافعا للسير فى اتجاه حب الاستطلاع العلمى بالمقارنة بمذهب فوق الطبيعة المسيحية المدرسية ومع ذلك كان حافزا ضعيفا وغير مباشر ولم يظهر أى اثر بسبب الميول المقاومة للروح العلمية للحركة الانسانية فى التعليم . ان روح الانسان قوت ودعمت من الاتجاه الصوفى والجمالى وليس الاتجاه العلمى العقلانى وان الدافع الذى أعطته الحركة الانسانية للعلم والدراسات الدنيوية قد عطله عن اتجاه ما فوق الطبيعة فى فترة الاصلاح ومقاومة الاصلاح وفى الوقت الذى افاقت فيه الروح العلمية من هذه الضربة فان المغامرين التجار المكتشفين العلماء قد حققوا عالما جديدا من الحقائق والافكار غريبا تماما عن عالم لوتر وارازموس وغيرهما .

ان اختراع الطباعة الذى جاء نتيجة لجهد جوتنبرج فى فترة النزعة الانسانية كان اسهاما هاما للتطور النهائى لأسلوب هو شىء خاص بالجهد التعاونى والاتصال الثقافى الا وهو العلم الحديث. ولكن الخدمة كانت غير مباشرة وترجع الى الصدفة وليست نتيجة سببية فلا يوجد فيض مباشر من الكتابات العلمية ، ومعظم الكتب التى طبعت خلال القرن الأول بعد جوتنبرج لم تكن كتب علمية ونقدية ولكن كتب فى الزهد واللاهوت فالكتب التى تعكس الفكر والعلم الجديد لم تطبع باعداد كبيرة الا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر والطباعة لم تجعل من السهل وجود أدب مخالف لتعاليم الكنيسة فالحكومات الأوربية جعلت الطباعة دون ترخيص جريمة خطيرة وأنشئت رقابة على الصحافة وعلى أى حال ان احياء التعليم بخاصة من ناحية جانبية الانسانى له أثر على التيارات العميقة للتطور الاجتماعى .

١ ـ ماكيافيللى : (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧ م) .

يرتبط اسم نيكولا ماكيافيللى بالماكيافيلية أو الدسائس السياسية والواقع أنه يستحق هذه السمعة ولكن ينبغى أن نراه فى ضوء آخر فقد خرج على طرق التفكير السائدة فى عصره وأكد أنه ليس من الضرورى أن نأخذ كل الأشياء على أساس القانون المقدس المزعوم . لم يكن ماكيافيللى مثاليا بالمعنى الدقيق للكلمة ولكنه

اختلط بالناس وسافر كثيرا ودرس الظروف الواقعية • وأعلن أن الناس يجب أن نراهم على الحالة التى هم عليها ، وليس فى ضوء بعض الأفكار الكاذبة السائدة عنهم •

لقد استخدم ماكيافيللى مايسمى بالطريقة الاستقرائية أو المنهج العلمى قبل أن يظهر فرنسيس بيكون — مؤسس المنهج العلمى بمائة عام • فقد لاحظ ماكيافيللى الظروف التى يعيشها الناس واستخلص استنتاجاته من هذه الملاحظات واعتقد انه ليس من الضرورى ان يسير الانسان فى سلوكه تبعا للاخلاقيات المجردة او الافكار المثالية غير العملية والغريب انه نادى بهذه الافكار فى الوقت الذى كان فيه السجن أو النفى أو الموت جزاء كل شخص يعارض السلطات الاوتوقراطية وانتقل ماكيافيللى من الأخلاق المجردة الى الضرورات الواقعية ، ولم يكن وسطا فى موقفه • فقد عاش وفكره فى ضرورات اللحظة التى يعيشها فقد استجاب بشدة لضغوط وتوترات الساعة الأمر الذى جعل نظرته محدودة لا تهتم بالشمول والاتساع •

وقد كتب ماكيافيللى عن القادة والحكومة • فقد دافع عن الحكم الاستبدادى كما دافع عن الحكم الديمقراطى تبعا لظروف العصر والمكان • وفى كتابه الأمير وصف بكل دقة سمات وطرق الحاكم الذى ينبغى معاملة اتباعه بالسلطة المطلقة • وفى كتابه Discourses تناول شكل الحكم الديموقراطى الجمهورى •

وهو يرى ان الامير الناجح عليه ان يكون محبوبا من شعبة كما ينبغى ان يخافه هذا الشعب • فهو يلجأ الى القهر والقوة والى الغش اذا استدعى الحال ذلك وينبغى أن يتخلص من القوانين القديمة ويصدر قوانين جديدة تتناسب والمواقف الاجتماعية ويجب أن يكون رحيما فى نظر الناس وليس قاسيا وان يتحلى بالشفقة ليمنع الاضطرابات الاجتماعية ويجب الا يسمح لاحد باستغلال هذه الشفقة من جانب أشخاص لا يشعرون بالجميل • ويجب ان يكون راجح العقل ، فهو أما أن يكون صديقا مخلصا أو كريما •

وينبغى أن يكون ابويا ، فيهتم بان ينال شعبه الغذاء الكافى والحياة

الطبية . وبذلك ينال حب شعبه ويعمل على تغذية هـذا الحب وتقويته

أما عند تناول الشئون الدولية فينبغي أن يكون قويا يحمي مدينته أو أمته ويصدر القوانين الصالحة للنمو الداخلي للأمـة . وقد اخطـأ ماكيافيللي كثيرا وعلى أى حال فقد كان يساند الحكم الشمولي .

ويقول النقاد أن تفسيراته السياسية والاجتماعية لا تقـوم على التأمل الفرضي بل على اساس الملاحظة الاستقرائية وقد ادت فلسفته الاجتماعية الى ابحاث استقرائية فى مجالات التحليـل الاجتمـاعى والضبط الاجتماعى . وتقوم فلسفته على الدوافع الطبيعية وليس على الأسس الاخلاقية الأصيلة وهو انتهازى واضح . وقد اهتم بممارسـة الشعائر الدينية وحتى فى هذه الناحية كان انتهازيا . فلم يهتم بالمزايا الروحية التى يستطيع الفرد ان يحصل عليها من الدين ، ولكى اهتمامه بالدين من ناحية ان يسـاعد الحـاكم على دعـم قوته . كانت نظرته محـــدودة ، فلايهتم الا بالامة التى تؤلف دولة ، ولم يدرك أن هناك جماعات اخرى اكبر من الامة .

يعتبر نيوكلاى ميكيافيللى من أبرز فلاسفة السياسـة فى هـذا العصر وتشكلت فلسفة السياسية بظروف العصر الـذى عاش فيه . فقد شاهد عظمة انجلترا وفرنسا كما شاهد الانقسـام والفوضى فى وطنـه ايطاليا .

وله كتابان هما الامير والمقالات . والكتاب الثانى أقل شهرة ولكنه اكثر عمقا ويعتبر كتاب الامير ادق دراسة اجتماعية عن القيادة والفلسفة العملية السياسية حتى ذلك الوقت ، هذا الكتـاب هو رسالة سياسـية اهداها ميكيافيللى الى الامير لورنزوميديسيس لكى ينقذ ايطاليـا من الفوضى .

وعندما درس المجتمع تعرض للانسان وهو يراه لا يهتم الا بذاته ، كما انه جشع ولا يحس بالشبع الا اذا حصـل على المـال والمكانة الاجتماعية . ومن تحليله لطبيعة الانسان استدل على الاساليب التى يجب

ان يتبعها الحاكم كى يكون ناجحا . كان يرى ان الغــاية تبرر الوســيلة فعلى الحاكم اتخاذ أى وسيلة حتى يصل الى غايته وبذلك فصـــل بين الاخلاق والسياسة . وليس معنى هذا انه لا يعترف بالمبادىء الاخلاقية الدينية ولكنه يرفض اتخاذ القرارات السياسية على أســاس من هــذه المبادىء فقد اجاز للحاكم ان يتنكر لمبــادئه الدينية الاخــلاقية . وفى كتابه المقالات عكف على دراسة الشــــعب الرومانى ودرس النظــام السياسى للامبراطورية الرومانية ووصل الى تحديد اســباب عظمة روما وانهيارها فالدولة فى رأيه تنمو وتزدهر ثم تنهار .

ومعنى هذا ان ميكيافيللى اعتمد على التاريخ فى بحوثه ، ولكنه لم يضع نظرية اجتماعية وسياسية على الرغم من ان كتاباته حازت شــهرة واسعة .

٢ — فرنسيس بيكون :

أسهم فرنسيس بيكون اسهامات هامة فى الفكر الاجتماعى اليوتوبى وقد أكد أهمية التفكير الاستقرائى وبذلــك فرض التزامات كبيرة على المفكرين الاجتماعيين . وقد ساعد على تحرير الاشخاص من المعتقــدات القديمة والخرافات . وقدم لهم أسلوبا جــديدا لكى يفهمــوا الحرية الفردية على اساس جديد . ولكى يتحرر الشــخص نفســه ينبغى ان يتخلص من الاحكام السابقة غير الرشيدة ، سواء ورثها عن المجتمع الذى يعيش فيه أو قد توصل اليها بنفسه وقد وفر انفسه الحماية من الاحكام التى يصل اليها لانه ينظر الى الحياة والعالم من خلال عيون البشر. وهذه الاحكام السابقة مشتركة بين كل النوع الانسانى فهى اوهــام الجنس البشرى *The Idols of the trible* كما أن الشخص يتجنب الادعاءات الفردية الخالصة ، التى يتمسك بها بسبب خبرته الفردية الخاصــة به والتى يضعها خارج مجال الخبرة المشتركة وهذه هى اوهام الكهف وهناك اوهام المحكمة التى تجعل الشخص يعتمد بصـــورة لاضرورة لهــا على الكلمــات واللغــــة . كمــا ان اوهــام المسرح . هى اتســـاق الفكـــر التقليدى كان المبدأ الذى وصـــفه : ان تبعــد

نفسك ونفوس الاخرين بقد الامكان عن طريق الشيء الذى تريد أن تراه .

وعندما يستطيع الشخص حـذف الاسـتعدادات البشريـة فانه يستطيع جمع الحقائق ويصنفها فى فئات ، ثم استخلاص النتائج منها ، ثم يعمل طبقا للقوانين التى استنتجها ان المعرفة تعطى القوة . والمعرفة الاجتماعية تعطى القوة لتحسين الظروف الانسانية وتجعل فى الامكان تحقيق الضبط الاجتماعى الحكيم . وبذلك يكون قد فتح الطـريق امام نمو الشخص .

وكان يعتقد ان قدرا كبيرا من الحـرية الشخصية يـدمر الحكومة والنظام الاجتماعى العام . فاذا كان كل شخص قانونا فى حد ذاته ينشأ الحكم الاستبدادى — ويثور هذا السؤال كيف يتحد الاشخاص ذووا الحرية الفردية فى مجمتع دون ان يتنازلوا عن حريتهم ؟ والاجابة على هذا السؤال اتخذت شكل مناقشة فى موضوع العقد الاجتماعى ان العقد او الاتفاق بين الأشخاص — كوحدات لتكوين المجتمعات ودعم وجودها . وقد ثارت هذه المناقشة خلال القرن السابع عشر ثم ازدادت قـوة فى القرن الثامن عشر .

هـــوبز :

توماس هوبز Thomas Hobbes (١٥٨٨ — ١٦٥٩) من الفلاسفة الاجتماعين الانجليز أدخل فى تحليله للمجتمع فكرة أن الانسان كان فى الأصل يتصف بمركزية الذات والانانية وحب اللذة . فهو مستقل ، أما اهتمامه بالناس الآخرين فقائم على قدرتهم على رعاية مصالحه . وهم يرغبونه فى نفس الاشياء . فقد تنافس كل يد اخرى واصبحت هـذه الحالة من الصراع المستمر مدمر لكل الاطراف كما لا يمكن احتمالهـا ولذلك وافق كل شخص على ان يتنازل عن بعض حقوقه الثمينة لسيادة أو سلطة مركزية ، عليها أن تضع القانون الذى يوجه السـلوك . وهكذا كانت الحرب القائمة بين كل شخص والجميع مع ما يصاحبها من حـالة السيادة على الحاكم . وبهذه الطريقة وجد هوبز نفسه فى موقف الحيرة

لانه ساند صورة من الحكومة المالثة يعتقد فيها ، وانكر فى الوقت نفسه الحق المقدس للملوك فهو يود نظام الحكم المطلق غير الديمقراطى •وقد اضفى على الملك سلطة بشرية وليست مقدسة • وهو على اى حال جعل السيادة للشعب وليس لحق مقدس •

ولكى يتخلص هوبز من ظروف حــرب كل فرد فى حالة الطبيعــة حيث لكل انسان الحق فى كل شىء توصــل هوبز الى حالة متطرفة من نظام الحكم غير الديمقراطى • وكان لتعليمه الدينى — البيوريتــانى — قد صبغ فكرة الاجتماعى بالقسوة • فقد كان البيوريتان يعتقــدون فى القضاء الكامل على ميول الانسان المتوحش وفى القضــــاء التام على الملوك • ولم يحلل هوبز بعمق الاسس الغريزية لطبيعة الانسان •

وقد سئل هوبز عن السبب فى أن النوع الانسانى لا يستطيع ان يعيش معا فى امن وسلام دون خلق اتفاقات مصطنعة وقد أشاروا له بان النحل والدبابير لاتحتاج الى اتفاقات مصطنعة •

لماذا يضطر الانسان الى ذلك ؟ وقدم ستة اســباب عن اختــلاف الانسان عن الحشرات الاجتماعية :

١ — يقوم التنافس المســتمر بين الناس من أجـــل الشرف والاحترام ، ولا تفعل الحشرات الاجتماعية ذلك •

٢ — يسعى كل انسان نحو الشر ولذلك فان الخــير المشترك ليس هو بالضبط الخير الخاص •

٣ — يسعى بعض الناس الى اصــلاح التنظيم الاجتمــاعى فى عصرهم •

٤ — للانسان قوة الكلمات المقنعة •

٥ — يميز الانسان بين الاصابة والتدمير •

٦ — يصل الناس الى اتفاقيات من خلال المواثيق •

٤ — الفسيوقراط :

عندما حل القرن الثامن عشر ، اصبح مفهوم « حرية الفرد » متبلورا فى مبادىء حقوق الافراد الطبيعية ، كما اصبحت علاقات التعاقد المجتمعية بين الافراد المستقلين ومبدأ حرية العمل والمرور بدأ فى علم السياسة •وقد تبنى الفسيوقراط افكار الحرية الطبيعية والحرية الاقتصادية ، ومارسوا نفوذا عظيما فى فرنسا خلال الحقبات الثلاث التالية لعام ١٧٥٠ • وكان قادتهم هم كنزنى ، دى جورنى ، كوندرسية ، وتيرجو • وكانوا يعتقدون بوجود قانون طبيعى يحكم الحياة البشرية ، كما يوجد قانون طبيعى يحكم العالم الفيزيقى والانسان يغضب من القيود الاجتماعية ولكن فى ظل القانون الطبيعى لكل فرد « حقوق طبيعية وأهمها هو الحق فى ممارسة كل قدراته طالما لا يتدخل فى حقوق الافراد الاخرين ويختلف الفسيوقراط عن المفكرين الانجليز من امثال جون لوك الذين قبلوا فكرة « حرية الفرد » لأن الفسيوقراط يذهبون الى القول ان العقد الاجتماعى لا يحذف الحرية الطبيعية •

ويعتقد الفسيوقراط ان الوظيفة الرئيسية للضبط الحكومى هى المحافظة على الحرية الطبيعية للأفراد • وينبغى على الحكومة الا تنظم الصناعة والتجارة لانهما سوف تضر بحقوق بعض الأفراد وبخاصة أصحاب الأعمال • والمعاملة غير العادلة لأصحاب الأعمال سيجعل معاملتهم قاسية لمستخدميهم ومعنى هذا ان صاحب العمل غير العادل سيكون غير قادر على الحصول على العمال وسيضطر الى وقف المعاملة الظالمة دون تدخل من الحكومة وبالمثل فان التاجر غير الامين سيفقد عملاءه وسيطر الى ان يكون أمينا أو يغلق محله دون أن تتدخل الحكومة وأصبح الفيسيوقراط مشهورين بعبارتهم : دعه يعمل دعه يمر •

٥ — روسو :

كان جان جاك روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨) شخصية محيرة ، وعلى وعلى أى حال فهو معروف بانه بطل فكرة العقد الاجتماعى لقد دافع عن الاسرة كنظام اجتماعى ونظر الى الابوة بكل تقدير ، ولكنه حمل اطفاله واودعهم احد الملاجىء . لقد ادان عناصر التفكك فى الحضارة وطالب بالعودة الى طرق الطبيعة البسيطة . وفى مؤلفه الرئيسى أميل والعقد الاجتماعى . هاجم الحضارة بكل قوة وأكد أن الحضارة قد دمرت حقوق الانسان الطبيعية .

ويذهب روسو الى القول بأن الحياة المبكرة للنوع الانسانى كانت مثالية فى بساطتها وحلاوتها . فلم تعرف الصراع ولا الحرب . ثم عاد روسو فى كتاباته الاخيرة الى تعديل اعتقاده وأكده ان الاضطراب البدائى جعل من الضرورى وجود نوع من التنظيم الاجتماعى واعتقد أن الحضارة تولد الشرور الاجتماعية وتؤدى ان اجلا أو عاجلا الى الانهيار الاجتماعى فقد اصبح الفساد فى المجتمع أمرا مشهورا . وسادت اللامساواة الاجتماعية وهى أمر غير محتمل « لقد ولد الانسان حرا ولكنه مقيد بالسلاسل فى كل مكان » لقد فقد الانسان السعادة بسبب تعقد الحياة الاجتماعية .

وينادى بترك الفرد حرا لتنفيذ خططه ومشروعاته ، ولا تقيده بقواعد اجتماعية معقدة أو قيود أو واجبات فليس هناك جزاء اجتماعى على الاطلاق ، وليس هناك سلطة سوى سلطة الطبيعة وهى ضرورية . وفى كتاب « اميل » أخذ روسو شخصيتيه الرئيستين : اميل وصوفى الى جزيرة حيث عاشا معا فى سعادة . لقد سادت الحرية وليس السلطة ولكن اميل الذى ينادى بالحرية وليس بالسلطة ، كان يصر فى مناقشاته عن العلاقات العائلية بان المرأة خلقت من اجل مسرة الرجل « ان الحياة غير الاجتماعية غير الانانية لاميل وصوفى اصبحت شيئا اكثر من النزعة الفردية الخالصة فى حياة فوضوية وحسية . وقد فشل اميل فى عرض مزايا نظريات روسو «أن الانسان طيب بالطبيعة ولكن النظم تجعله

شريرا وكل شيء يكون طيبا عندما ياتى من يدى مؤلف الطبيعــة ، وكل شيء يتدهور فى يدى الانسان » .

وعند تفسير طبيعة « العقد الاجتماعى » اشـــار روســـو الى ان العقد مصاحب للمجتمع المعقد ، لأن الجمــاعة الصــغيرة والبســيطة لاتحتاج الى الدخول فى اتفاق دقيق .

ان تكوين هيئة من الناس او مجتمع يتطلب أعظم درجة من الفهم الاجتماعى كيف يمكن وضع العقد بحيث يتحد كل فرد مع المجتمع ومع ذلك يبقى حرا قدر الامكان ؟

واعتقد روسو انه حــل هذه المعضلة وأشار الى أن كل فرد فى العقد الاجتماعى يكسب شيئا معادلا للحرية التى تنازل عنها .

ويعتقد روسو ان العبودية خطأ . فهى عقد أو اتفاق على حساب العبد ولصالح السيد ، الذى يقول : أنــا أنفذ الاتفاق وأنت تنفــذه — طالما يسرنى ذلك . ان القوة لا تخلق الحق، ان القوة والالزام الاخلاقى ليسا بالضرورة شيئا واحدا وفى العقد الاجتماعى يفقد الانسان حريته الطبيعة ويكسب حرية مدنيه واخلاقية الحرية الطبيعية هى الحرية لأن يفعل الانسان ما شاء من خير أو شر . أما الحرية المدنية أو الاخلاقية وهى الحرية التى يتمتع بها الانسان فى ظل العقد القائم بينه وبين الرب، وفى ظل المواثيق السياسية بين الانسان والانســـان ، وفى ظل القانـــون الاخلاقى . فهذه الحرية وحدها هى التى تفعــل ما هـــو طيب وعادل وأمين .

انه روسو الذى اعتقد ان الحياة والحرية والسعادة هى حقـــوق الانسان وهذا المبدأ الذى اثر فى توماس جيفرسون لذى أعلن استقلال الولايات المتحدة ان السيادة لا تعتمد على حاكم أو ملك بل على المجتمع من الناس . لعل هذا القول هو اســـهام روســــــو الرئيسى فى الفكر الاجتماعى .

٦ — منتسكيو :

قبل ان يكتب روسو العقد الاجتماعي،فان نظرية العقد الاجتماعي أصبحت بالية وتخلى عنها المفكرون • وكتابات منتسكيو (١٥٨٩ — ١٧٥٥) قدمت لنا تحليلا دقيقا للعمليات الاجتماعية والسياسية • وهذه العمليات تشبه طريقة تحليلات ارسطو ل ١٥٨ دستورا • وقد ناقش منتسكو مبدأ الحقوق الطبيعية ، ولكنه لم يعتقد ان حالة الطبيعة عند الانسان هى حالة الصراع حيث يصبح التنظيم الاجتماعي وسيلة لاشباع حاجات الفرد للحماية اكد وجود ميل طبيعي فطرى فى الانسان نحو الترابط • وقد ايد اعتقاده بالاستناد على حقائق جميعها عن حياة الاعضاء الافراد فى القبائل البدائية • وقد حارب منتسكيو مبدأ العقد الاجتماعي •

ويشير منتسكيو فى كتابه روح القوانين الى وجود اربعة قوانين مسئوله عن ظهور الهيئات الانسانية Associations وهى : ١ — الحاجة الى السلام • ٢ — الجوع • ٣ — الجاذبية الجنسية• ٤ — الحاجة الى صحبة انسان آخر كما حلل منتسكيو أربعة انماط من الحكومة : ١ — الديمقراطية القائمة على الشعور الوطنى والرغبة فى المساواة • ٢ — الارستقراطية التى تطالب بحكم الأقلية الفاضلة لصالح رفاهية الجميع • ٣ — الحكم الملكى • ٤ — الحكم الاستبدادى : وهو حكم شخص واحد باستخدام الخوف •

كما ان منتسكيو فى روح القوانين شرح قوانين عدد كبير من الامم فى محاولة لاظهار العلاقات بين تلك القوانين والظروف الاجتماعية والسياسية وهو يعتقد ان القوانين هى نتاج طبيعي لظروف الحياة لا تنشأ عن الاتفاقات التعاقدية الرسمية • ومن ثم فالمجتمع تطور طبيعي وليس تعاقدا •

٧ — مذهب التجاريين :

ان نظرية الحقوق الطبيعية والمذهب الفردى الناشئ عنها لم تنكر مفهوم العقد الاجتماعي فحسب بل ودخلت أيضا فى صراع مع المفهوم

الاجتماعى — الاقتصادى عند مذهب التجــارين • والتجــارية مذهب لقيام الحكومات بتنظيم المشروعات الصناعية والتدخل فيها من أجــل بناء دولة الامة القوية • وقد وصلت التجارية الى صــورتها الدقيقة فى فرنســا فى كتابات كولبرت (١٦١٩ — ١٦٨٣) وانتشرت فى أوربا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وهو مذهب نشأ من نظام الاقطاع ومن مجتمع دولة المدينة • وقد عمل هذا المذهب على جمع المدن معــا لتكون وحدات قومية • ففى ظل الاقطاع كانت المدينة تنظم صــناعتها من أجل تقدمها ضد رفاهية المدن المجاورة • ولذلــك عمــل مذهب التجاريين على ضم المدن وتوحيدها وخلق فى سكان المدن الولاء القومى

وفى ظل مذهب التجاريين دخلت الأمة عهد تنظيم الصناعة والمــال من أجل بناء دولة قوية وتسعى لاقامة توازن لصـــالح الدولة من أجــل ازدياد رصيد الذهب لذلك وضعوا نظام التعريفة الجمركية ويفضــلون كثافة سكانية مرتفعة من أجل الحصول على عمل رخيص ومن ثم يمكن التوسع فى الصناعة ، التى بدورها تنمى التجارة الخارجية وتأتى بالذهب وهو مصدر القوة للامة •

والمذهب التجارى فى فرنسا وأنجــلترا لقى مصرعه خــلال القــرن الثامن عشر على يد نظــرية « دعه يعمــل » التى يرتبط بها اســماء الفسيوقراط وادم سمت • ان مذهب التجاريين لايساند أهداف الأمة بل المصالح الخاصة • وعلى أى حال فقد لعب المذهب دورا قويا فى بنــاء مفاهيم الوحدة القومية والولاء •

٨ — آدم سميث :

كان آدم سميث (١٧٢٣ — ١٧٩٠) اقتصــاديا فى المحــل الأول ويشــار اليه باعتباره مؤسس الاقتصاد السياسى • له تأثير قوى على الفكر الاجتماعى • وقد زاوج بين نظرية الحقوق الطبيعية بعد ان عدلها مع مبدأ المشاركة الوجدانية • وقد دافع عن حقوق الفرد الطبيعية وعن الطبقات الفقيرة فى المجتمع وعن الامم الصغيرة • وقد هاجم بقوة مبدأ التجاريين بنظامه عن التدخل الدقيـــق والرقابة • وقد عــارض ترقية

مصالح أحدى طبقات المجتمع لأنه يضر بمصـالح كل الطبقـات وكل الأشخاص فى ذلك المجتمع • وقد اشار الى اكذوبة بناء الدولة من التجار لأن الحكومة فى هذه الأمة ستتاثر بمصالح هؤلاء التجار الذين يتدخلون فى شئونها ويسيطرون عليها ويتم تجاهل مصالح الطبقات الاخـرى • وقد دافع آدم سميث عن طرق بريطانيا العظمى فى تنظيم المستعمرات الامريكية • ان منع المستعمرات الامريكية من أن يفعل ما تريده فيمـا تتجه الى منعهـا من اسـتخدام أموالهـا وصـناعاتهـا بالطـريقة التى تتفق مع مصالحها تماما ، هو انتهاك واضح لمعظم حقوق الانسان المقدسة وقد استحل التجاريون احتكار سلعة أو اخرى وهذا أمر يعارض سميث • ان مذهب التجاريين هو التنظيم ويتم التنظيم عـادة لصـالح الاغنياء الأقوياء وبذلك يهمل الفقراء ويقهرهم • لكن سمث فشل أيضـا فى ادراك أن سياسـة دعه يعمل لصالح الاغنياء وتهمل الفقراء • فهـو يرى ان التجارية تعتبر الانتاج وليس الاستهلاك معيار الكفاية للصناعة والتجارة وبذلك يحابى طبقة على حساب الطبقات الاخرى •

ويعتقد سميث انه حيث توجد الثروات الضخمة توجد اللامساواة الواضحة لأنه عندما يوجد رجل غنى جدا يوجد بجانبه ٥٠٠ رجل فقير، فثراء الأقلية يفرض العوز والفاقة على الأكثرية • ولا يسـتطيع أى مجتمع أن يزدهر ويصير سعيدا عندما يكون الجانب الاعظم من اعضائه فقيرا وبائسا ، ويحق للعمال الحصول على نصـيب مما ينتجـونه حتى يمكنهم الحصول على الطعام والكساء والمأوى • ان الفقـر لا يمنع من أنجاب الأطفال ولكنه يضر تماما بتربية الأطفال وقد أشار سميث الى أربعة اسباب للمساواة الاجتماعية •

١ — تفوق المؤهلات الشخصية مثل القوة الجسدية والجمـال ، ورشاقة الجسم أو الحكمة والفضـيلة والفطنة والعـدالة والعـزم وتوسط العقل •

٢ — تفوق العمر والخبرة •

٣ — تفوق الثروة الاثرياء يعطون السلطة الاجتمـاعية ، الاثرياء يشترون القوة •

٤ — تفوق المولد قائم على هيبة الاسرة •

ويجعل مسئولية الرفاهية الاجتماعية على عاتق انشطة الافـراد التطوعية توقع سميث كثيرا من المصلحة الذاتية المستنيرة أو انه على الأقل لم يأخذ فى حسابه كل الناس الذين لن يرتفعوا الى هذا المستوى من المصلحة الذاتية المستنيرة وقد من المصلحة الذاتية المستنيرة وقد سمح وتوفير التعليم وادارة المشروعات العامة . كما ان على الدولة الدفاع عن حدودها ضد أى هجوم .

وقد أوضح سميث مزايا تقسيم العمل فى الصـناعة مـع الازدياد الناشىء فى كمية العمل . هناك ثلاث مجموعات من الظروف السـببية :

١ — ازدياد النشاط .

٢ — توفير الوقت الذى يقضى فى الانتقال من عمل لآخر .

٣ — اختراع عدد كبير من الآلات وعلى أى حال فان سميث آسف على الأثر الضار على الفرد من تكرار عملية بسيطة مئات أو الآف المرات كل يوم وبايجاز فان آدم سميت :

١ — طبق مفهوم الحقوق الطبيعية على الظروف الصناعية .

٢ — طور مفهوم هيوم عن المشاركة الوجدانية الى نظرية المساعدة المتبادلة بين الأفراد والطبقات والامم .

٣ — ساند ضرورة تقسيم العمل .

ان نظريات الحقوق الطبيعيه والعقد الاجتماعى اثرت فى التفكير بطريقة أو بأخرى وأثرت على المفكرين الذين ذكرناهم وعلى عـدد كبير غيرهم .

مذهب المنفعة :

ان مذهب المنفعة يتصل اتصالا وثيقا بالمناقشات المتعلقة بالحقوق الطبيعية والعقد الاجتماعى ، وهو يمثل صورة معدلة من المذهب الفردى مع وجود مستويات محددة ومن أشهر ممثلى هذا المذهب بنتام وميل .

٩ — جيرمي بنتام : Jeremy Bentham

جعل مذهب المنفعة معروفا تماما ، وبخاصة هذا المعيار : اعظم نفع من أكبر عدد وتبعا لفكرة صورية عن التغير الاجتماعي ادعى بنتام ان التحسينات الاجتماعية يجب ان يقوم بها المشرعون وطالب بوجود معايير موضوعية بدلا من تاكيد الدافع الداخلي الذي اشار اليه كانت، وقد ابرز كانت سلوك « كيف » في حين ان بنتام أصر على ما هو السلوك وقد اشار الى الحاجة الى صور من الحكومة المحسنة ، ويبدو انه كان يتجاهل أو على الأقل لايفهم كثيرا الحقيقة القائلة ان التقدم الواقعي يأتي أساسا من خلال تعديل العمليات العضوية • وعلى أي حال يمكن اعتبار بنتام مصلحا اجتماعيا وقد جعل الرفاهية الاجتماعية الهدف الرئيسي •

١٠ — جيمس ميل : (١٧٧٣ — ١٨٣٦) James Mill

ثم جعل جيمس ميل مسئولية الدفاع عن مذهب المنفعة ، الذي وصل الى قمة ثوته على يد ابنه جون ستيوارت ميل (١٨٠٦ — ١٨٧٣) واعتقد ميل الأب أن المنفعة هي الاخلاق وهو مثل بنتام طالب بكثير من الاصلاحات الاجتماعية •

أما جون ستيوارت ميل فقد تبنى صوره معدلة من نظرية الحقوق الطبيعية وأكد أن الفرد ينبغي ان يكون له كل الحقوق التي يستطيع ممارستها دون أن ، يتدخل في حقوق الأفراد ا الآخرين • وقد أدرك ميل ان الملذات التي تشبع الكائنات البشرية لها ترتيب معين وقد أعلن ان من الأفضل ن يأكون انسانا غير راضي عن أن يكون خنزيرا راضيا وقد عارض تصنيف الناس على أساس الفقر والغنى وطالب باحلال معايير الاستحقاق الشخصي والشرف والزعامة الحقة كأسس للتصنيف الاجتماعي •

١١ — سير هنري مين : (١٨٢٢ — ١٨٨٨) Sir Henry Maine

ابتكر مين عبارة من المركز الاجتماعي الى التعاقد • وطبق هذه العبارة على برنامج الرفاهية الاجتماعية • وهناك توضيحات كثيرة اشار

اليها فى . التجارة والحياة الصناعية ان لم يكن فى الانشطة السياسية والاخوية حيث يعقد الناس روابط اجتماعية وعقد الزواج له كثير من خصائص العقد الاجتماعى الأصيل . وقد دفع مين بفكرة العقد الاجتماعى الى ابعد نقطة عملية ، ولكنه لايعتقد فى امكان ان تأتى الجماهير الى مركز القوة . ان مذهبه الفردى قد حرمه من الاعتقاد فى التطور الاجتماعى الممكن لغير المتعلمين (١) .

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الاوربية فى العصر الوسيط ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٥م.

الفصـل الثـامن

الفكـر الاجتمـاعى فى القـرن الثـامن عشر

مع حلول القرن الثمن عشر بدأ عصر جديد فى الفكر الاجتمـاعى وبدأ المفكرون يتجنبون التأمل القديم وتفسير المجتمع فى مصطلحـات ذاتية . فقد عرض فيكو Vico نظرية التقدم واتجاها جديدا فى دراسة المجتمع البدائى وعكس بركلى Berkley والمصلحون الاجتماعيون تأثير العلم الطبيعى عند نيوتن . كما كان منتسكيو أول من تناول علم الاجتماع بطريقة موضوعية ووصفية . وكان تيرجو Turgot وكانت Cant وكوندرسيه Candercet أول من دافعوا عن مبادىء استمرار التاريخ وامكانية التقدم الانسانى بلا حدود كما اشتركوا مع هيردر Herder وغيره فى الكتابة عن فلسفة التاريخ كما ان هيوم Hume قـدم أول أول تفسير سيكولوجى للمجتمع وأدان نظرية العقد الاجتماعى وأشـار الى ضرورة دراسة طبيعية العقيدة كصورة من صور السلوك الانسانى .

وقد استطاع كل من فيرجسون Ferguson وهيودر Herder فى الجمع بين الطريقتين الموضوعية والذاتية فى تحليل العمليات الاجتماعية، كمـا ان الفسيوقراطيين Physiocrats فضـلا على آدم سميث والاقتصاديين الكلاسيك درسوا النتائج الاقتصادية دراسة تفصيلية دقيقة. وقد أكدت الثورة الفرنسية تأكيدا مبالغا فيه مبدأ سهولة انقياد العمليات الاجتماعية الى الاتجاه الرشيد الصناعى . ثم ظهر المدخل التاريخى العملى فى دراسة النظم الاجتماعية وأخيرا جاء سان سيمون Saint - Simon فصنف العلوم وأشار الى الحاجة الى وجود علم تركيبى عن المجتمع لامكان توفير موجه ثابت لأعادة بناء النظام الاجتماعى العام .

وعلى أى حال فالخطوط المتعددة بالنسبة لمدخل تفسير العمليـات الاجتماعية كانت فى عملية نمو خلال القرن الثامن عشر والربع الأول من

القرن التاسع عشر وعندما يفكر المرء فى الموقف يبدو أن الأمرليس غريبامن لعلم الاجتماع • فلم يقم بمعجزة ، فهو على أفضل الاحـــوال جمـــع أن كونت كان قادرا بعد عـــام ١٨٢٠ على وضـــع قوانين نســـق تركيبى التفسيرات المختلفة التى كانت موجودة فى عصره • وســـنحاول عـــرض أفكار أهم هؤلاء العلماء •

١ — منتسكيو : (١٦٨٩ — ١٧٥٥) Montesquieu

لمنتسكيو آراء كثيرة أهمها : تفسيرات جغرافية وبيولوجية للمجتمعلم المدخل التاريخى فى دراسة المجتمع •

(أ) التفسير الجغرافى والبيولوجى •

ان الاطلاع على كتابات هيبوقراط Hippocrates وأرسطو والأكوينى وبودان Bodin يكشف عن نظريات تتناول أثـــر العـــوامل المـــادية — والطقس بصفة خاصة — على الانسان والمجتمع • وقد نمت الفكرة بعد عام ١٧٠٠ وعرض منتسكيو Montesquieu (١٦٨٩ — ١٧٥٥) فى كتابه روح القوانين The Spirit of Lows (١٧٤٨) هذا التفسير للعمليات الاجتماعية والسياسية •

كان الغرض من كتاب روح القوانين وضع المبادىء الأساسية التى ينبغى أن يقوم عليها التشريع • وتوصل منتسكيو الى هذين المبدأين :

١ — توافق النظم والتشريعات مع طبيعة الشعوب التى وضعت من أجلها •

٢ — التفاعل بانسجام بين النظم والقوانين وغيرها من الوســـائل بضمان الضبط الاجتماعى المناسب للجماعة • وقد أدت هـــذه الفكـــرة بمنتسكيو الى دراسة العوامل التى تؤدى الى الاختلاف بين الشعوب من ناحية خصائصها المادية والثقافية • ووجد أن الســـبب الرئيسى لهـــذا الاختلاف بين الثقافات يرجع الى العوامل الجغرافية وبخاصة الطقس • وبدراسة أثر العوامل الجغرافية فى الانسان يمكن فهم سمات الشـــعوب المختلفة وبذلك يمكن تحديد القوانين والنظم التى تناسب كل شـــعب من الشعوب •

واهتم منتسكيو بالدراسة المقارنة فلم يتكلم عن الدولة المثلى ولا النظام الاقتصادى المطلق بل اعتقد فى أن النظام الأفضل هو الذى يتناسب أكثر من غيره مع ظروف الشعب وبذلك أوضح تأثير البيئة الجغرافية على النظم الاجتماعية المختلفة .

وأدعى منتسكيو ان نظام الحكم الاستبدادى يناسب البلاد ذات الطقس المعتدل والنظام الجمهورى يناسب سكان المناطق الباردة ، ومن ناحية الدين فالاسلام يناسب سكان المناطق الحارة والكاثوليكية تتفق مع شعوب المناطق ذات الطقس المعتدل أما البروتستانية فتناسب أهالى المناطق الباردة . وعندما درس نظام الزواج رأى تعدد الزوجات يتفق مع شعوب المناطق الحارة ، فى حين أن زواج الرجل الواحد من أمرأه واحدة أمر مفضل فى المناطق المعتدلة والباردة ومن ناحية أخرى يجب تحريم شرب الخمر فى البلاد دائما الطقس الحار لأن سكان تلك البلاد لا يحتاجون للاثارة كى يعملوا بنشاط وقد يكون شرب الخمر أمرا مقبولا فى المناطق الباردة بسبب حاجة السكان الى حرارة داخلية لاثارة حواسهم نظرا لفتورهم وعدم شعورهم بالمبالاة (*) .

وكان اهتمام منتسكيو باهمية العوامل الجغرافية فى تشكيل النظم الاجتماعية من العوامل التى لأدت ظهور الجغرافية البشرية فضلا عن أن كثيرا من علماء التاريخ والسياسة والاقتصاد أثبتوا صحة بعض آرائه .

فاعتقد كونت بوفون Count Buffon ان الخلافات بين الاجناس ترجع أساسا الى الاختلافات بين المواطن الجغرافية التى تقيم تلك الاجناس كما أن — الفيلسوف الألمانى هيردر Herder يتفق مع منتسكيو على أثر البيئة الجغرافى على الانسان ولو أنه اهتمامه بالقوى العضوية والنفسية تفوق كثيرا اهتمام منتسكيو .

ويعتبر منتسكيو من أعظم من كتبوا عن النظرية السياسية فى القرن الثامن عشر ونشر كتاباته الأولى عام ١٧٢١ باسم الخطابات الفارسية وفيها يوجه انتقاداته الى المجتمع الفرنسى على لسان اثنين من الرحالة الفارسيين وهما يكتبان الى أصدقائها وأقاربهما فى ايران عن المجتمع الفرنسى .

(*) يختلف المؤلف تماماً مع هذه الأفكار .

وقد أسهم منتسكيو أيضا فى وضع المدخل التاريخى لدراسة المجتمع ونستطيع قراءة أفكاره عن الأساس الاجتماعى للتاريخ فى كتـابة روح ولكن ما أضافه الى المدخل التاريخى يتضمنه كتابه « اسـباب عظمـة وسقوط الرومان » الذى ظهر عام ١٧٣٤ وقد برهن هذا الكتاب على عمق القوانين • ولكن ما أضافه الى المدخل التاريخى يتضمنه كتابه«أسبابعظمة دراساته التاريخية وأوضح الأسباب التى أدت الى قيـام الامبراطورية الرومانية كما أوضح الأسباب التى أدت الى انهيارها وقد سبق كثيرا من العلماء المحدثين فى القول بأن السبب الرئيسى لانهيـار الامبراطورية الرومانية هو أنها توسعت بدرجة كبيرة حتى أصبح اقتصادها لا يسـاند هـذا التوسـع •

المدخل التاريخى فى دراسة المجتمع :

لم تقتصر اسهامات منتسكيو على تقديم بعض الأفكار للجغرافيـا البشرية بل اهتم كثيرا بدراسة المجتمع الانسانى دراسة تاريخية فأكـد تنوع القوى التى تؤدى الى تحسين التطور الاجتماعى ، واهتم بصـفة خاصة بالعوامل التجارية والجغرافية • ودرس منتسكيو وأتباعه أثـر الثورة التجارية فى تاريخ المجتمع الانسانى • وكانت أفكاره عن الأساس الاجتماعى التـاريخ قائمة فى كتابه روح القوانين ولكـن ما أضـافه للتاريخ تضمنه كتابه أسباب عظمة وسقوط الرومان (١٧٣٤) •

Causes of the greatiness and decadeness of the Romans

وقد برهن هذا الكتاب على عمق مدخله فى دراسـة التاريخ فقـد وضع تركيبا شاملا لاسباب قيام الحضارة الرومانية وأسباب انهيارها • وقد سبق علماء محدثين بالقول ان السبب الرئيسى لانهيار الامبراطورية الرومانية هو أنها توسعت بدرجة كبيرة للغاية حتى أن الاقتصاد الرومانى لم يعد قادرا على مساندة هذا النمو والتوسع •

وقد تفوق منتسكيو على عدد من المؤرخين البارزين وعلماء الاجتماع التاريخى ومن أشهر هؤلاء أرنولد هيرمان Arnold Herman وهو مؤرخ لنظم وتجارة العصر القديم ، وآدم فيرجسون Adam Ferguson وهو أول عالم فى الاجتماع التاريخى •

العناصر السوسيولوجية فى الفكر السياسى :

يعتبر منتسكيو من اعظم من كتب عن النظرية السياسية فى القرن الثامن عشر وهو من بين من أسس علم السياسة الرشيدة Rational Politics وهو أحد النبلاء الفرنسيين الذى عكف فى مرحلة مبكرة من عمره على دراسة النظم الانسانية وكانت كتاباته الأولى تعرف باسم الخطابات الفارسية the persian letters (١٧٢١) حيث هاجم بشدة المجتمع الأوربى فى ذلك الوقت من وجهة نظر اثنين من الرحالة وهما شخصيتان وهميتان تخيلهما منتسكيو • ومن خلال بعض القصص الخيالية لهذين الفارسيين اللذين يكتبان الى أصدقائهما وأقاربهما فى فارس عن المجتمع الفرنسى ، كان منتسكيو قادرا على أن يهاجم بذكاء وأسلوب لاذع كل النظام الاجتماعى الفرنسى • وقد اتخذت هذه الكتابات الذكية طريقها الى البلاط الفرنسى حيث كانوا يقرأونها •

وكان منتسكيو كغيره من الشخصيات الاوربية — مفتونا بالرومان، واعتقد أن تاريخهم يمثل معملا تاريخيا كاملا لدراسة النظم الانسانية ونشر فى عام ١٧٣٤ نتائج هذا التأمل الذى استمر عدة سنوات تحت عنوان « عظمة وسقوط الرومان » وبعد ذلك بأربعة عشر عاما نشر أعظم اعماله وهو كتاب روح القوانين ويختلف منتسكيو عن معظم المفكرين الاجتماعيين المعاصرين له ، فى انه لم يضع حلا ميكانيكيا للمشاكل الاجتماعية ، لكنه يضع ما يصل اليه من مكتشفات لمساندة أى اصلاح اجتماعى ، وقد طور الدراسة المقارنة للنظم الاجتماعية تطويرا عاليا • ولم يقتصر على دراسة موقف خاص ، بل طرق كل مجالات المعرفة المعروفة عن الجماعات كالعرف والقوانين باحثا عن الروح الكامنة وراءها والى جانب قراءاته الكثيرة فانه قام برحلات عديدة وزار تقريبا كل البلاد الاوربية • وقد ضع منتسكيو الحقائق التى جمعها بعناية فى كتابه روح القوانين ، الذى لا يحتوى الا على عدد قليل من التعميمات القاطعة التعسفية • وقد تكون الخاصية المميزة لهذا الكتاب هو عدد الاقتراحات التى قدمها لمشرعى القوانين • كما انه لم يقدم اقتراحات عن اصلاح

هوى عنيف ، وحتى اعجابه بالستور البريطانى الذى أساء فهمه لم يؤدبه الى المطالبة بتطبيقه فى فرنسا .

وكانت فكرته الاسسياسية ـ كما ذكرنا من قبل ـ ان القـوانين والعرف والنظم تنتج عن العوامل الجغرافية وبخاصة الطقس وان ماقد يناسب شعبا من الشعوب قد لايكون مناسبا لشعب آخر . وعلى هـذا الأساس رفض تطبيق النظام البريطانى فى فرنسا .

واننا نجد عند منتسكيو قليلا من المشاركة الوجدانية لافلاطـون ويرى أن الاحتكاك الثقافى يلعب دورا كبيرا فى خلق الحضارة ،ولكنه يقضى على العدات ، يجعل الشىء المقدس دنيويا وهذا يلازم طبيعية عملية التمدن Civilizign process.

ولعل الافكار الرئيسية فى كتاب روح القوانين كالاتى :

١ ـ بعض الشعوب التى لم تعرف الكتابة فى مستوى منخفض من التطور الثقافى بسبب الزلة أساسا ، وليس بسبب عوامل الجنس Race أو العوامل الجوية .

٢ ـ فى الفترات المبكرة ، التجارة والاتصال جانبان لظاهرة واحدة

٣ ـ تاريخ التجارة مرتبط بتاريخ الصراع والحراك الاقليمى بصفة عـامة .

٤ ـ الأدب Politeness واخلاق الطيبة ، تطورت بصورة كبيرة فى الثقافات حيث تطورت التجارة .

٥ ـ قد يؤدى الاحتكاك الثقافى الى نشأة الاعتقاد بالطبيعة النسبية للاعـراف .

٦ ـ قد ينشأ بين السلوك Manners والأخـلاق Morals عداء متبادل وغالبا ما يحدث ذلك .

٧ ـ ترتبط الكثافة السكانية بالصراع من أجل المركز الاجتماعى .

٨ ــ تكرار الاثارة يجعل الناس يستجيبون أسرع للفكر الجديد. (جانب واحد من الحراك الفكرى)•

٩ ــ الكثافة السكانية مطلوبة لنمو نظام التبادل النقدى

نظريته فى التغير الاجتماعى :

لاتوجد آثار من الاستجابة ضد حماس المصلحين والتقشف الاسبرطى عند افلاطون • كان منتسكيو معجبا بالدستور البريطانى. اللارشيد هو صاحب كتاب خطابات فارسية فيها هجوم فلسفى على النظام القائم وكتاب روح القوانين الهجوم المباشر على حصون كل من الدولة والكنيسة وهو من أشهر الكتب التى ظهرت فى ذلك القرن ، ظهر عام ١٧٤٨ آثارة على الثورة الفرنسية يبدوا أن منتسكيو كان واعيا بآثار العزلة والدور الذى تلعبه الهجرة وبخاصة من جانب الرحلات التجارية فى انهيار الاخلاق المحلية ، وخلق سؤ التنظيم الاجتماعى •

وتوجد فى نفس الوقت تجمعات حضرية جديدة وتزيد من الاستهلاك•

وهناك أمثلة من بعض كتاباته :

« يتكون الجزء الاعظم من الناس على الساحل الافريقى من المتوحشين والبرابرة واعتقد أن السبب الرئيسى لهذا يرجع الى أن البلاد الصغيرة التى يمكن السكنى فيها منفصلة الواحدة عن الأخرى بسبب مساحات شاسعة من الاراضى غير المؤهلة بالسكان • وهم لا يشتغلون بالفنون •

ان تاريخ التجارة هو تاريخ اتصال الشعوب • وتتكون معظم الأحداث غير العادية من هزائم عديدة •

واننا لانندهش اذا كانت اخلاقنا فى الوقت الحاضر أقل وحشية مما سبق • فقد نشرت التجارة فى كل مكان المعرفة باخلاق كل الأمم : وهذه تتم المقارنة بينها ومن هذه المقارنة تنشأ مزايا عظيمة •

ويمكن القول ان قوانين التجارة تحسن عن الاخلال وهى تدمرها لنفس السبب فهى تفسد احسن اخلاق • وكان هذا موضوع شكاوى افلاطون ، واننا نرى كل يوم بأن تصقل وتنقى اكثر بالشعوب بربرية •

٢ — تيرجو Turgot ودورة الصراع Combat Cycle

يعد نشر الكتاب العظيم لمونتسكيو بوقت قصير تلميذ شاب الكنيسة يدعى تيوجو قبل فى السوبريون حصل على وظيفة الدروس وتقضى بأن يلقى دروسا لاتينه مطولة فى السوربون فى هذه الدروس نجد سلسلة من التصميمات السوسيولوجية ان حياته كرجل دولة وصول واقتصادى فيزيوقراطى Physiocratic يتميز سلسلة من الكتابات الهامة •

طريقة تيرجو فى استنفاذ التفسير الاخلاقى Moral

قبل أن يلجأ الى التفسير بالرجوع الى اعتبارات الجو الاعتبارات البيولوجية • ان التشابه الاساسى بين البشر هى مسلمة منهجية « نفس الحواس » نفس الاعضاء ، منظر نفس العالم يعطى الناس دائما نفس الافكار ، تماما مثل نفس الحاجات ،ونفس القابلية قد علمتهم فى كل مكان نفس الفنون ولكن على الرغم من هذا التشابه الاساسى فان الانسان كما يوجد فى تنظيماته الاجتماعية هو شيء مختلف •

ثم أثار هذا السؤال : ما هو أسلوب عمل التغيرات الاجتماعية التى حدثت بالفعل ولكى يجب على هذا السؤال يجب الاجابة أولا على سؤال آخر : كيف يمكن تفسير الاستقرار ، الثبات ، والاستمرار لنفس النظم •

ان العزلة ، نقص الاحتكاك الثقافى وأحد التفسيرات خاصة للمراحل الدنيا من الثقافة •

واثناء تطور الثقافة ، نظم التعليم والدين يلعب دورا كثيرا فى تثبت الانماط فى أن تضفى عليها الجمود وعدم المرونة •

ويحدث التغير الاجتماعى بفضل تأثير الهجرة والاحتكاك الثقافى وبخاصة من خلال وسيط التجارة تتصبح كل أمة تمثل مرحلة انتقالية بين

جيرانها ولا يعنى نيوجو أن الهجرة والظواهر المرتبطة بها هى العوامل الوحيدة فى التغير الاجتماعى لان الثقافة الخاصة بأى جماعة تحدث بها بعض التعديلات حتى اذا لم يحدث أى احتكاك بجماعات أخرى ويرى تيرجو « ان الجنس الانسانى قد يظل الى الابد فى حالة متوسطة اذا لم يتعرض الهجرات والهزائم » .

وقد أشار تيرجو الى ان فترات من التغير البطى والسريع يتبع احدها الاخر « الكتلة الكلية من النوع الانسانى خلال تعاقب الهدؤ والاضطراب ، أيام الخير وأيام يستمر فى للتقدم .. نحو درجة عالية من الكمال » نستطيع القول ان تيرجو كان بحسى مؤمنا .

بان الصراع هو أساس كل شيء Conflict is the father ofall things

وتكلم عن دوره الصراع كان تلميذا لابن خلدون .

واخيرا لانستطيع أن نحذف أهم اسهامات تيرجو :

خطط بوضوع عملية السيادة وتنظيم العالم فى جوانبه السياسية قبل قرنين من خطط الزمان تقريبا عند ما قام علماء الايكولوجيا الانسانية بوضع المفهوم العام . واذا كان البحث قد سار تبعا لتأملات تيرجو لكان التفكير السوسيولوجى فى الوقت الحاضر أكثر تقدما .

التعميمات التى : وصل اليها تيرجو فضعها وفضها فى مصطلحات حديثة ونلخصه غلى النحو التالى ؟

١ — الاختلافات بين الجماعات الثقافية ينبغى دون الرجوع الى العوامل غير السوسيولوجية اذا أمكن .

٢ — العزلة الضبط الاجتماعى .

من الثقافات .

٣ — الهجرات العظيمة الناشئة عن الهزيمة هى الوسائل عن طريقها الضبط الاجتماعى : انهيار بفاعلية فى الثقافات القديمة .

٤ — تحرير طاقة الفرد التالية لانهيار الضـبط الاجتمـاعى هى السابقة Antecedent المباشرة للتغير الاجتماعى والتقدم (التعقدالثقاف المتزايد) •

٥ — العملية التى بواسطتها يحدث التغير الشخصى والاجتماعى هى لتوريه وتتبع نمط التوازن (الثبات) — عامل معتـــدى Intrusive توتر وقلـــق — ازمة صراع (تفكك) Release نــزع فرديـــة Indivi duation توفيق (اعادة تنظيم) توازن جديد •

٦ — ستكرر دوررة الصراع حتى مرحلة تنظيم العالم تحت مركـز سيادة واحداء بعد تيرجو من الصعب ان نجد أحدا يتناول مشكلة الهجرة الملازمة للحروب بطريقة جديدة ، معظم نظريات الصراع التالية تبــدو كصدى لدروس هذا الرجل الفرنسى — العظيم • وقد استهلك تيرجــو فكرة الهجرة الامنة Peaciful Migralion واهتم كثيرا بالاتصال بصفة عامة والتجارة بصفة خاصة •

المركيزدى كوندريسه Marquis de Condercet (١٧٣٤ — ١٨٩٤)

يمثل كوندريسة تلك الجمـاعة التى تنظـر الى الثورة الفرنسـية باعتبارها تمهد الطريق لعصر جديد من الحضارة • وتحدث كـونت من كونه رسية باعتباره أفضل من درس الدينامات الاجتمـاعية فى القـرن الثامن عشر ، كما كان منتسكيو أفضل من درس الاستاتيكا الاجتمـاعية وكتاب كوندريسية المسمى « التقدم الفكرى للنوع الانسانى » •

A Sketch of the intellectual progress of mankind

(١٧٩٣) يعتبر أعظم الكتابات المتفـائلة فى ذلك العصر وأدى به استعراضية للمراحل السابقة من التاريخ الى الاعتقاد بأن الحضـــارة تتقدم بسرعة وانه يجب النظر الى الثورة الفرنسية باعتبارها قمـة تلك العملية •ووضع نظرية التقدم التاريخى التى فاقت كثيرا الكتابات الأولى لفيكو Vico وتيرجو Turgot وبذلك بلغت فلسـفة التاريخ أدى صورها وأقوى مظاهرها بنقل ما كتبه كندوريسة وتقتضى فكـرة التقـدم ازدياد المعرفة ونمو التحصيل العلمى •

وقسم كوندريسة تاريخ الانسانية الى عدة مراحل آخرها الآمـال

أما المراحل التسع الاخرى فهى : المرحلة الرعى واستئناس الحيــوان ، مرحلة الزراعة ، مرحلة الحضارة اليونانية ، مرحلة الحضارة الرومانية ، القرون الوسطى والمسيحية ، عصر الاقطاع ، عصر اختاع الطباعة عصر الثورة الفرنسية • وقد انفرد موندريسه دون غيره من المفكــرين يبحث مسألة مستقبل الانسانية • كان متفائلا ،وقدم كثيرا من الثبوات الدقيقة والمبالغ فيها لما يستطيع العلم تحقيقه للانسان وبذلك كان أحد الكتــاب الاوائل الذين يجمعن بين النظريات العملية والنظــريات اليوتــوبية عن المجتمع والواقع ن فلسفة التاريخ لا تتفق مع اتجاه علم الاجتماع ، لان لا يقر فكرة التقدم المطلق للانسانية فهى فكرة فلسفية شخصية ، تعبرها عما ينبغى ان يكون وليس عما هو كائن بالفعل • ان فكرة التقدم تختلف عن الفكرة السابقة وهى الانحدار من عصر ذهبى ، وكان هيزيود Hesiod أول من عبر عنها ، وقد أثرت تأثيرا عميقا فى الفكر الاوربى حتى القــرن التاسع عشر ، وهى الفكرة التى تستند عليها الديانات السماوية من أن آدم وحواء كانا يعيشان فى الجنة ثم هبطا الى الأرض عندما عصيا أوامر الله سبحانه وتعالى •

الثورة الصناعية ونشأة علم الاجتماع :

كانت الثورة الصناعية ولاتزال من أعظم التغيرات الاجتماعية التى حدثت فى تاريخ المجتمع البشرى • لقد غيرت الحياة الاجتماعية فى أوربا الغربية واكن لابد من مواصلة ظروف الحياة الجــديدة التى أجــــدتها الصناعة • وفى الواقع أدت الثورة الصناعية الى الكثير من الخبير فقــد اثراد الانتاج ووجد كثير من العاطلين فرض العمل فى الصناعة ، ولكنهــا الى جانب ذلك أوجدت كثيرا من الشرور والاثام • فقــد كان العمــال فى الصناعة ، ولكنها الى جانب ذلك أوجدت كثيرا من الشرور والاثام • فقد كان العمال يعملون ما يزيد عن ١٦ ساعة فى اليوم الوا ، الواحــد ، ولم تكن ظروف العمل طيبه • فضلا عن القسوة فى المعــاملة ، ولم يكن هناك ان اهتمام بحماية العمال من الاضرار التى تصيبهم من الآلات •كما لا تقدم لهم رعاية طبية • والى جانب ذلك استخدمت الصناعة كثــــيرا من النساء والاطفال وكانت تفضلهم على الرجال لانهم يقبلون اجــورا اقل • وبذلك ادت الصناعة الى تفكك الاسرة ، فالنساء والاطفال يعملون

والرجال عاطلون عن العمل . ومعنى هذا ان حالة العمال كانت سيئة داخل المصانع ولكن حالتهم خارج المصانع لم تكن اقل سوءا . اذ هاجر الريفيون باعداد كبيرة الى المدن ، واشتغل بعض أصحاب الأموال هذا الحال فبنوا كثيرا من المساكن التى لاتتوافر فيها الشروط الصحية ، ولذلك نشأت فى المدن كثير من الاحياء المختلفة . وهكذا ساءت أحوال العمال . وقد أدى هذا بالمفكرين والمطحين والادباء الى التفكير فى اعادة بناء المجتمع الغربى من النواحى الاجتماعية والاقتصادية . ونشأ ما يسمى بالحركة الانسانية التى تستهدف الاهتمام بالانسان . وبدأت حركات الاصلاح الاجتماعى على أساس التعارف والمشاركة الوجدانية بين المصلحين الاجتماعيين الفقيرة ولكن نبين بعد ذلك ان هذا الاصلاح كى يكون نافعا لابد من أن يعتمد على علم عن المجتمع . ذلك العلم الذى يوضح طبيعة التحسن الاجتماعى وحدوده . ولم يبدأ دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة سوسيولوجية الا مع اوجست كونت ثم تطورت هذه الدراسة بفضل علماء الاجتماع الذين جاؤا من بعده .

أوجيست كونت

ولد (أوجيست كونت) فى مونتيلية بفرنسا وتلقى دراساته العليا فى مدرسة الهندسة وتتلمذ على سان سيمون لمدة ستة أعوام وكان من تلاميذه المتحمسين لمذهبه ولكن الشقاق دب بينها بعد ذلك لان موقف الاستاذ كان تقدميا اكثر من اللازم بينما كان تلميذة محافظا . ومن المؤلفات الهامة التى ألفها فى شبابه والتى عرض فيها معظم أرائه الفلسفية والاجتماعية هى الدراسات التى سماها (الفلسفة الوضعية) وكان ذلك فى سنة ١٨٢٦ وقد عرض فى هذا الكتاب تصنيف العلوم وضرورة قيام علم الاجتماع وطبيعته مع تقسيمه الى قسمين كبيرين هما :

١ ــ علم الاجتماع الاستاتيكى أو الاستقرارى .

٢ ــ علم الاجتماع الديناميكى أو التطورى .

١ ـ الاسباب التى دعت (كونت) الى دراسة ظواهر الاجتماع :

كان حرص (كونت) على اصلاح المجتمع وتخليصه من عوامل الاضطراب والفساد أهم مادعاه الى انشاء العلم الجديد فقد ذكر (كونت) انه لاحظ ان المجتمع فى عصره يشمله الفساد فى مختلف فروع حياته واعتقد ان السبب الرئيسى فى فساده هذا يرجع الى فساد الاخلاق وان السبب فى فساد التفكير واضطراب طرق الفهم وتصور أن ذلك مرجعة الى ان الناس كانوا فى عصره يسلكون منهجين متناقضين كل التناقض فى فهم الظواهر المختلفة فاذا كانوا بصدد ظاهرة من ظواهر الطبيعة فهموها على الطريقة الوضعية ، وهى الطريقة التى يبحث فيها عن طبيعة الظاهرة وسببها المباشر وما تخضع له عن قوانين فى حين انهم عندما يكونون بصدد ظاهرة من ظاهر الاجتماع الانسانى .

يسلكون فيها منهجا آخرا ويفهمونها على طريقة أخرى سماها (كونت) بالطريقة الدينية الميتافيزيقية وهى الطريقة التى يلتفت فيها الى طبيعة الظاهرة وسببها المباشر وما تخضع له من قوانين وانما تفهم على انها من نتاج قوة الالهة او من نتائج قوة مبهمة متافيزيقية مبتلبسة بالظاهرة نفسها كقوة الأنبات فى النبات وقوة الاشتعال فى النار .

ولما كانت هاتان الطريقتان من الفهم متناقضتين كل التناقض فقد أدى وجودها جنبا الى جنب فى اذهان الناس والتجائهم اليهما معا الى تفسير الظواهر إلى احداث اضطرب كبير فى لتفكير الانسانى اذ ليس هناك خلل فى التفكير اكثر من قبول النقضين ويسمى (كونت) هذه الحالة بالفوضى العقلية واليها يعزو فساد الاخلاق والسلوك الذى يؤدى بالتالى الى فساد شامل فىمختلف فروع الحياة الاجتماعية لانها تقوم على دعائم الاخلاق والمثل وبفساد هذه الدعائم وانهيارها تفسد جميع فروع الحياة وتتقوض ولذلك رأى (كونت) أنه لاسبيل الى اصلاح المجتمع والا باصلاح الانسانى وذلك باتباع منهج واحد فى فهم الظواهر المختلفة

وقد استعراض (كونت) الوسائل التى تؤدى الى القضاء على اضطراب الفهم فوجد انها منالناحية المنطقية لاتتجاوز ثلاث وسائل هى:

الوسيلة الأولى :

ان تعمل على التوفيق بين هاتين الطريقتين من الفهم بحيث لايحدث — وجودهما معا فى ذهن الناس اضطرابا فى تفكيرهم .

الوسيلة الثانية :

ان تقضى على الطريقة الوضـعية فى فهم الناس للظـواهر بحيث يفهمون جميع الظواهر على الطريقة الدينية الميتافيزيقية .

الوسلة الثالثة :

ان تقضى على الطريقة الدينية الميتافيزيقية فى فهم الظواهر فيفهم الناس جميع الظوهر على الطريقة الوضيمة .

أما الوسيلة الاولى وهى التوفيق بين طريقتين فقد رأى انها غـير ممكنة لان — الطريقتين متناقضتين كل التناقض فالطريقة الوضـعية تبحث عن السبب المباشر للظاهرة وتقوم على اقتناع كامل بان الظـواهر — ايا كان نوعها خاضعة لقوانين وان الهدف من الدراسة هو التوصل لهذه القوانين فى حين ان الطريقة الدينية الميتافيززيقية تبحث عن الصلة الاولى لوجود الظاهرة والمتمثلة فى قوة مزيدة او قوة مبهمة وتقوم على الاعتقاد بان الظواهر غير خاضعة لقوانين ولذلك فهى تبحث عن كل شىء الا هذه القوانين وواضح ان الطريقتين يبلغ الخلاف بينهما هذا الحد من التناقض لدرجة لا يمكن مطلقا التوفيق بينهما .

أما الوسلية الثانية .. وهى القضاء على الطريقة الوضعية وجعـل الناس يفهمون جميع الظواهر على الطريقة الدينية الميتافيزيقية غير ممكنة عمليا لانها لا تتيسر الا اذا أمكن محو كل ما وصلت اليه العلوم الرياضية والطبيعية من نتائج وقوانين من اذهان الناس وحتى اذا أمكن ذلك جدلا فلا يمكن ان نتصور امكان جمود الفكر الانسـانى والحيلولة بينه وبين الاتجاه الى كشف القوانين التى تخضع لها ظواهر الطبيعة . وبذلـك لم يعد هناك سوى الوسيلة الثـالثة وهى القضـاء على للطـريقة الدينية الميتافيزيقية فى التفكير وجعل الناس يفهمون جميع الظواهر على الطريقة الوضعية ، ويرى (كونت) ان الناس يفهمون جميع الظـواهر الكونية

على الطريقة الوضعية ماعدا ظواهر الاجتماع الانسانى فكانوا يفهمونها على الطريقة الدينية الميتافيزيقية فاذا امكن جعلهم يفهمونها على الطريقة الوضعية تحقق بذلك التفكير الوضعى •

غير ان فهم ظواهر الاجتماع على الطرقة الوضـــعية لا يمكن ان يتحقق الا اذا توافر شرطان :

١ ــ ان تكون هذه الظـواهر خاضعة لقـــوانين لأن فهم أى شىء بالطريقة الوضعية يعنى فهم القانون الذى يخضـع له ، فاذا كان هــذا الشىء بحسب طبيعته غير خاضـع لقانون فانه من المسـتحيل ان يفهم فهما وضعيا •

٢ ــ أن تكون هذه القوانين معروفة للناس حتى يســتطيعا ان يفهموا الظواهر الاجتماعية وفق ماتضعه هذه القوانين من حدود •

اما الشرط الاول فيرى (كونت) انه متوافر كل التوافر الظــواهر الاجتماعية لان الظواهر ناحية من ناحى الكن وجميع نواحىالكون تجرى وفق قوانين وليست وفق المصادفات وما يصدق على الكل يصـدق على الجزء •

والشرط الثانى وهو معرفة الناس لهذه القوانين فاذا يمكن توافره الا اذا كشف الباحثون عن هذه القوانين ولا يمكن الكشف عنهـا الا اذا درست الظاهرات ــ الاجتماعية دراسة وضعية ترمى الى بيان طبيعتهـا والعلاقات التى تربط بعضها بالبعض الآخر والتى نربطهـا بغـيرها من الظاهرات الاخرى وما ينجم عن هذه العلاقات من نتائج فى نشأة هـذه الظواهر وتطورها واختلافها باختلاف المجتمعات والعصور •

وبهذه الطريقة يمكن اصـلاح التفكير الذى يتوقف عليه اصـلاح الاخلاق وهذا بالتالى يتقف عليه اصلاح المجتمـع • ولما كان (كـونت) حريصا على اصلاح المجتمع وكانت الدراســة التى تؤدى الى ذلك غير موجودة فى نظرة فقد قام هو بانشائها ، أى انه قام بدراسة الظــواهر الاجتماعية دراسة وضعية تؤدى الى الكشف عما تخضع له هذه الظواهر

من قوانين — ومن هذه الدراسات يتألف علم الطبيعة الاجتماعية محاولا بذلك ان يشير الى ان غرضه الكشف عنطبيعة الاجتماع الانسانى ثمعدل عن هذه التسمية بعد ان لاحظ انكتيلية البلجيكى ينشر بحوثا فى الاحصاء الاجتماعى يطلق عليها هذا الاسم ولهذا عاد وسماه (علم الاجتماع)،
Sociology.

موضوع الدراسة واغراضها ومناهجها عند (كونت)

موضوع عند (كونت) هو دراسة الظواهر الاجمتاعية (وكونت) شأنه فى ذلك شأن (ابن خلدون) لم يحاول ان يعرف هذه الظواهر وبين خواصها وانما اكتفى بان قرران موضوع علم الاجتماع شامل لما عدا موضوعات العلوم الطبيعية والرياضية والغريب ان (كونت) عنى بتعريف الظاهرة الطبيعية والكيمائية والبيولوجية وتحديد مضوعات هذه العلوم ولكنه لم يعطينا تعريفا للظاهرة الاجتماعية أو تحديدا دقيقا لموضوع علمه ٠

ويرى (كونت) أن علم النفس لا يعتبر علما مستقلا لان ظواهره يتصل ويتوقف على أجهزة الجسم الانسانى ووظائف أعضائه وأعمال الجهاز العصبى ولذلك فهو يلحق فى نظرة بالعلوم الطبيعية وبعض ظواهره الأخرى يتصل ويتوقف على الحياة — الاجتماعية وشئون الاجتماع وهذا القسم يجب أن يلحق بعلم الاجتماع ٠ وكان (كونت) يرمى من وراء دراسته الى الكشف عن القوانين التى تخضع لها الظواهر الاجتماعية ٠

أما منهج الدراسة الذى دعا اليه (كونت) فهو المنهجالوضعى الذى ينبذ المناهج القديمة ويختلف عنها اختلافا جوهريا اذ لا يؤمن بخضوع الظواهر لقوى خارقة للمادة ولكائنات خفية تعمل فى الخفاء وانما يؤمن بخضوع الظواهر لفكرة القانون وأصبح الوصول الى القانون العلمى هو المحور الذى تدور حوله الدراسة وبحيث تضيق دائرة التخيل الفلسفى بعد تيسير هذا المنهج الوضعى ٠

ويمكن تحديد خطوات المنهج عند (كونت) فى النقاط الآتية :

اولا : الملاحظة :

وذلك من طريق دراسة العادات والتقاليد والآثار ومظاهر الفنون.

الأخرى والاستعانة بالوثائق والسجلات التاريخية ودراسة التشريعات وما اليها وصعوبة استخدام هذا الأسلوب يرجع الى أمرين :

١ — ان الباحث الاجتماعى يعين وسط الظواهر التى يلاحظها .

٢ — ان هذه الظواهر مألوفة للباحث الاجتماعى .

وينصح كونت الباحث الاجتماعى باعداد ما يريد ملاحظته قبيل القيام بالملاحظة مع عدم التأثر بالاهواء الذاتية أو المعتقدات الشخصية .

ثانيا : التجربة ولا يقصد (كونت) التجربة المعتمدة على الضبط الصناعى ولكنه يقصد استخدام التجربة غير المباشرة وذلك بالمقارنة بين الحالاتالسوية والحالات الباثولوجية (المرضية) ومن أمثلتها الثورات والقلاقل والأزمات الاقتصادية والاضطرابات الداخلية وغيرها .

ثالثا : عقد المقارنات بين المجتمعات المختلفة للوقوف على أوجه الشبه وأوجه التباين بينها بالنسبة لبعض الظواهر الاجتماعية ومقارنة ما تقوم به هذه الظواهر من الوظائف فى كل مجتمع منها .

رابعا : استخدام المنهج التاريخى : ويسميه (كونت) المنهج السامى لأنه يكشف عن القوانين الأساسية التى تحكم التطور الاجتماعى للجنس البشرى باعتبار أن هذا الجنس وحده واحده تنتقل عبر التاريخ من مرحلة الى أخرى أرقى منها هذا ويغفل هذا المنهج الواقائع التاريخية الجزئية والوقائع المادية محاولا الكشف عن قوانين التطور الاجتماعى .

أقســام الدراســة :

قسم (كونت) علم الاجتماع الى فرعين رئيسين هما : —

١ — الديناميك الاجتمــاعى   ٢ — الاستاتيك الاجتمــاعى

وتمتاز الشعبة الأولى بانها تدرس الاجتماع الانسانى فى جملتــه ولا نعنى بتفاصيل من نظم سـ' ـة وقضائية واقتصادية وخلقية ودينية وغيرها كما تمتاز بخاصية أخرى وهى انها تدرس الاجتماع الانسانى فى تطوره والغرض الأساسى لهذه الدراسة هو الكشف عن القوانين التى يسير عليها هذا الاجتماع فى انتقاله من صورة الى صورة أفضل .

أما الشعبة الثانية وهى الاستاتيك الاجتماعى..فهى تدرس الاجتماع الانسانى فى تفاصيلة لافى جملته كما تفعل الشعبة الأولى كما انها تدرس هذه التفاصيل من الناحية الاستقرارية لا من الناحية التطورية وترمى هذه الدراسة الى شرح الأجزاء والعناصر التى تتألف منها الظواهر الاجتماعية والوظائف التى تقد بها وعلاقة هذه الوظائف بعضها ببعض وتشبه هذه الدراسة علم التشريح الى حد كبير .

وقد بدأ (كونت) بحوثه بالشعبية الأولى وهى الديناميك الاجتماعى ووقف عليها معظم دراسته ثم انتقل منها الى دراسة الشعبة الثانية وهى (الاستاتيك الاجتماعى) .

اهم ما يوجه الى كونت من مآخذ :

أ — يبدو أن الأسباب التى دعته الى انشاء علم الاجتماع أسباب خياليه من وحى تفكير الخاص .

ب — رغم انه نبه الى قواعد منهجية قيمة الا انه لم يلتزم بها فى دراساته .

ج — فيما يتعلق بقانون الحالات الثلاث نجد أن كونت درس الانسانية باعتبارها كل لا يتجزأ مع أن الواقع أن هناك مجتمعات جزئيه وهى لا تتفق مع بعضها .

د — ليس صحيح كما زغم كونت أن تطور الظواهر الاجتماعية لايتأثر الا بتطور التفكير .

ه — فيما يتعلق بقانون التضامن ليس صحيح أن جميع مظاهر الحياة ينسجم بعضها مع بعض ففى كل مجتمع انسانى تنشأ تيارات تطورية تتعارض مع بعض النظم المستقرة . (١)

---

١ — مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الاول — مرجع سابق .

الفصل التاسع

المدرسة الانجليزية

هربرت سبنسر (١٨٢٠ — ١٩٠٣) مؤسس المدرسة التطورية :

Herbert Spencer

اهم مؤلفاته :

١ — مبادىء علم الاجتماعى

Principles of Sociology

٢ — مبادىء علم النفس

Principles of Psychology

٣ — فن التعليم (مقالة)

The Art of Education

٤ — الكائن الاجتماعى (مقالة)

The Social Organism

اولا : نظرية التطور الاجتماعى :

تأثر سبنسر بقوة بمبدأ التطور وخاصة بمؤلفات المفكر الفرنسى لامارك وهو أول من عرض نظرية التطور العضوى وعندما جاء دارون من بعده وجد اتجاها عاما نحو الاعتقاد فى مبدأ التطور فكتب : « أصل الانواع » Origin of Species وتسلسل الانسان Desecence of Man وترجع أهمية دارون الى انه وضع النظرية وجعلها فى صيغة واضحة • وتتلخص نظرية التطور العضوى فى أن جميع الكائنات الحية نتجت عن عدد صغير من الاشكال الاولية البسيطة للمادة الحية + أى أن الان الاشكال العليا للكائنات قد اسمدت أصولها من الاشكال السفلى وذلك عن طريق التناسل وبفعل الظواهر الطبيعية وتوصل الى قوانين « التنوع المشع » و « التكفيف » و « البقاء للاصلاح » •

تأثر سبنسر بهذه المفاهيم ونظر الى التطور كمبدأ عام تخضع له جميع ظواهر الكون سواء كانت ظواهر عضوية Organic أوظواهر اجتماعية وعقليةخارجةعنالتركيب العضوى Super-Organic فان الانسان يضع النظم الاجتماعية والآداب والفنون والالات وهذه الامور خارجة عن تركيبه العضوى أى جسمه وهكذا اطلق عليها اصلاح « ما فوق العضوى » .

يرى سبنسر ان مبدأ التطور هو القانون العام الذى يخضع له جميع الظواهر سواء كانت عضوية أو اجتماعية . واكنه يجعل التطور الاجتماعى تابعا وناشئا عن التطور العضوى فيقول ان التطور فوق العضوى قد نشأ تدريجيا عن التطور العضوى .

ثانيا : المبادىء العامة للتطور العضوى والتطور الاجتماعى :

يخضع التطور والاجتماعى لمبادىء عامة واحدة ويستنتج من ذلك انها منهاجا لعملية واحدة . هذه المبادىء هى :

١ — يتوقف التطور على حدوث تغيرات جوهرية فى الكائن الحى فى حالة التطور العضوى يحدث تغير جوهرى فى المادة الحية أما التطور ما فوق العضوى بانه يحدث عن طريق تغير أشكال التجمع والوظائف الاجتماعية .

٢ — يتجه التطور دائما الى تحقيق غاية نهائية وهى كمال التنظيم سواء فيما يتعلق بالبناء أو الوظيفة . فى حالة التطور العضوى يتجه التطور نحو مكال بناء الجسم الحى واعضائه ومركباته وكذلك نحو كمال الوظائف التى تؤديها تلك الاعضاء . يطبق المبدأ ذاته على التطور الاجتماعى فانه يتجه نحو كمال عناصر ومركبات المجتمع الانسانى وكذلك كمال الوظائف التى تؤديها تلك العناصر .

٣ — الانتقال من حالة المتجانس الى حالة اللامتجانس من أهم المبادىء التى يسير عليها التطور ففى حالة التطور العضوى نجد ان

الحيــوانــات الدنيئة تكون متجـانســة Homogeneous أى تشابه فى الأعضاء والوظائف وعندما ينفصل جزء من جســم هذه الحيــوانات انفصالا تلقائيا أو بسبب حادث مادون ان يؤثر ذلك فى حياة الكائن الحى وهذا واضح فى اجسام الدود وعندما نقطع ذنب بعض الزواحف فانهـا تواصل حياتها لا تلبث ان تستكمل هذا النقص • اما الحيوانات العليـا (الثديية والفقرية) فتكون دائما غير متجانســـة الاعضـــاء وكذلك غير متجانسة فى الوظائف التى تؤديها تلك الاجزاء أى انها غيرمتجانســـة Heterogeneous وهذا واضح فى اجسام الكلب والقطة والقرد والانسان فنجد اعضاء غير متشابهة ويؤدى كل عضو وظيفة خاصة ولكنها متكاملة مع الوظائف الاخرى يتأثر الجسم كله اذا بتر منه احد الاعضاء الهامة •

يطبق سبنسر هذا المبدأ التطورى على المجتمعت الانسانية أى فى حالة التطور ما فوق العضوى ويقارن بين المجتمع البدائى الذى يتشابه فيه كل الافراد من حيث الخبرة المهارات ، اما المجتمعات المتمدينة فنجدها مختلفة الجماعات التخصصات المهارات أى سودها حالة اللامتجانس •

ثالثا : شرح عمليات التطور الاجتماعى :

يعتمد سبنسر على المعلــومات المتــاحة فى عصره (القرن ١٩) عن المجتمعات البدائية فيرى ان كل مجتمـــع بدائى يتكـــون عن مجمـــوعة متجانسة من الأفراد ويقوم المجتمع بوظائف متشابهة ومن جمع الثمــار والصيد البرى البحرى وبناء الكوخ وصنع الاسلحة الحجرية البســيطة ويبدأ التطور فى ذلك المجتمع المتجانس عندما يظهر الحاكم الذى يتولى السلطة وبطبيعة الجميع ويتفرغ الحاكم لوظيفته التى تجمع فى الغــالب بين السلطة الدينية والسلطة السياسية وبالتدريج تظهر طبقة رجــــال الدين وتظهر فئة المحاربين وفئة السحرة وفئة الاغنياء وفئــة الحــرفين وفئة القضاة وهكذا يتحول المجتمع فى تطوره من حالة التجانس فى تركيبه ووظائفه الى حالة اللا متجانس • وهكذا يسير التطور فى اتجاه واحد من المتجانس الى اللامتجانس عن طريق عملية التنوع المتصل Deversification

أى انها انتاج اشكال متنوعة جديدة من الحياة الاجتماعية وكذلك الحياة العضوية) عن طريق النمو أو التطور الطبيعى .

رابعا : علم الاجتماع فرع من علم الحياة :

ينظر سبنسر الى الانسان كانه خليه والى المجتمع الانسانى على انه كائن أو جسم كائن حى ويرى ضرورة دراسة علم الحياة(البيولوجيا) لمعرفة القوانين العامة للكائن الحى يقوم عالم الاجتماع بتطبيق تلك القوانين البيولوجية على الظواهر الاجتماعية ولذلك فهى تجعل علم الاجتماع تابعا لعلم الحياة وذلك لسببين :

١ — التشابه التام بين تركيب المجتمع وتركيب جسم الكائن الحى.

٢ — خضوع المجتمع وكذلك الكائن الحى لقوانين واحدة .

عرفت تلك الاتجاهات بالمدرسة البيولوجية فى تفسير الظواهر الاجتماعية وهى مدرسة قديمة بدأت مع أفلاطون عندما قسم مدينته الفاضلة الى ثلاث طبقات على اساس تقسيم اجهزة جسم الانسان . ونجد اثراها فى تفكير ابن خلدون وعندما شبه تطور ونمو المجتمع بتطور ونمو ثم موت الكائن الحى . وكان سبنسر هو اوضح المعبرون عن المدرسة .

خامسا : تطور المجتمع الانسانى من الحالة الحربية الى الصناعية :

ينظم سبنسر معلوماته ونظرياته فى تفسير تطور المجتمعات الانسانية فى اطار اجتماعى واضح المعالم وهو أن جميع المجتمعات الانسانية فى تطورها الذى يخضع لقوانين التطور سابقة الذكر لابد لها أن تتطور من الحالة الحربية لى الحالة الصناعية .

المرحلة الحربية :

وهى تمثل المجتمعات البدائية والمتخلفة وهذه يسودها النزعة الحربية أى فرض الاوامر والديكتاتورية وخاصة فى مظاهر السلوك

والتنظيم الاجتماعي وعن طريق الحرب والغـزوات تندمج المجتمعـات الصغيرة فى تكتلات اجتماعية كبيرة فظهرت الدول والامبراطـوريات وساعد ذلك على تحقيق التكامل بين عدد كبير من المجتمعات الداخلية فى تنظيم سياسى كبير وعندما توفرت القوة ساد السـلام النسـبى بين المجتمعات مما ساعد على اتجاه المجتمع الى التصـنيع وهنا ينتقل المجتمع الى المرحلة الثانية •

المرحلة الصناعية :

تتميز بالسلم والصناعة والاخلاق الحسنة والتعاون والاخاء وزيادة المعارف الانسانية واهام خصائصها الحرية والتعاون الاختيارى ومرونة التنظيم الاجتماعى • ويرى سبنسر ان من أهم شروط انتقال المجتمع من حالة الحرب الى حالة الصناعة والرخاء هو تحقيـق التوازن بين قـوى المجتمع فى الداخل وتحقيق التوازن بين المجتمع والبيئة الطبيعة وكذلك تحقيق التوازن بين المجتمع وغيره من المجتمعات تختفى المرحلة الصناعية وينتقل المجتمع للوراء •

يعرف اتجاه سبنسر بالاتجاه البيولوجى التطور فى دراسة الحياة الاجتماعية • وقد رفض الاتجاه بقوة على يد المدرسة الفرنسـية لعـلم الاجتماع واثبتت تلك المدرسة الاختلاف الكبير بين المجتمع وجسم الكائن الحى وكذلك اثبتت ان القوانين الاجتماعية ليست صورة مطابقة للقوانين البيولوجية ولذلك أنهار هذا الاتجاه فى وقتنا الحاضر ولكن لا يمكن اغفال اثارة القوية على كثير من مفكرى علم الاجتماع •

٢ — مدارس الاجتمـاع التطبيقـى : —

اهتم عدد من علماء الاجتماع فى انجلترا بالاتجاه التطبيقى الذى يتمثل فى الابحاث الاجتماعية والمسرح الاجتماعية وتطبيـق النظـريات الاجتماعية فى الواقع الاجتماعى • يمكن تقسيم هذا الاتجاه العام الى عدة مدارس وتتميز كل مدرسة باتجاهات خاصة وأهم هذه المدارس هى مدرسة جامعة انبرة وقد اسسها عالمان همـا جيـدز وتلميذه برانفورد ومدرسة المسوح الاجتماعية والمدارس الغابية الاشتراكية الاصلاحية •

اولا : مدرسة جامعة ادنبره :

اسمى هذه المدرسة الخاصة بالبحـوث الاجتمـاعية والمســوح الاجتماعية والجانب التطبيقى لعلم الاجتماع عالمان هما جيدز وتلميــذه برانفورد وفيما يلى أهم اعمالهما :

(أ) العلامة جيدز (١٨٥٤ — ١٩٣٢) Patrick Gedds

اهم مؤلفاته فى علم الاجتماع التطبيقى :

١ — تصنيف الاحصائيات

The Classification of Statistics

٢ — مسح مدنى لمدينة أدنبره .

Civic Survery of Edinbargh

٣ — تنمية المدينة .

City Development

٤ — المدن فى التطور .

Cities in Evolution

٥ — أسس علم الاجتماع وعلاقته بالاقتصاد .

Essentials of Socigoloy in relation to Economic

بدأ حياته العلمية بالخصص فى العلوم الطبيعية الكيمياء والبيولوجيا والطبيعة وحاضر وعمل استاذا بكليـات الطب والعلوم — تعـرف على سبنسر وداروين وفى فرنسا على دوركايم ولبلاى . تحول بعد ذلك الى علم الاجتماع التطبيقى وانشأ مركزا البحوث الاجتمـــاعية فى جامعة أدنبره والحق به متحفا اقليميا أطلق عليه اسم برج النظرة العامة لادنبرة Out look Tower of Edinburgh وتركز أبحاثه الاجتماعية على مدينة أدنبرة بينما تركزت ابحاث تلميــذه على منطقــة لندن . تتلخص اتجاهاته فيما ياتى :

١ — آمن باهمية البحث الاجتماعى والمسح الاجتماعى واعطاها قيمة أكبر من النظريات الاجتماعية •

٢ — نادى بضرورة البحث الاجتماعى للواقع قبل البدء فى التخطيط أو الاصلاح ورفع الشعار التالى :

« المسح الاجتماعى قبل العمل » • Survey before Action

٣ — يرى ان المجتمع والحياة الاجتماعية عامة تتأثر بعدة عوامل هى البيئة التركيب العضوى وتقسيم العمل والتراث الاجتماعى • يجب اهتمام عالم الاجتماع بعلوم الجغرافيا والاقتصاد والانثروبولوجيا وذلك لتأثير العوامل السابقة فى الحياة الاجتماعية •

٤ — عارض تركيز الاهتمام بتأثير العوامل البيولوجية فى الحياة الاجتماعية واعطى قيمة للعوامل الاجتماعية والثقافية •

٥ — تخصص فى دراسة المدن (علم الاجتماع الحضرى) ويشجع اتجاه لا مركزية المدن أى اعطاء سلطة لمجالس المدن وضرورة قيام كل مدينة بتنظيم شئونها الخاصة وفق ظروفها الاقليمية •

(ب) برانفورد Victor Branford

بدأ مثل استاذه بالاهتمام بالعلوم الطبيعية ثم سافر الى أمريكا وعمل كمحاسب وعاد الى انجلترا حيث اهتم بتعاليم جيدز • قام بانشاء « جمعية علم الاجتماع » The Sociologcal Society تحولت بعد ذلك « الى معهد علم الاجتماع »Institute of Sociology وأشرف عليه عدد كبير من المهتمين بالدراسات الاجتماعية وقاموا بالكثير من المسوح الاجتماعية وتتركز فى اتجاهاته حول مبدأين •

١ — يرى ان علم الاجتماع هو علم مستقل يقوم على الملاحظة والتجربة والمسح الاجتماعى •

٢ — يرى ان المسح الاجتماعى ليس مجرد دراسة سطحية لمنطقة ما وانما هى دراسة دقيقة لاحتياجات المنطقة ودراسة عميقة للاصول

الاجتماعية والتاريخية من عادات وتقاليد وقيم وأفكار . وهذه المسوح هى القاعدة التى يجب أن تقوم عليها مشروعات الاصلاح والتخطيط الاجتماعى .

ثانيا : مدرسة المسوح الاجتماعية :

تسير وفق مبادىء المدرسة السابقة ولكنها لا تنتمى اليها . تهتم بالطبقات الفقيرة ، ودراسة ميزانية الاسرة الفقيرة والعمل على تحسين ظروفها . وتنادى بضرورة اجراء البحوث والمسوح الاجتماعية والاعتماد على الاحصائيات الدقيقة المقارنة وتهتم بسن التشريعات ، الاجتماعية والاقتصادية التى تهدف الى رفع المستوى الاجتماعى للطبقات الفقيرة . اهم علماء هذه المدرسة .

١ — شارل بوث Charles Booth قام بمسحين شهيرين

(أ) الحياة والعمل بين سكان لندن .

Life and Labour of the People in London

(ب) مسح جديد عن الحياة والعمل فى لندن .

New Survey of London Life and Labour

٢ — سواندارز Carr Saunders قام بمسح ضخم فى ثلاثة اجزاء عن ميرسنيسيد .

The Social Survey of Merseyside

٣ — جون Caradog Jones اهتم بدراسة مدينة ليفربول واهم مؤلفاته .

(أ) مسح اجتماعى عن ليفربول .

Social Survey of Leverpool

(ب) تطور المسح الاجتماعى فى انجلترا منذ عهد بوث .

Evolution of the Social Survey in England Since Booth.

ثالثا : المدرسة الفابية Fabian Society

مدرسة اقتصادية اجتماعية اصلاحية تميل الى الاشـــتراكية وتهتم بالطبقات الفقيرة بأسلوب خاص مختلف عن اسـلوب الماركسـية ،اهم رجالها جورج برنارد شـو وسدنى وب والسـيدة آن برانت • نجـد اتجاها آخر فى الاصلاح الاجتماعى فى المدرسـتين السـابقتين نجد ان المسح الاجتماعى هو وسيلة الاصلاح الاجتمـاعى اما هنـا فان تطبيق المبادىء الاشتراكية بصورة معينة هو اساس الاصلاح الاجتماعى وهكذا نجد ان هذه المدرسة تطبق علم الاجتماع التطبيقى بطـابع معين وهـو الاقتصاد الاشتراكى وفيما يلى اهم مبادىء هذه المدرسة :

١ ــ شرح وب مبادىء المدرسة الفابية فى بحث عنوانه « دسـتور الهيئة الاشتراكية فى بريطانيا العظمى » • ترى هذه المدرسة ان تطـور المجتمعات يسير فى خط مستقيم نحو الاشتراكية والديمقراطية معا وليس الاشتراكية فقط •

٢ ــ عارضوا مبدأ الصراع بين الطبقات والثورة والانقـلابات الدموية ويرون ضرورة العمل على بث فضيلة التعاون بين الطبقات فطريق التقدم هو تعاون الطبقات وليس صراع الطبقات •

٣ ــ يجب أن تكون الحكومة هى المـالكة لكل وسائل الانتاج الممثلة للمجتمع ويعارضون ــ سيطرة طبقة البروليتارية على مقاليد الحكـم وموارد الدولة •

٤ ــ تقوم الحكومة بتحقيق الديمقراطية والاشتراكية وذلك عن طريق اصدار القوانين الاشتراكية •

٥ ــ اهتمت هذه المدرسة بالاصـلاح الاجتماعى فى بريطانيـا ومشروعات الخدمات الاجتماعية •

٦ ــ تعارض ماركس فى موضوع القوميات فبينما ينادى ماركس بالغاء القوميات وتحقيق الشيوعية الدولية نجد المدرسة الفابية توافق على

بقاء القوميات وتعطى أهمية للعوامل الروحية والأخلاقيه فى عملية تحقيق الاشتراكية •

٣ ـ مدرسة الانثروبولوجيا الاجتماعية : ـ

الأنثروبولوجيا الاجتماعية فرع من الأنثروبولوجيا (علم الانسان) ويختص ذلك الفرع بدراسة البناء الاجتماعى للمجتمعات البدائية بصورة خاصة وتبدأ الدراسة بالتركيز على نظام اجتماعى معين فى قبيلة بدائية معينة وقد يكون هذا النظام الدين أو نظام الحكم أو الفن أو العائلة أو نظام الزواج ثم يقوم العالم بتحديد علاقة ذلك النظام بالبناء الاجتماعى ككل • لم يكن هناك حدود واضحة تفصل الانثروبولوجيا الاجتماعية عن علم الاجتماع وخاصة فى نهاية القرن ١٩ وأوائل القرن العشرين وذلك للأسباب التالية :

أ ـ اهتمام رواد علم الاجتماع بدراسة أصل النظم الاجتماعية مما جعلهم يدرسون القبائل البدائيـة •

ب ـ وجود موضوع مشترك بين الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية هو دراسة البناء الاجتماعى •

ترتب على هذا التقارب اعتبار الانثروبولوجيا الاجتماعية هى علم اجتماع المجتمعات البدائية أى النظر اليها كفرع علم الاجتماع أوكمدرسة تابعة لعلم الاجتماع • واليوم استقلت الانثروبولوجيا الاجتماعية عن علم الاجتماع والحقت بعلم الانسان أى الانثروبولوجيا ولكن التعاون بينهما لا يزال وثيقا للغاية ونجد أن الكثير من الجامعات الأوربية تجمع بين علم الاجتماع والانثروبولوجيا فى قسم واحـد •

ظهرت الانثروبولوجيا الاجتماعية فى أول الأمر كمدرسة تابعة لعلم الاجتماع فى القرن التاسع عشر فى انجلترا ويرجع ظهورها فى انجلترا بالذات الى عوامل عدة أهمها :

١ ـ كثرة المستعمرات البريطانية فى أفريقيا وآسيا والامريكتين

واستراليا شجعت الحكومة العلماء عن طريق المنح المالية على دراسة المستعمرات البدائية بغرض التعرف على لغاتها ونظمها وثقافاتها .

٢ — اهتمام الفكر الاجتماعي الانجليزي بمذهب سبنسر الخاص بالتطور مما دفع المفكرين الى البحث عن الأشكال الأولى للنظم الاجتماعية البدائية بغرض مقارنتها بالنظم المعاصرة وتتبع صورها عبر العصور .

٣ — يعرف عن البريطانيين المغامرة وحب الأسفار وتقوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية على أساس دراسة المجتمعات البدائية دراسة ميدانية ويتطلب ذلك أن يسافر العالم ويعيش في المجتمع البدائي الذي يدرسه فترة من الزمن قد تصل الى عدة سنوات ونشير هنا الى العالمين الانجليزين بولدوين سبنسر وجلن اللذين عاشا باستراليا لمدة ١٢ سنة وذلك لدراسة الحياة الاجتماعية للقبائل البدائية لمدة ١٢ سنة يتفق هذا الاسلوب في الدراسة مع حب البريطانيين للمغامرة والترحال .

وفيما يلي فكرة عن علماء هذه المدرسة :

العلامة فريزر : James Frazer

اهتم فريزر بدراسة ظاهرة التوتمية وهي ديانة منتشرة في المجتمعات البدائية بصفة خاصة وملخصها أن أفراد القبيلة البدائية يعتقدون انهم يتدرجون من أصل واحد ، وهو التوتم وتوجد صور مختلفة من التوتم فقد يكون حيوانا أو نباتا أو ظاهرة طبيعية وينزلون هذا التوتم منزلة التقديس لاعتقادهم انه سبب وجودهم ومصدر الخيرات ومن أهم مؤلفاته «الغصن الذهبي» The golden Bough وفيه يبين الصلة الوثيقة بين الأديان الشرقية واليونانية وبين الديانة التوتمية . وقد شرح في هذا الكتاب الضخم (ستة أجزاء) نظريته في تطور المجتمعات من حالة السحر الى حالة الدين وأخيرا الى حالة العلم .

حلل الأديان القديمة تحليلا عميقا وكذلك حلل المعلومات التي وصلت اليه عن المجتمعات البدائية .

اهتم كذلك بدراسة عقيدة خلود الأرواح وديانة عبادة الموتى وهى من الأديـــان المنتشرة فى المجتمعات البدائية ودرس هذه الظواهر وحللهـــا فى كتاب آخر بعنوان «عقيدة خلود الأرواح وعبادة الموتى» .

٢ ـ رادكليف براون: Radcliffe - Brown

من أهم علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية قام بدراسة شهيرة لسكان جزر « اندمـــان » وهى مجمـوعة جـــزر فى خليـــج البنجـــال تتبـــع الهند . واستغرقت تلك الدراسة عامين من ١٩٠٦ الى ١٩٠٨ وانتهى منها بنشر كتاب هام وهو : سكان جزر اندمان دراسة فى الانثروبولوجيـــا الاجتماعية .

The Andaman Islanders - study in Social Anthropology

وترجع أهمية تلك الدراسة الى انها أول محاولة للتحقق من صحة النظريات الاجتماعية المنتشرة عن طريق الرجوع الى المجتمعات البدائية .

يؤيد رادكليف النظرية الوظيفية التى تهتم بدراسة الوظائف الاجتماعية التى تقوم بها النظم الاجتماعية ويرى براون أن فكرة الوظيفة التى تطبق فى النظم الاجتماعية مأخوذة من الوظيفة التى تقوم بها الأجهزة والأعضاء البيولوجية فى النشاط الكلى لجسم الكائن الحى . وهكذا تكون وظيفة أى نظام اجتماعى هو الدور الذى يؤديه ذلك النظام فى البناء الاجتماعى الكلى ويرى وجود تكامل وتداخل فى الوظائف الاجتماعية للنظم الاجتماعية ويترتب على ذلك التكامل ضرورة دراسة النظام الاجتماعى الواحد وعدم فصله من البناء الاجتماعى كله الذى ينتمى اليه ولذلك يعارضون انتزاع النظام الاجتماعى الواحد وفصله من البناء الاجتماعى الذى ينتمى اليه كذلك يعارضون عقد مقارنات بين النظم الاجتماعية دون الاهتمام بالبناء الاجتماعى وقد حدد رادكليف خصائص البناء الاجتماعى موضوع الانثروبولوجيـــا الاجتماعية فى بحث هام بعنوان «عن البناء الاجتماعى» .

On Social Structure

٤ — العالم هوبهوس (١٨٦٤ — ١٩٢٩) ومدرسته : Hobhouse

خلف هذا العالم المكانة المرتفعة التى كان يحتلها الفيلسوف هربرت سبنسر فى الفكر الفلسفى والاجتماعى بانجلترا وقد شغل كرسى استاذ علم اجتماع بجامعة لندن من ١٩٠٧ — ١٩٢٩ .

أهـم مؤلفـاتـه :

١ — النمو الاجتماعى : طبيعته وشروطه .

Social Development ; Its mature and conditions

٢ — التطور الاجتماعى والنظرية السياسية :

Secial Evoltion and Political Theory

٣ — النمـو والهـدف :

Development and Furpose

أهـم نظـريـاته :

١ — تأثر بقوة بالعلامة هربرت سبنسر وكذلك بالعلامة دارون ولذلك يؤمن بنظرية التطور ويرى ان المجتمع هو وحدة عضوية ولذلك يخضع للقانون العام للحياة وهو قانون التطور . ويفرق بين تطور المجتمعات البدائيـة وتطور المجتمعات المتمدينة يتم تطور المجتمعات البدائية بصورة آلية أو تلقائية أما المجتمعات المتمدينة فانها تتطور عن قصد وذلك باستخدام العقل وشعور الانسان بذاته . خضع تطور المجتمعات البدائية لقوانين تطور الجماعات غير الانسانية وهو تأثير البيئة وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعى والبقاء للاصلح «هنا يتأثر بقوة بدارون» أما تطور المجتمعات المتمدينـة فتخضع للعقل وتقدمه وقدراته .

٢ — يرى هوبهوس أن العصر الحديث يتميز بقوة الانسان وبارتقاء استخدام قدراته العقلية بحيث أصبحت العوامل الطبيعية فى حالة خضوع للعقل وبينما كان العقل خاضعا للقوى الطبيعية فى الماضى .

٣ — يهدف تطور المجتمعات المتمدينة أولا الى تحقيق الانسـجام الاجتماعى Social Harmony وبالتالى يستطيع الانسان التوصل الى الغاية النهائية من الارتقاء والتقدم وهى تحقيق «الخير العقلى» Rational Good ويتمثل ذلك فى تحقيق العدالة والديمقراطية والخير بين جميع أفراد المجتمع .

٤ — يرى هوبهوس أن التقدم الاجتماعى هو الموضوع الأساسى لعلم الاجتماع ويفرق بينه وبين التطور الاجتماعى وذلك على أساس أن التطور الاجتماعى قد يتجه الى الامام أو الى الخلف أما التقدم فدائما يتجه الى الامام لأنه خاضع للعقل الانسانى الذى يبقى التقدم دائما .

٥ — اهتم هوبهوس بدراسة النظام السياسى ولذلك يعد من أهـم الباحثين فى علم الاجتماع السياسى . وحلل تطور النظم السياسية فى المجتمعات الأوربية ولاحظ خضوع تلك التطورات لعدة عوامل أهمها عامل القرابة ويتضح أثر ذلك العامل فى المجتمعات المتخلفة والنامية ويوجد عامل القوة والسلطة ويختلف مكان تركز القوة والسلطة من مجتمع لآخر فقد يكون فى عاملة معينة أو فى رجال الدين أو فى رجال الحرب أو فى الفلاسفة أو ما الى ذلك أما العامل الثالث فهو الرعوية أو المواطنية ويقصد بذلك العامل الحقوق والواجبات التى تترتب على اعتبار فرد مواطن فى دولة معينة تختلف تلك الحقوق والواجبات من دولة لأخرى .

٦ — تابع بعض العلماء اتجاه العلامة هوبهوس وأهم هؤلاء العلامة جنزبرج Ginsberg الذى خلف استاذه فى وظيفة استاذ علم الاجتماع بجامعة لندن وقد اشترك جنزبرج مع استاذه وزميل آخر فى كتاب مشهور بعنوان «الشعوب الأكثر بساطة» .

The Simpler peoples

وأهـم كتبـه الأخرى هـى :

1) The Psychology of Society 1921

2) On the Place of Sociology 1935

3) Studies in Sociology 1932

وله ابحاث هامة «العلاقات المتبادلة بين الطبقـــات» و «التطــور الاجتماعى» وغيرها ٠

اهتم بتطبيق المنهج المقارن فى دراسات علم الاجتماع وعن طريــق المقارنة يستطيع تتبع تطــور النظم الاجتماعية ووظائفها عبر الزمـــان ٠ ويجب على علم الاجتماع الاستعانة بالتحديد الكمى وتحديد العلاقة بين النظم الاجتماعية ويرى ضرورة الوصول الى القوانين الاجتماعية ٠

الفصـــل العـاشـر

المدرســة الألمـانيــة

المدرسة الصورية أو مدرسة العلاقات :

١ ــ **العلامة سيمل (١٨٥٨ ــ ١٩١٨)** Gorges Simmel

أهم علماء الاجتماع فى المانيا ، ويعد المؤسس الفعلى لعلم الاجتماع فى المانيا ولكنه جمع بين دراسة علم الاجتماع ودراســــة الفلســـفة والتاريخ والآداب والاقتصاد والفنون الجميلة ، وهكذا يعــد ســيمل متفقها فى كثير من فروع المعرفة • أهم ابحاثه فى علم الاجتماع هى :

(أ) بحوث فى أشكال الاجتماع •

(ب) الموضوعات الرئيسية فى علم الاجتماع •

تتلخص نظرياته فى علم الاجتماع فيما يأتى :

١ ــ يعارض تعريف علم الاجتمــاع بانه العلم الذى يدرس كــل الظواهر الاجتماعية أو الظواهر الانسانية ويقوم اعتراضه على أساس استحالة وجود علم متكامل يدرس جميع هذه الموضوعات الواســعة، اذ العلم من طبيعته التخصص فى موضوع واضح المعالم محدود النطاق •

٢ ــ وضع سيمل تعريفا جــديدا لعلم الاجتمــاع لكى يكون اكثر تحديدا ووضـــوحا يعرف علم الاجتمــاع بانه علم دراســة العــلاقات الاجتماعية ، ولايقصد بالعلاقات الاجتماعية العلاقات الواقعية التى تنشأ بين افراد المجتمع وانما يقصد بالعلاقات الاجتماعية الاشكال الصــورية المجردة أو الاطار الشكلى التى تحدد جوهر العلاقات الاجتماعية الواقعية ويتخلص موضـوع علم الاجتماع فى دراسة العلاقات الاجتماعية الواقعية بغرض تجريدها من المضمون الواقعى أو التجسيد الواقعى لها •

وهكذا يهدف علم الاجتماع الى التوصل الى الصور المجردة للعلاقات الاجتماعية بعيدا عن واقعها فمثلا عندما تدرس ظاهرة المنافسة لاتهتم بدراسة المنافسة فى الدراسة أو المنافسة فى ميدان السياسة أو التجارة وانما المهم هو تحديد جوهر وطبيعة ظاهرة المنافسة بحيث يصلح هذا التعريف الصورى للتطبيق على جميع الصور الواقعية للمنافسة فمثلا نقول المنافسة ، هى تسابق طرفين أو اكثر للحصول على شىء مرغوب فيه .

٣ — يتضح مما سبق ان العلامة سيمل يفرق بين الشكل الصورى Form للظاهرة الاجتماعية والمضمون أو التجسيد الواقعى

٤ — تعرضت تلك النظرية لكثير من النقد واهمها ان تجريد العلاقات الاجتماعية من الواقع الاجتماعى وردها لعناصرها الاولية يخرجها عن طبيعتها وبعدها عن الواقع الاجتماعى وبالتالى تفقد معناها ولا يمكن معرفة وظائفها أو تطور أشكالها أو تأثيرها فى العلاقات الاجتماعية الأخرى .

العلامة ماكس فيبر (١٨٦٤ — ١٩٢٠) Max weber

عاصر العلامة سيمل وتأثر به ولكنه أضاف الكثير الى علم الاجتماع عن طريق الابحاث القيمة التى وضعها وخاصة :

(أ) علم الاجتماع والسياسة الاجتماعية .

(ب) مقالات فى الاجتماع الدينى .

(جـ) التاريخ الاجتماعى والتاريخ الاقتصادى .

(د) البروتستنتينية وروح الرأسمالية .

اهم نظرياته :

١ — يتفق مع سيمل فى أن هدف علم الاجتماع هو التوصل الى الاشكال الصورية للعلاقات والنظم الاجتماعية ولكنه يعطى أهمية أكبر

للدراسات الاجتماعية والتاريخية واستخدام أسلوب المقارنة للتوصل الى الحقائق العامة والى الاشكال والنماذج الصورية •

٢ — درس عددا كبيرا من المجتمعات الانسانية وقسمها الى شكلين اساسين :

(أ) المجتمع المحلى وهو المجتمع صغير الحجم القائم على المعرفة الشخصية ويقوى فيه الشعور الجماعى وتسوده العلاقات الانسانية ذات الصبغة العاطفية واللاشعورية يسمى تلك العلاقات الانشائية بالاتجاه الجماعى •

(ب) المجتمع العام — وهو المجتمع الكبير المعقد الذى تسوده العلاقات الانسانية التى تهدف الى غايات عاقلة ويسمى تلك العلاقات الانسانية بالاتجاه الاجتماعى •

٣ — درس مظاهر السلوك الانسانى وما يحتويه من علاقات اجتماعية وقد ارجعها جميعا الى اربعة اشكال رئيسية هى :السلوك الغائى (العاقل) — السلوك اللاشعورى — السلوك العاطفى — السلوك التقليدى •

يفرق بين العلاقات الاجتماعية والعلاقات الانسانية وهكذا فليس من اللازم ان تكون كل علاقة انسانية هى فى نفس الوقت علاقة اجتماعية ويرى ان العلاقة الاجتماعية هى سلوك هادف ينشأ كاستجابة لسلوك آخر •

٤ — يرى أن هدف علم الاجتماع هو دراسة العلاقات الانسانية وتحديد ما يمكن اعتباره علاقات اجتماعية ثم يقوم بتحليل تلك العلاقات الى الشكل والمضمون ثم يجرد الاشكال العامة للعلاقات الاجتماعية •
وهو فى ذلك يتفق مع استاذه العلامة سيمل ولكنه يضيف بان عالم الاجتماع لابد ان يرجع للدراسات الاجتماعية التطبيقية من وقت لاخر وهكذا لا يكون عمل عالم الاجتماع تجريد الاشكال الصورية للعلاقات

الاجتماعية وانما عليه أيضا أن يرجع للواقع الاجتماعى ويدرسه باستمرار ويستمر الاتصال بين الدراسة التجريدية والدراسة الواقعية .

٥ — اهتم ماكس فيبر بدراسة العلاقات العلمية بين الظواهر الاجتماعية وقد تعرض لقضية هامة كانت تسيطر على التفكير الاجتماعى فى عصره وهى قضية النظام الاقتصادى . جاء ماركس وأكد الحتمية الاقتصادية بمعنى ان النظام الاقتصادى يؤثر فى جميع النظم الاجتماعية الاخرى دون ان يتأثر بها يعطى فيبر أهمية للنظام الاقتصادى ولكنه لايوافق على الحتمية الاقتصادية درس نشأة النظام الرأسمالى فى أوروبا واكتشف أن المذهب البروتستنتى قد لعب دورا أساسيا فى ظهور النظام الرأسمالى وذلك لان المذهب البروتستنتى قام ونادى بقيم اجتماعية جديدة تختلف عن ذات القيم التى قام عليها النظام الرأسمالى وأهم هذه القيم :

(أ) العمل عبادة .

(ب) العمل الشاق والنجاح وسيلة للتقرب لله .

(ج) كل فرد مسئول عن عمله امام الله لاتوجد واسطة (الكنيسة الكاثوليكية) بين الفرد والله وهكذا يجب أن يعتمد كل فرد على نفسه — الاتجاه الفردى .

(د) التقشف وعدم الاسراف وجمع اثروة دليل النجاح .

(ه) تعمير الارض وسيلة للتقرب لله .

توصل فيبر الى حقيقة هامة وهى أن الدين وليس النظام الاقتصادى هو أكثر النظم الاجتماعية تأثيرا فى الحياة الاجتماعية .

٢ — العلامة توينيس (١٨٥٥ — ١٩٣٦) Ferdinand Toennis

يعد توينيس من أشهر علماء الاجتماع الالمان وقد ساعد على وصول علم الاجتماع فى المانيا الى مرحلة النضج والتقدم . عمل استاذا بجامعة كيل الى أن فصله النازيون بالرغم من تأييده للفلسفة النازية .

أهم مؤلفاته :

(أ) المجتمع العام والمجتمع المحلى .

(ب) المدخل لعلم الاجتماع .

(ج) روح العصر الحديث .

١ — تأثر توينيس بنظرية فيبر فى تقسيم المجتمعات الى شكلين أساسيين المجتمع المحلى والمجتمع العام ولكنه درس هذا بصورة اكثر عمقا ووضوحا . يتمثل المجتمع المحلى Gemeinshaft فى الاسر والعشائر والقبائل والجماعات الصغيرة مثل جماعة الصداقة واللعب .

يمتاز المجتمع المحلى بقوة الرابطة الاجتماعية والتضامن والشعور الجمعى والعاطفى ويرجع ذلك الترابط الاجتماعى القوى الى رابطة الدم أو الجوار أو الصداقة . ويخضع الافراد فى المجتمع بصورة قوية للدين والعادات والعرف والتقاليد والاسرة هى الوحدة الاجتماعية وتسود الملكية الجماعية أولا توجد حدود واضحة بين الملكيات الفردية اما المجتمع العام Gesellschaft فهو مركب صناعى معقد ويتمثل فى المدينة والدولة والمؤسسات الاجتماعية الكثيرة . يقوم المجتمع العام على اساس الارادة والتعاقد والمنفعة الخاصة والحذر ويخضع الافراد للقوانين والتنظيمات الطبقية وتنشر فيه عمليات الصراع والمنافسة ويتضح فيه نظام الملكية الفردية وتظهر فيه الاختراعات — والتجريدات بصورة مستمرة ويسود الاتجاه المادى فى العلاقات الاجتماعية ويضعف تأثير العوامل الروحية والقيم الأخلاقية .

٢ — يقسم العلاقات الاجتماعية الى شكلين اساسيين :

١ — العلاقات الموجبة وهى العلاقات المجمعة التى تؤدى الى تجميع الافراد وتضامنهم وتكاملهم ومن استمرار الجماعة أمثلة ذلك علاقات التعاون والزواج والتعاقد والصداقة وغيرها .

٢ ــ العلاقات السالبة وهى العلاقات المفرقة التى تؤدى الى التفكك والانحلال وربما فناء الجماعة ومن امثلة ذلك علاقات الصراع والحروب والمنافسة الطلاق والفسق والقتل وما الى ذلك . ويعطى أهمية للعوامل النفسية التى تصاحب تلك العلاقات الاجتماعية .

٣ ــ درس توينيس القيم الاجتماعية ويعد من أوائل من بحثوا هذا الموضوع من زاوية علم الاجتماع حدد مصادر القيم الاجتماعية وقسمها الى مصدرين رئيسيين هما :

١ ــ الارادة الجمعية التى توجد فى المجتمع المحلى وهنا تأخذ المعايير والقيم الاجتماعية صور الدين والعادات . والتقاليد .

٢ ــ الارادة الاجتماعية وتلك توجد فى المجتمع العام وتتكون عن طريق التعاقد والتشريع وهنا تخلق الارادة الاجتماعية القيم الاجتماعية فى صورة القوانين واتجاهات الرأى العام . وفيما يتعلق بتصنيف القيم الاجتماعية فانه يقسمها الى ثلاثة اشكال اساسية وهى القيم الدينية والقيم القانونية والقيم الاخلاقية .

٤ ــ اهتم بظاهرة الرأى العام وحدد أهميته كقوة سياسية فى العصر الحديث لها دورها فى اتخاذ القرارات الهامة والرأى العام يقوم على أساس التفكير والعقل وليس الانفعالات الشعبية .

وتعد الصحف من أهم وسائل التعرف على اتجاهات الرأى العام

المدرسة الواقعية :

تختلف هذه المدرسة عن المدرسة الصورية السابقة اذ تهتم بدراسة الواقع الاجتماعى وتنظيم الابحاث الاجتماعية والتركيز على الدراسات التطبيقية . يمثلهم عدد كبير من علماء الاجتماع الالمان ولكن رغم اتفاقهم فى الاطار العام للدراسة الواقعية الا انهم يختلفون فى الاتجاهات التفصيلية . وهنا نعرض لعالمين يمثلان اتجاهين مختلفين .

العلامة فون فيزى Von Weise (١٨٧٦ — ١٩٣٩) .

اهتم باصدار مجلة متخصصة فى الابحاث الاجتماعية التطبيقية واستمرت هذه المجلة فى الظهور حتى سنة ١٩٣٤ عندما اغلقها النازيون وأسس معهدا للعلوم الاجتماعية يقوم بالبحث الاجتماعى . واغلقه النازيون فى عام ١٩٣٥ ، وبالرغم من اهتمامه بالبحث الاجتماعى . الا انه كان متأثرا بالمدرسة الصورية .

أهم مؤلفاته :

ملخص لعلم الاجتماع (جزءان)

علم الاجتماع — تاريخه ومشاكله الرئيسية .

أهم نظرياته :

١ — عرف علم الاجتماع بصورة مختلفة بعض الشىء عن المفهوم العام السائد فهو يرى أن علم الاجتماع علم نظرى يدرس العلاقات الاجتماعية دراسة علمية مستخدما فى ذلك مناهج العلوم الطبيعية ويؤكد ضرورة التحرر من التأملات الميتافيزيقية والاحكام التقويمية . ويعارض النظر الى علم الاجتماع العام على أنه علم تركيبى يجمع الحقائق التى تتوصل اليها العلوم الاجتماعية التخصصية وذلك على أساس ان علم الاجتماع هو علم خاص يدرس الحياة الاجتماعية بصورة عامة بغرض تفسيرها وتحديد نماذجها .

٢ — تأثر بالمدرسة الصورية ونضح ذلك فى تصنيفه العمليات الاجتماعية الى نماذج وصور عامة . قسم العمليات الاجتماعية عن طريق استخدام ثلاثة أسس للتصنيف .

(أ) الاساس الاول : التجميع والتفريق :

عن طريق ذلك الاساس قسم « فيزى » العمليات الاجتماعية الى :

١ — العمليات المجمعة :

وهى التكيف والاندماج •

٢ — العمليات المفرقة :

وهى التنافس والتعارض والصراع وتقوم تلك العلميات بوظيفة اتساع المسافة الاجتماعية بين الافراد والجماعات •

(ب) الاساس الثانى : التباين والتكامل :

وعن طريق ذلك الاساس قسم « فيزى » العمليات الاجتماعية الى :

١ — العمليات التباينية :

التسلط — عدم المساواة — الخضوع — لاذعان — التمييز — الفردية — الانعزال — الهجرة — الطبقية •

٢ — العمليات التكاملية :

التنسيق — التنظيم — التنشئة — الامتثال — •

(جـ) الاساس الثالث : البناء والهدم :

قسم العلامة « فيزى » العمليات الاجتماعية على هذا الاساس الى قسمين :

١ — العمليات البنائية :

عملية التنظيم الاجتماعى — عملية التخصص الفنى وعملية التحرر السياسى :

٢ — العمليات الهادمة :

الاستغلال — المحاباة — الجمود — الاتجاه النفعى والمتاجرة بالقيم والتمرد والانقلاب •

يجب ملاحظة ان هذه التقسيمات متداخلة وكذلك يوجد تداخل بين الاسس التى يستخدمها العلامة « فيزى » فى تصنيفه للعمليات الاجتماعية • ويؤكد « فيزى » ضرورة دراسة الحياة الاجتماعية ويرى .

أن غرض علم الاجتماع هو الوصول عن طريق الدراســـة الواقعيـــة الى تلك النماذج على انها مقولات عامة أو اطارات مجردة .

٣ — درس أشكال التجمع البشرى وارجعها الى ثلاثة نماذج رئيسية هـــى :

١ — الجمهرة : Crowd

وهى تجمع مادى لعدة افراد يمتاز بسرعة التكوين وسرعة التفرق وضعف التنظيم وعدم وجود قيادة واضحة وقد يسدها العنف .

٢ — الجماعة : Group

تجمع بين الناس يمتاز بالاستمرار والنظام ووضوح الهدف والقيادة وتواجد نظم اجتماعية واضحة ويشعر افراد الجماعة الواحدة بشـــعور الانتماء الى الجماعة وينتشر التضامن والتعاون بين اعضـــاء الجمـــاعة ويوجد تشابه بين مشاعرهم وانشطتهم .

٣ — الجماعات المعنوية أو المجردة :

وتتميز بكبر الحجم وقوة التنظيم الاجتماعى وقوة القيم المعنـــوية التى تمثل الأساس الذى تقوم عليه تلك الجماعات وهنا نجد تنوع الافراد الذين ينتمون الى تلك الجماعات المعنوية ويرى العـــلامة « فيزى » ان أوضح مثالين لتلك الجماعات هما : الدولة والكنيسة .

العلامة أو بنهيمر (١٨٦٤ — ١٩٤٣) .

نظـــــــرياته :

اهم مؤلفاته « مذهب علم الاجتماع » .

١ — يهتم بدراسة الواقع ولكنه يهتم أيضا بدراسة تاريخ الظواهر الاجتماعية والتغير الاجتماعى عبر التاريخ ولذلك يقترب علم الاجتمـــاع عنده من فلسفة التاريخ .

٢ — يؤكد على ضرورة استعانة عالم الاجتماع بعلم التـــاريخ فى

دراساته . وقد طبق هذه الاتجاه . فى دراسته لبعض النظم الاجتماعية وأهمها نظام الملكية العقارية فى ألمانيا .

٣ — يرفض التفرقة بين الأشكال والصور الاجتماعية وبين المضمون أو المحتوى الاجتماعى ويرى أن علم الاجتماع يجب عليه عدم الاهتمام بذلك وانما يجب ان يدرس المجتمع فى مجموعة ككل والتغيرات المستمرة التى تلحقه عبر التاريخ .

٤ — درس ظاهرة الدولة وحددها بأنها تنظيم الوسيلة السياسية للمنتصر وبها يفرض سيادته على المغلوب . ويرى أن نظام الملكيات الضخمة يساعد على استمرار نظام سيطرة القوى على الضعيف . هنا نلاحظ تأثره بداروين وقانون البقاء للاصلح .

وهكذا .. نلاحظ أن أوبنهيمر يمثل الاتجاه الواقعى ولكن من خلال المنهج التاريخى .

الفصل الحادى عشر

المدرســة الأمريــكيــة

اهتم علمــاء الاجتماع الأمريكيون بالجانب التطبيقى وبالابحــاث الاجتماعية وكان هذا الاهتمام «نتيجة» ضرورية لطبيعة المجتمع الأمريكى الذى تكون من مهاجرين ينتمون الى مجتمعات مختلفة وثقافات متباينة فكان لابد من ظهور المشكلات الاجتماعية بصورة قوية مما دفعهــم الى توجيه علم الاجتماع وجهة عملية تطبيقية . واختار الرعيل الأول من علماء الاجتماع من نظريات علماء الاجتماع فى أوربا مما يتفق وظروفهم وما يساعدهم على حل مشاكلهم . وعندما استقرت الأمور فى أمريكا بعد الحرب الأهلية انشئت الجامعات وكان علم الاجتماع من العلوم الانسانية التى شعروا بحاجتهم له ولذلك ادرجوه فى المواد التى تدرس بكليات العلوم الاجتماعية وأخذ ينمو تدريجيا حتى أصبحت لا تخلوا جامعة أمريكية من قسم مستقل لعلم الاجتماع وتلعب الامكانيات الضخمة دورها فى تشجيع العلماء على القيام بالابحاث الاجتماعية ونشر تلك الابحاث وتنظيــم مؤتمرات علم الاجتماع واليوم يوجد عدة مجلات علمية متخصصة فى نشر الابحاث الاجتماعية أهمهــا :

المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع

The American Journal of Sociology

مجلة علم الاجتماع الأمريكية

The American Sociological Review

علم الاجتماع والبحث الاجتماعى

Sociologya nd Social Research

القــــوى الاجتماعيــــة

The social Forces

ويتميز علم الاجتماع بأمريكا بظهور ونمو فروع جديدة ومن أمثلة ذلك «القياس الاجتماعى» Social Measeurement وهو فــرع

يتخصص فى قياس العلاقات الاجتماعية هذا بالاضافة الى علم الاجتماع الصناعى وعلم الاجتماع الحضرى وهى فروع نمت فى المجتمع الأمريكى ذى الصبغة الحضرية (وفيما يلى) عرض موجز لأهم علماء الاجتماع فى أمريكا ونظرياتهم :

١ — العلامة « وارد » Ward (١٨٤١ — ١٩١٣)

العلامة ليستر وارد من الرعيل الأول لعلماء الاجتماع الأمريكيين. ويعد من البارزين الذين دعموا تأسيس وانتشار علم الاجتماع فى أمريكا .

ومن أهم مؤلفاته :

Dynamic Sociolgy, 1883 علم الاجتماع الدينامى .

Pure Sociology وعلم الاجتماع الخالص .

Applied Sociology وعلم الأجتماع التطبيقى .

والعوامل السيكولوجية فى المدنية ؟

Psychological Factors in Civilization

أهــم نظريـــاته :

١ — يرى ان علم الاجتماع يدرس أعمال النـــاس وليس ماهيـــة أو طبيعة الناس ويدرس كذلك الوظائف والانشطة وليس البناء الفسيولوجى. ويقسم علم الاجتماع الى قسمين :

(أ) علم الاجتماع النظرى :ـــ

يدرس الحياة الاجتماعية فى حالة الاستقرار وحالة التطور .ويدرس كذلك نشأة الحياة الاجتماعية والعوامل التى تؤثر فى تلك النشأة . ويرى أن تلك القوى والعوامل يمكن تقسيمها الى مجموعتين : الأولى هى القوى المادية الطبيعية وهى التى تهدف الى المحافظة على الكائن الحى مثــل

الأجهزة العضوية والغرائز والتنظيم العصبي . أما المجموعة الثانية فهي القوى الاجتماعية والأخلاقية أي النظم الاجتماعية .

(ب) علم الاجتماع التطبيقي :

يدرس كيفية تطبيق مبادىء علم الاجتماع يهدف التعجيل بالتغير الاجتماعي مما يحقق التقدم الاجتماعي . ويؤكد وارد أن علم الاجتماع التطبيقي لا يقوم بالاصلاح الاجتماعي وتطبيق مبادىء علم الاجتماع وانما يبين فقط كيفية التطبيق على أن تقوم فنون الاصلاح الاجتماعي والتخطيط الاجتماعي ، وغيرها بالتطبيق العملي ويفرق بين التغير الاجتماعي الطبيعي أو التلقائي ويسمي ذلك التطور الاجتماعي وبين التغير الاجتماعي المقصود ويسميه الاصلاح الاجتماعي ويرى أن التطور يسير عشوائيا وبصورة عمياء أي قد يؤدي الى التقدم وقد يؤدي الى نكسة وتخلف أما الاصلاح الاجتماعي فهو تغير اجتماعي هادف يؤدي الى التقدم الاجتماعي ويخضع للارادة والمنطق الانساني .

٢ — درس وارد تطور الانسانية وهنا هو يقترب من فلاسفة التاريخ ويرى أن الانسانية في تطورها تمر بأربعة مراحل وتمثل المرحلة الرابعة الحالة المستقبلة التي ستصل اليها الانسانية في المستقبل . هذه المراحل هي المرحلة الفردية والمرحلة الجماعية والمرحلة القومية العالمية وفيما يلي فكرة عن خصائص تلك المراحل .

(أ) المـرحلة الفـردية :

يرى أن الانسان عاش فيها منعزلا ولذلك كان الانسان ضعيفا في تلك المرحلة ولذلك تعرض لكثير من الأخطار وخاصة العواصف والفيضانات والحيوانات المفترسة . وأضطر الانسان الى التجمع في جماعات صغيرة لكي يحمي نفسه من الشرور المحيطة .

نلاحظ اتفاقه هنا مع الفيلسوف الانجليزي توماس هوبز ومعارضته لمعظم علماء الاجتماع الذين يرفضون الحالة الفطرية والانعزالية للانسان الأول .

(ب) المرحلة الجماعية :

هنا ظهرت المعاشر والعشائر والقبائل وسيطرة الدوافع الغيرية وأصبح الانسان يشعر بقوة انتمائه للجماعة وباستعداده للتضحية فى سبيل المجموعة وتتميز تلك المرحلة بصغر التكتلات الاجتماعية وبقوة المشاعر القبائلية وبكثرة الحروب بين تلك المجتمعات الفردية •

(ج) المرحلة القوميــة :

وتبدأ بظهور مجتمع المدنية واستقرار الحيــاة الاجتماعية وتقدمها وظهور الأمم التى تقوم على أساس المشاعر القومية ولكــن لا يعنى ذلك الاستقرار السلام الدائم بين الأمم وذلك لان الكثير من تلك الأمم تدفعها الرغبة فى السيطرة والتوسع الاقليمى والاستعمار الاقتصادى وتحقيق الثروة والقوة الى شن الحروب المدمرة على الأمم الأخرى • وهذا هو العصر الذى عاش فيه العلامة «وارد» أى — أوائل القرن العشرين •

(د) المرحلة العــالميــة :

وهى المرحلة المستقبلة وفيها تضعف النزعات القومية والعنصريــة وتختفى الحروب بين الأمم وتحدث تطورات من شأنها انتشار ثقافة عالمية مما يساعد على التقارب بين اللغات المختلفة والقيم والعادات وهكذا تنصهر النظم الاجتماعية المختلفة فى بوتقة عالمية ويقوم بتنظيم العــلاقات بين الدول هيئة عالمية تحافظ على القيم الانسانية من سلام وحقوق والعدالة ويتحقق تقدم الانسانية •

٣ — يحدد «وارد» أربعة قوانين اجتماعية تفسر التفاعل والحركة الاجتماعية وما يترتب عليها من تغير أو تطور اجتماعى • هــذه القوانين الاجتماعية هــى :

(أ) قانــون « تبــاين الامكانيــات » Difference of Potential

ويقصد بذلك القانون أن الحياة الاجتماعية أو المجتمع وما يمكن أن يحدث فيه من أنشطة وامكانيات لابد أن تخضع لقانون التباين والاختلاف

اذا لا يمكن أن نتصور مجتمعا يكون فيه جميع الأعضاء متشابهين وأن يكون فيه جميع العلاقات الاجتماعية الممكن حدوثها وكذلك جميـــع الأنشـــطة الاجتماعية المحتملة فى حالة تشابه تام اذ لابد أن يكون هناك اختلاف بل تعارض وتنافر يترتب على ذلك ضرورة وجود هيئة تنظيمية تمنع ما يمكن أن يترتب على ذلك التباين والتناقض من آثار سلبية مثل الفوضى والصراع والحروب ويعود فيقرر أن ذلك التباين والاختلاف هو الأساس فى ظهور الأفكار الجديدة لأن التفاعل الاجتماعى لا يمكن ان يحدث الا بين عناصر مختلفة شأنه فى ذلك شن التفاعل الكيمائى الذى لا يحدث الا فى حالة وجود عناصر كيميائية متعارضة ومختلفة وهنا يبدأ القانــون الثانى فى العمــل •

(ب) قانـــون الاخـــتراع : Law of Innovation

يترتب على التفاعل الاجتماعى بين أعضاء المجتمع الواحـــد احتكاك العقول وتبادل الخبرات والأفكار وظهور الحاجات الجديدة مما يدفـــع الانسان الى اختراع الأفكار الجديدة وما يترتب عليها من أفعال وأدوات وآلات وفنون وقيم وهكذا يتطور المجتمع الانسانى ولا يستقر على حالة واحـــدة •

(جـ) قانـــون الجهـــد البنـــاء • Law of Connation

يستخدم الانسان طاقته وجهده فى انشطة وأعمال تؤدى الى الحفاظ على كيانة والدفاع عن وجوده واستمراره فى الوجود عن طريق التناسل وبذل الجهد ذلك بغرض التكيف مع البيئة والتغلب على المصـــاعب التى تقابله وهكذا هناك قانون غريزى واجتماعى يؤدى الى بذل طاقة الانسان فى مجهودات بناءة وليس فى أعمال مـــدمرة ولكن هـــذا لا يمنـــع من وجود حالات يحدث فيها هدم ولكن الطابع الغالب على الجهد الانسانى هو البناء والتقدم الاجتماعى وتحقيق السعادة للانسان •

(د) قانـــون الغـــائيـــة الاجتمـــاعية : Law of Social Teleology

يرى «وارد» ان الانسان بطبيعته أنانى ويميل لتحقيق رغباته الفردية

وشهواته ومصالحه الخاصة ولذلك عاش منعزلا فى أو حياتهولميتجه لحياة الجماعة المنظمة الا عندما اضطر الى ذلك • ولكن يرى ، «وارد» أن هناك قانونا آخر يقوم بوظيفة توجيهية وتنظيمية للرغبات والمصالح الفردية وهو قانون الغائية الاجتماعية فمن طبيعة التفاعل الاجتماعى أن يوجه الرغبات الفردية التى تحقق الصالح العام والغايات الاجتماعية التى تعود بالنفع الى المجتمع وليس لفرد واحد بالذات • ان هذا القانون الاجتماعى هو بمثابة القالب السوى الذى يجب أن تتشكل فيه الرغبات الفردية والا يتحول المجتمع الى فئات متنازعة وتسود الفوضى ويعم الخراب وتعود شريعة الغاب الى الظهور ولكن ما هى الهيئة التى يجب أن تحدد الغايات الاجتماعية والتى تنظم توجيه الجهود الفردية نحو تحقيقها ؟ يجيب «وارد» بأن المجتمع هو ذلك الهيئة ، ويجب أن يقوم المجتمع بحكم نفسه وهكذا ينادى «وارد» بالديموقراطية المباشرة ذلك النظام اليونانى المثالى الذى يقوم على أساس حكم الشعب بالشعب ولكنه يضع اصطلاحا جديدا لذلك النظام وهو اصطلاح « حكم المجتمع Sociocracy وأساس هذا الحكم هو أن يخضع كل فرد لنظام وأهداف المجتمع وهى الغائية الاجتماعية •

٤ — يشتهر العلامة «وارد» بنظرية فى تحديد «مصدر الحركة» ما هو العامل الذى يدفع الانسان للحركة وبالتالى للتفاعل الاجتماعى ؟ بينما يحدد علماء الحياة هذا المصدر بالطاقة فان العلامة «وارد» يحددها بالرغبة فالرغبة هى المصدر الجوهرى لجميع الحركات والأفعال الانسانية ويجب هنا ملاحظة انه لا يوجد تعارض بين التفسيرين فبينما يحلل علماء الحياة مصدر الحركة من زاوية بيولوجية صرفة ، وهى عملية احتراق المواد الغذائية التى تتولد منها الطاقة والطاقة ما هى الا الحركة فان العلامة «وارد» يبدأ عندما ينتهى علماء البيولوجيا فيبحث عن العامل الموجه للطاقة هذا العامل هو الرغبة الانسانية ويوجد فرق آخر بين التفسيرين السابقين فبينما يتحدث علماء الحياة عن مصدر الأفعال عند جميع الكائنات الحية فان العلامة «وارد» يدرس مصدر الأفعال عند الانسان فقط • ويحددها بانها الرغبات Desires وهو [illegible]رق بين الرغبات والحاجات ولذلك يستخدم الاصطلاح السابق للدلالة على الرغبات أو الحاجات أو القوى ويقسم وارد الرغبات أو الحاجات — الانسانية الى ثلاث مجموعات هى •

(أ) حاجات غـذائية :

وأهم تلك الحاجات هى الرغبة فى البحث عن الطعام أوحاجة الانسان للغذاء • وتسيطر تلك الرغبة على كثير من الأفعال الانسانية منذ أن وجد الانسان حتى اليوم وكانت تلك الرغبة هى مصدر معظم أفعال الانسان فى الماضى القديم وكذلك فى المجتمعات البدائية والمتخلفة فان الانسان فى تلك المجتمعات تدور كل أفعاله وعلاقاته الاجتماعية حول البحث عن الطعام وتوفيره حتى يستطيع البقاء ولا يموت جوعا • أما اليوم فان نمو ثقافة الانسان وتقدمها وظهور الاختراعات وخاصة الزراعة جعلت الانسان يوفر الطعام بأقل جهدوأصبح لديه الوقت والجهد لتحقيق غايات أخرى • ويفسر «وارد» الهجرات القديمة والحروب بين الشعوب القديمة والحديثة أيضا الى تلك الحاجة أو الرغبة الأساسية •

ويصل «وارد» الى استنتاج هام وهو أن حاجة الانسان الى الطعام هى التى دفعته للعمل ويرى أن الانسان القديم والحديث أيضا يمتنع عن العمل اذا توافر له الطعام من حوله وان الدافع الحقيقى للعمل هو حاجة الانسان للطعام فهل الانسان حقا يكره العمل بطبيعته أم لا ؟ •

يرى العلامة «فيبلن» ان الانسان لديه دافع فطرى أو غريزى يدفعه للعمل والكد بغرض اشباع حوائجه وتحريك أعضائه والقضاء على الملل •

ويرى العلامة «وارد» ان ظهور نظام الملكية كان من أهم عوامل انتشـار الشر والحرب والنزاع والتفاوت الطبقى وهو هنا يتأثر بقوة الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو • وترتب على تلك المشاكل ظهـور التشريعات والقوانين التى تنظم العلاقات الاقتصادية بين الأغنياء والفقراء ويرجع كل هذه التنظيمات فى أصلها الى «الرغبة فى توفير الغذاء» ويصف هذه القوانين والتشريعات بأنها أساليب الخداع الاجتماعى ولذلك يعـارض التفاوت الطبقى وتركز الثروات فى طبقة صغيرة بينما تعانى الطبقـات الضخمة العدد من الفقر والحرمـان ويعارض الرأسـمالية والطبقـات الاجتماعية التى تمتص دماء الفقراء وهو يعارض أيضا الاشتراكية المتطرفة

لانها تعيد المساواة بصورة صناعيةويميل للاشتراكية التعاونية والاشتراكية المعتدلة وينادي بقوة التعاون بين أفراد الطبقة العاملة .

(ب) حـاجـات انجـابيـة :

وتتمثل تلك الحاجات فى الدوافع الجنسية التى يترتب عليها التناسل واستمرار الجنس البشرى وتوجد تلك الحاجات عند جميع الكائنات الحية عن طريق التكاثر وهو هنا يتأثر بالعلامة هربرت سبنسر ويشير كذلك الى الفرق الكبير بين التركيب العضوى للحيوانات الراقية وعلى رأسها الانسان والحيوانات الدنيا ويشير كذلك الى الفرق بين الذكر والانثى فى الحيوانات الراقية وترتب على ذلك الفرق الفسيولوجي فى الانسان فروق أخرى فى الحياة الاجتماعية مثل الاختلاف فى الملبس والزينة والتربية والحقـوق والواجبات وبالرغم من تقدم بعض المجتمعات الانسانية الا انها لاتخلو من بعض تلك الاختلافات .

وأدت تلك القوى الاجتماعية فى نظره الى ظهور أول صور الحب وهو الحب الجنسى الغريزى وتطور بعد ذلك الى الب العاطفى الرقيق ويصل الى أرقى صوره فى الحب الروحى . وترتب على تلك الحاجات ظهور الكثير من الظواهر الاجتماعية مثل : نظام الزواج والنظام القرابى ونظام الاسرة ونظام الملبس ونظام التزين وآدب الغزل والأغانى العاطفية وما الى ذلك .

(جـ) حـاجـات اجتمـاعيـة :

وهى الرغبات الاخلاقية والجمالية والعقلية وتتميز تلك الرغبـات أو الحاجات عن المجموعتين السابقتين بانها خاصة بالانسان فقط بينمـا توجد الرغبات الغذائية والرغبات الانجابية فى صورها الغريزية عند جميع الكائنات الحية . تتمثل الرغبات أو القوى الاخلاقية فى العادات والتقاليد والاعراف والقوانين والقيم والـ نات الانسانية وقد حدث تطور فى تلك الرغبات على مر العصور وباختلاف المجتمعات واستطاع الانسان أن يرتقى بتلك الرغبات الاخلاقية ووصل الى قيم انسانية راقية تحقق سـعادة الانسـان .

فيما يتعلق بالحاجات الجمالية وجد انها ترجمت الى فنون متعددة منها الموسيقى والرقص والغناء والرسم والنحت والهندسة المعمارية ولا يمكن اغفال الشعر والنشر وتقوم هذه الفنون على أساس تذوق الانسان للجمال واسهام أصحاب المواهب فى التعبير عن تلك الحاجات عن طريق أعمالهم الفنية المبدعة وتقدم الانسان للتعبير عن تلك الحاجات ووصل الى درجة كبيرة من الرقى والتقدم •

ونصل فى النهاية الى الحاجات العقلية وهى التى تتمثل فى وسائل تحصيل المعرفة ومن أمثلة ذلك العلم والفنون العملية واللغة والاختراع والتوصل الى القوانين وتتصل بتلك الحاجات العقلية وسائل تعليم الغير وقد تقدم الانسان فى وسائل تعليم النشأ والتعليم الجامعى ويعطى قيمة كبيرة لتعليم النشأ وذلك لتوفير رغبة قوية عند النشأ فى التعليم واكتساب المعلومات بصورة أسرع وابقى أثرا من البالغين •

٢ — العلامة سمنر Sumner (١٨٤٠ — ١٩١٠)

بدأ العلامة وليم سمنر حياته العملية بدراسة علوم اللاهوت وعمل بالكنائس كواعظ دينى ثم تحول الى الدراسات الاجتماعية والاقتصادية واستطاع الوصول الى درجة الاستاذية بجامعة ييل وتتلمذ على يديه عدد كبير من علماء الإجتماع المعاصرين واختير فى عام ١٩٠٦ رئيسا للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع •

ومن أهم مؤلفاته :

Folkways (الأساليب الشعبية)

What Social Classes Owe to Each other ماذا تدينه الطبقات الاجتماعية بعضها للبعض الآخر

The Science of Society (علم المجتمع) كتاب ضخم فى أربعة اجزاء يجمع كل مؤلفاته •

أهـم نظريـاته الاجتماعيـة :

١ ـ يعطى أهمية كبرى للـزواج المختلط بين العـروق المختلفة ودوره فى الاقلال من مظاهر التعصب العنصرى القائم على أساس اختلاف العرق واللون ،فقد لاحظ أن هناك ازديادا مضطردا فى عدد الزيجات المختلفةبين السود والبيض فى البرازيل وجنوب أفريقيا وكذلك بين الصفر والبيض فى الفلبين وجنوب شرق آسيا ويرى أن هذه الزيجات ساعـدت على القضاء على الامتيازات العنصرية والاضطهاد العنصرى والقائـم على أساس العرق وكذلك القضاء على عمليات الابادة التى كانت تقوم بهـا بعض الجماعات البيضاء ضد الشعوب الصفراء والسوداء هذا بالاضافة الى القضاء على الرق والسخرة والاستغلال الاقتصادىومظاهره السيادة التى تمارسها الشعوب البيضاء على الشعوب الصفراء والسوداء •

ويعارض «سمنر» رأى بعض الكتاب الاستعماريين الذين يرون أن انتشار الزواج المختلط بين العروق المختلفة سيؤدى الى انتصار العـرق الاحط (الأسود) وافناء العرق الراقى (الأبيض) •

هناك عوامل أخرى لعبت دورها وأكثر أهمية من الزواج المختـلط وأهم تلك العوامل الفلسفات الانسانية والثورات التحررية واسـتقلال الشعوب الأفريقية الآسيوية ونموها الاقتصادى والاجتماعى • هـذا بالاضافة الى أن حالات الزواج المختلط بين العروق المختلفة لا تزال قليلة العدد ولا تزداد بصورة واضحة ولذلك من الصعب اعطائها تلك الأهمية التى حددها العلامة (سمنر) •

٢ ـ يعد كتابة « الأساليب الشـعبية » من أفضـل كتب علم الاجتمـاع التى عالجت موضوع الضبط الاجتماعى هذا بالرغم من مضى أكثر من نصف قرن على نشر ذلك الكتاب يحلل «سمنر» نشأة العادات والتقاليد فيرى انها بدأت فى أول الأمر بصورة تلقائية عملية كوسيلة اخترعها الانسان للتكليف مع البيئة وكانت تلك القوالب للسلوك تحدث عن طريق التجربة والخطأ ولا يشعر الأفراد بقوة ضغطها وانما كانت على هامش الشعور

أى لا يهتمون بها كثيرا وذلك فى بداية نشأتها ثم أخذت تتكرر على مـر السنين وتنتقل من جيل لآخر وانتقلت من هامش الشـعور الى مركـز الشعور وتسربت الى عقول الأفراد وقلوبهم واستقرت فى أعماق نفوسهم هنا تحولت العادات الى أعراف اى الى مبادىء ونظم يتعارف عليها الناس وينظرون اليها كأمور طبيعية لابد من احترامها ومما يساعد على تثبيتها فى العقول قيام الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية التى عن طريقها تلقن تلك الاعراف والعادات الى أطفالها وهكذا ينشأ الأطفـال على ضرورة احترامها ، وهنـاك أجهزة ومؤسسات اجتماعية تقوم بعملية الضـبط الاجتماعى أى المراقبة والاشراف على تطبيق تلك العادات والتقاليد وانزال العقاب على كل من تسول له نفسه الخروج عليها اهم هذه المؤسـسات الاسرة والمؤسسة الدينية وأهل القرية والمدرسة والبوليس والمحاكـم ، وهنا يفرق « سنمر بين العرف والعادات على أساس العـرف يتمثل فى مجموعة من العقائد أو الأفكار التى يعتقد فى صحتها مجتمع ما ، أمـا العادات فهى الترجمة العملية لتلك الأفكار ويؤكد «سمر »نسبية الاعراف والتقاليد بمعنى ان كل مجتمع له تقاليده واعرافه ويشير كذلك الى التطور والتغيير الذى يطرأ على العادات والاعراف ويبين أثـرا الاختراعـات والاكتشافات فى تطوير العادات والتقاليد ولكن ليس من السهل تغييرها فان المثقف قد يكون واثقا من أن الاسراف فى حفل الزفاف لامبرر له ولكن يضطر الى الخضوع لذلك التقليد لأنه من تقاليد عائلته انه قـد يزور أضرحة المشايخ ولكن طالبا الشفاء من مرض مع انه واثق من عدم وجود عـلاقة علمية بين الظاهرتين ولكنه تعود على ذلك منذ الصغر وتتصـل بالعادات والتقاليد والاعراف ظاهرة اجتماعية هامة وهى القيم الاجتماعية ويقصد بها مجموعة من الأفكار والمبادىء التى يعتقد فى صحتها أفراد المجتمع ويحاولون فى أعمالهم أن يقتربوا من تلك المبادىء ولابد أن تتسق عاداتهم وتقاليدهم مع قيمهم بل ان القيم ما هى الا المبادىء العامة التى يقوم على أساسها كل التنظيم الاجتماعى للمجتمع ، بل ان القيم ما هى الا المبادىء وبالتالى العادات والتقاليد والاعراف،وتتغير القيم الاجتماعية ببطء شديد اذا قورنت بالظواهر الاجتماعية الأخرى اذ أنها فى الحقيقة

أبطأ النظم الاجتماعية فى التغير • فمثلا اذا قلنا أن من أهم قيم المجتمع العربى التدين يعنى ذلك ان الأفكار والطقوس الدينية تسيطر على كثير من تصرفاتنا بنسبة أكبر مما نجدها فى المجتمع الفرنسى مثلا وكذلك عندما نقول ان المجتمع الغربى تسوده المادية يعنى ذلك انهم يقيسون كل شىء على أساس المادة والمنفعة وليس على أساس رضا الله أو الجنة أو النار بعد الموت • يقسم «القيم الاجتماعية الى ما يأتى : »

(أ) قيم بيولوجية خاصة بالجسم مثل الصحة والقوة والجمال •

(ب) قيم اقتصادية مثل الغنى والنجاح فى الوظيفة والسيطرة والكرم •

(ج) قيم اخلاقية مثل الشجاعة ـ الشرف ـ المروءة ـ التضحية ـ السعادة •

(د) قيم عقلية مثل الذكاء والتفوق العلمى والاختراعات والتأمل العقلى ولا شك أن المجتمعات تختلف فى القيم التى تؤمن بها ••

«(تعليق)»

أخطأ سمنر •• عندما لم يذكر القيم الدينية لانها من أقوى القيم الاجتماعية فى معظم المجتمعات الانسانية •

٣ ـ يعطى « سمنر » أهمية كبيرة للدوافع الفطرية والغرائز فى تفسير الظواهر الاجتماعية وهو يرى تلك الظواهر كامتداد للغرائز وبمعنى آخر يمكن اعتبار الغرائز كأساس تقوم عليه الظواهر الاجتماعية • ويقسم الدوافع القطرية الى أربع مجموعات الدوافع المتعلقة باشباع الحاجات الجسمية وهى المأكل والملبس والمسكن ، وثانيا الحاجةالى اشباع الغرائز الجنسية ، وثالثا الحاجة الى اشباع حب العظمة والاستعلاء والمظهرية ورابعا الحاجة الى التخلص من الخوف • ويمكن تلخيص هذه الدوافع الفطرية فى أربعة غرائز : غريزة البحث عن الطعام والمأوى والغريزة الجنسية وغريزة الاستعلاء وأخيرا غريزة البحث عن الأمن فيما يتعلق بالغريزة الأولى قامت على أساسها ظواهر اجتماعية عدة منها تقسيم

العمل والمهن والفنون والعلوم وبعض الاختراعات أما الغريزة الجنسية فهى أساس الزواج ونظام القرابة ونظام الاسرة نظام العشيرة والأبوة ترتب على غريزة الاستعلاء النظام السياسى والتفاوت الطبقى والحروب والاستعمار والاحتكار ونظام الاقطاع والامتيازات والصراع العنصرى وفيما يتعلق بغريزة البحث عن الأمن فقد ترتب عليها عبادة الأرواح وعبادة الأجداد والأديان المختلفة .

٤ — درس العلامة « سمنر » النظام الطبقى بأسلوب يختلف عن الاسلوب المطبق حاليا فاليوم ننظر للطبقة على انها جماعة من أفراد المجتمع يتفقون فى خصائص اقتصادية واجتماعية معينة بحيث تجعلهم كجماعة متمايزة فى المجتمع فاذا كان المجتمع يسمح بوجود حراك اجتماعى أى انتقال من طبقة لأخرى نطلق على تلك الطبقات اسم طبقات مفتوحة. أما اذا رفض المجتمع وجود مثل ذلك الحراك الاجتماعى فاننا نطلق عليها اصطلاح الطبقات المغلقة . وتختلف المجتمعات فى تحديد المقاييس التى على أساسها تحدد معالم الطبقات فيها فمثلا الطبقة الوسطى فى المجتمع قد تكون شبيهة بالطبقة السفلى فى المجتمع ب وهكذا ...

فيما يتعلق بالعلامة «سمنر» الصورة تختلف تماما ، فهو يقسم المجتمع عامة الى خمس طبقات وهى طبقات يمكن أن توجد فى أى مجتمع وهى :

١ — الطبقة الوسطى : وهى الطبقة التى تقوم بأهم الأعمال والتى تمثل العمود الفقرى وتزود المجتمع بالمأكل والمشرب والسكن .

٢ — الطبقة المتطفلة أو العاطلة : وهى تجمع الأفراد الذين لا ينتجون ويعيشون عالة على الآخرين ولكنها مضطرة الى ذلك أى أن الظروف فرضت عليها عدم القدرة على الاسهام فى العمل المنتج وتضم تلك الطبقة الأطفال والمرضى والعجزة والمسنين وأصحاب العاهات والمجانين .

٣ — الطبقة المثقفة والغنية : وهى طبقة هامة ويتمتع أفرادها بمستوى مرتفع من الذكاء وهى تلعب دورا كبيرا فى تقدم المجتمع .

٤ — طبقة العباقرة : ويتمتع هؤلاء بعبقرية نادرة وهؤلاء قلة قليلة فى المجتمع ويصعب الكشف عنها وتوجيهها التوجيه المفيد ولذلك لا تلعب دوراً كبيراً فى تقدم المجتمع لصغر حجمها ولابتعاد معظم أفرادهـا عن مكانها المناسب اللهم الا فى الدول المتقدمة التى تبحث عن المواهب منذ الصغر وتنميها وتوجهها الوجهة السلبية وبالتالى يمكن الاستفادة منها .

٥ — طبقة المنحرفين : وتضم المجرمين والأحداث المنحرفين ويرى انها طبقة غير سوية ولذلك يجب أن تظل قليلة العدد ويجب أن نبحث عنها باستمرار ونعالج انحرافها وذلـك لان كثرة أفـرادها يهدد المجتمع بالانهيار .

نلاحظ فى التقسيم السابق ان العلامة «سمنر» قد استخدم ثلاثة أسس مختلفة للتصنيف الأساس الأول هو الانتاج وعدم الانتاج والأساس الثانى

٢ — العـلامة سـمول Small (١٨٥٤ — ١٩٢٦)

يعد من كبار علماء الاجتماع فى أمريـكا — درس فى الجامعـات الألمـانية — تعرض لجميع فروع علم الاجتماع ويشتهر بكثرة مؤلفاته وله مؤلفات فى علم الاقتصاد وصل الى وظيفة رئيس قسم الاجتمـاع بجامعة شيكاغو .

ومن أهـم مؤلفـاته

Introduction to the Study of Society مقدمة فى دراسة المجتمع

General Sociology علم الاجتماع العـام .

The Meaning of Social Science معنى العلم الاجتماعى .

Between Two Eras : From Capitalism to Democracy

وبين عهدين : من الرأسمالية الى الديموقراطية .

Origins of Sociology أصـول علم الاجتماع .

أهـم نظريـاته الاجتمـاعية :

١ — يختلف العلامة « سمول عن سابقيه من علمـاء الاجتمـاع الأمريكيين فى عدم الاهتمام بالاساس النفسى الظواهر الاجتماعية ولذلك لم يحدد الدوافع الفطرية التى ترتكز عليها النظم الاجتماعية وانما جعل «الجماعة» هى وحدة التحليل الاجتماعى نقطة البداية التى تنطلق منها الدراسات الاجتماعية وهى كذلك المحور التى تتركز حـوله الابحـاث الاجتماعية ولذلك عارض بقوة تقسيم علم الاجتماع الى علوم اجتماعية جزئية مستقلة ويؤكد ضرورة التعاون بين فروع علم الاجتماع اذ لايمكن دراسة النشاط الاقتصادى أو السياسى أو الأسرى أو الدينى الا كظواهر اجتماعية متداخلة ومتكاملة .

٢ — يحدد أهداف علم الاجتماع بانهاء دراسة النظم الاجتماعية دراسة علمية تهدف الى تحديد القيم الاجتماعية التى يرتكز عليها وهنـا المصدر الميتافيزقى للقيم الأخلاقية ويرى انها نابعة من النظم الاجتماعية ولايمكن التوصل اليها الا عن طريق دراسة الواقع الاجتماعى وبالرغم من ذلك فان القيم الاخلاقية هى التى تسيطر على تلك النظم وتوجيهها فى اتجاهات معينة وهكذا يعطى «سمول» أهمية كبرى القيم الأخلاقية على انها القوى المحركة للنشاط الاجتماعى ويرى ان هدف علم الاجتماع هو تحديد القيم الاخلاقية والعمل على الارتقاء بها عن طريق الارتقاء بالنظم الاجتماعية وذلك يتم عن طريق الاصلاح الاجتماعى ، نلاحظ هنا تأثـر «سمول» القوى بالعلامة «دور كايم» صاحب الاتجاه الاجتمـاعى فى دراسة القيم الأخلاقية ويتفق العالمان فى ارجاع القيم والمثل الأخلاقية الى الواقع الاجتماعى أى الى العمليات والعـلاقات الاجتماعية ويعارضان بقوة الاتجاه الميتافيزيقى التأملى .

٣ — يعطى «سمول» أهمية كبيرة لتأثير العوامل الاقتصادية فى الأنشطة الاجتماعية الأخرى وحاول وضع جدول أو نموذج للانشطة الاجتماعية وما يحدث بينها من تفاعلات وتداخلات وأوضح فى ذلك الجدول التأثيرات القوية للمصالح الاقتصادية . ولكنه رفض النظرية الاقتصادية الكلاسيكية التى تقوم على أساس «الانسان الاقتصادى» الذى لا يخضع سـوى

لمصلحته الاقتصادية الشخصية ولا يتأثر بالعوامل الاجتماعية الأخرى ويرى أن الانسان يتأثر بالعوامل الأخلاقية والدينية الى جانب العوامل الاقتصادية . وهكذا فان اهتمامه بالعوامل الاقتصادية لم يدفعه الى الأخذ بالمبدأ القائل بأن الانسان يعيش بالخبز فقط .

٤ — عارض بقوة النظام الرأسمالى القائم على أساس تحقيق أكبر ربح والاحتكار وتجميع رؤوس الأموال فى طبقة صغيرة تسيطر على مقدرات الدولة ويعارض كذلك مبدأ وراثة الثروات ومبدأ الملكية الفردية المطلقة ولكنه فى نفس الوقت يأخذ بالاشتراكية الماركسية وانما نادى باشتراكية معتدلة تبيح الملكية الفردية المحدودة وتعطى للطبقة العاملة حقوقها وتمنع الاستغلال والاحتكار فهو يؤمن بالاقتصاد الموجه من الدولة مع اتاحة حرية اقتصادية محدودة وللافراد وتهدف تلك الاشتراكية المعتدلة الى الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية وليس الربح وتهدف كذلك الى وضع تشريعات جديدة تمنع نظام توارث الثروات لأنه نظام غير عادل ويساعد على خلق طبقة عاطلة وغنية . ولايعطى قيمة كبرى «للعمل كأساس للقيمة وتوزيع العائد» .

وفى الخاتمة نشير الى مجهودات هذا العالم فى تسجيل تاريخ علم الاجتماع ومجهودات سابقية وتحليلها ويعطى أهمية العلماء الاجتماع فى المانيا ولذلك يعد من مؤرخى علم الاجتماع البارزين .

٤ — العلامة « ماكيفر » Mac Iver (١٨٨٢ — ١٩٥٦)

تعلم وحصل على الماجستير والدكتوراه فى انجلترا ثم هاجر الى الولايات المتحدة الأمريكية وشغل مناصب استاذية علم الاجتماع فى : عدة جامعات أمريكية أهمها كولومبيا وهارفاد وييل .

تأثر بقوة بكل من تونيس وسيمل ودوركايم وسبنسر وسمول ولذلك تعد نظرياته اتجاها توفيقيا لنظريات العلماء السابقين .

(من أهم مؤلفاته :)

المجتمع المحلى The Community

علم الاجتماع Sociology

المجتمع : تباينه وتغيره • Society : Its Structure Change

العلية الاجتماعية • Social Causation

المجتمع : تحليل تمهيد Society ; An Introductary Analysis

الف ماكيفر هذا الكتاب بالاشتراك مع العلامة الأمريكى بيج — ترجم الدكتور على عيسى هذا الكتاب الى اللغة العربية •

أهم نظرياته :

[١] أعطى «ماكيفر» اهتماما كبيرا لاصطلاحات علم الاجتماع وذلك لأن تقدم هذا العلم يرجع لاتفاق علماء الاجتماع على استخدام اصطلاحات، واحدة ذات تعريفات واضحة يتفق عليها الجميع • نشير هنا الى بعض تلك المصطلحات • :

١ — الحقائق الاجتماعية : Social Facts

هى موضوع علم الاجتماع وتشمل :

(أ) العلاقات الاجتماعية : Social Relations

وهى الترجمة السلوكية للتفاعل بين الأفراد

(ب) النظم الاجتماعية : social systems

الصورة العامة (الانماط) للعلاقات الاجتماعية

٢ — المجتمع : Society

هو النسيج العام والاطار العام الذى يجمع ويتكون من العلاقات الاجتماعية •

من أهم خصائص المجتمع التغير والتطور وتفاعل العلاقات الاجتماعية بداخله وكذلك اعتماده على مبدأى التشابه والتباين وعن طريق هـذين المبدأين يتم التفاعل بين عناصره وبالتالى استمراره . هنا يتأثر ماكيمـر بآراء العلامة هربرت سبنسر .

٣ ـ المجتمـع المحـلى : Community (أو الجماعة المحلية) :

هو جماعة من الأفراد يعيشون فى منطقة واحدة قد تكون صغيرة مثل القرية والعشيرة والقبيلة والبلدة وقد تكون منطقة كبيرة مثل المدينة والدولة اوالأمة أهم ما يميز المجتمع المحلى هو أن يمارس أفراده جميع علاقاتهم الاجتماعية فى داخله . وبالتالى لا يمكن اعتبار المصنع والمدرسة أو الاسرة أو المتجر أو الملهى أو النادى أمثلة للمجتمعات المحلية . يجب ملاحظة أن المجتمع هو صورة عامة للمجتمعات المحلية الواقعية .

٤ ـ الجمـاعـة : Groups

سى مجموعة من الأفراد تجمعهم علاقات اجتماعية ذات طابع خاص ومحدود وتؤدى الجماعة وظائف معينة ومحددة ومن خصائص الجماعة انها دائما جزء من المجتمع المحلى وتتكون تلقائيا ومن أمثلة الجماعة الطبقة الاجتماعية والجيرة وجماعة اللعب .

٥ ـ المؤسـسة أو المنـظمة : Institution

وهى جماعة منظمة تنشأ بصورة مقصودة بغرض تحقيق مصالح خاصة معينة ولذلك تظهر الارادة الانسانية فى انشاء المؤسسة الاجتماعية وفى ادارتها وفى تحقيق أهدافها ومن أمثلة ذلك المصـنع أو المدرسـة أو الجيش أو النادى أو المتجر أو الجامعة أو المعمل الصغير ..

[٢] يعرف «ماكيفـر» علم الاجتماع بأنه علم العلاقات الاجتماعية ولذلك يهتم بضرورة الملم عالم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية الأخرى مثل علم السياسة وعلم القانون وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع هـو العلم الوحيد الذى يجمع فى دراسته جميع الظواهر الاجتماعية وعالم الاجتماع.

هو الذى يدرس الظواهر الاجتماعية ليس لكونهـا سياسية أو دينيـة أو اقتصادية وانما لكونها ظواهر اجتماعية وهكذا يؤدى ماكيفـر أهمية دراسة — الترابط بين الظواهر الاجتماعية وذلك لأن هذا الترابط يعبـر بدقة عن واقع الحيـاة الاجتماعية التى تجمـع الجوانب الاقتصـادية والسياسية والقانونية والدينية وغـيرها •

ان المـادة الأولية للدراسات الاجتماعية هى العلاقات الاجتماعية وهنا نلاحظ تأثر العلامة ماكيفـر بالمدرسة الألمانية للعلاقات الاجتماعية وخاصة العلامة «سيمل» • وينادى ماكيفـر بضرورة اهتمـام علـم الاجتماع بعلم النفس وذلك لأن دراسة العلاقات الاجتماعية لا تسـمح بالفصل بين الجانب الاجتماعى والجانب النفسى اذ لا يمكن أن نفهـم العلاقات بين الأفراد كحقيقة منفصلة عن الأفراد أنفسهم ويرى ضرورة قيام علماء النفس بدراسة علم الاجتماع للترابط بين الجانب الاجتماعى والجانب النفسى • هنا نلاحظ أن اتجاه علماء الاجتماع فى أمريكا هـو التقارب بين علم الاجتماع وعلم النفس وذلك يخالف اتجاه علم الاجتماع فى فرنسا حيث نجد التأكيد المستمر لضرورة الفصل بين العلمين •

وفيما يتعلق بمنهج علم الاجتماع نلاحظ أن العلامة ماكيفـر يعطى أهمية كبيرة لمنهج المقارنة ويشك فى قيمة الاتجاه الاحصائى الكمى الذى يسيطر على الابحاث الاجتماعية فى أمريكا وذلك لأن — وفـق رأيه — الأرقام والمتوسطات والنسب ليست حقائق اجتماعية فى ذاتها وانما هى تعبر عن بعض جوانب الحقائق الاجتماعية ولذلك يجب على عالم الاجتماع أن يتعمق الى ما هو أبعد من مجرد التحديد الكمى للعلاقات الاجتماعية ويتأتى ذلك عن طريق المقارنة • حدد ماكيفر غرض علم الاجتماع فى أنه اكتشاف القوانين الاجتماعية التى تخضع لها الحقائـق الاجتماعية فى تطورها ونشأتها وترابطها •

[٣] درس ماكيفـر بعمق علاقة الانسان بالبيئة وهو موضوع حظى باهتمام الكثيرين من علماء الاجتماع وعلماء الجغرافيا وعلماء الانثروبولجيا ولا يمكن انكار وجود تلك العلاقة ولكن اختلف العلماء فى تحديد خصائص تلك العلاقات وكذلك فى مدى التأثير المتبادل بين البيئة والانسان يرى

ماكيفـــر أن العلاقات الاجتماعية تتأثر بثلاثة مجموعات كبيرة من العوامل الطبيعية ويقصد بذلك البيئة الجغرافية من مناخ وموقع وطبيعة السطح وما تحويه الأرض من موارد اقتصادية وما الى ذلك أما المجموعة الثانية فهى العوامل البيولوجية ويقصد بذلك خصائص الجسم الانسانى فى عامة وخصائص العروق الانسانية المختلفة وتتمثل المجموعة الثالثة الأخيرة فى العوامل الثقافية والاجتماعية وهى العوامل التى يخترعها الانسان بصفته الكائن الوحيد فى العالم • فانتقل من ذلك التقسيم للعـــوامل المـــؤثرة فى السلوك الانسانى الى حقيقة هامة وهى أن الانسان يؤثر كذلـــك فى تلك العوامل وان كانت تختلف درجة ذلك التأثير وأوضح المجالات التى يؤثر فيها الانسان هى العوامل الثقافية والاجتماعية لأنها من صنعه ويتلو ذلك تأثير الانسان فى العوامل الطبيعية أى البيئة الجغرافية وأخيرا يؤثر الانسان فى خصائصه البيولوجية الجسمية فقـــد تغلب على كثـــير من الأمراض وعالج الكثير من العاهـــات •

ويلخص ماكيفـــر علاقة الانسان بالبيئة فى أن الانسان لديه القدرة على التكيف مع المجموعات الثلاث السابقة من العوامل أى أنه يوجد تكيف طبيعى وتكيف بيولوجى وأخيرا تكيف ثقافى واجتماعى •

وينتج عن ذلك التكيف المتعدد الجوانب أن يصنع الانسان البيئة الاجتماعية الخاصة به ويمثل المظهر الخارجى لتلك البيئة الأشياء المادية التى يصنعها الانسان على مـــر العصور وهى القرى والمدن والمســـاكن والملابس والاختراعات ووسائل المواصلات والكتب وما الى ذلك وللبيئة الاجتماعية مظهر داخلى كذلك هو البناء الاجتماعى أو التراث الاجتماعى ويتمثل فى النظم الاجتماعية والقيم ويولد الانسان فيجد نفسه محاطا بتلك البيئة الاجتماعية وعليه أن يتقبلها وخاصة فى مراحل حياته الأولى ويعمل على تطويرها بعد أن يتكيف معها ويهدف الانسان من تطوير بيئته الاجتماعية تحقيق القيم الاجتماعية التى يؤمن بها المجتمع من تقـــدم ونجاح وسعادة وقوة • وهكذا فالتكيف عند ماكيفـــر لا يعنى التقبـــل أو التأثير من جانب واحد وانما يعنى التفاعل والتطور والتغير •

[٤] ذكرنا سابقا أن للعلامة « ماكيفر » كتابا هاما وهو « العلية

الاجتماعية» وفيه درس موضوعا رئيسيا فى علم الاجتماع شغل علماء الاجتماع كثيرا وكان هناك اتجاهان رئيسيان الأول هو الاتجاه الوضعى الذى يطابق بين العلية الاجتماعية والعلية الطبيعية بمعنى أن الحياة الاجتماعية هى جزء من العالم الطبيعى الذى يخضع لقوانين ثابته وبالتالى يطابق هذا الاتجاه بين القوانين الاجتماعية والقوانين الطبيعية وكذلك يؤكد ضرورة تطبيق المنهج العلمى القائم على أساس الملاحظة والتجربة فى علم الاجتماع ، أنه فى ذلك شأن علم الطبيعة أو علم الفلك أو علم الكيمياء • أما الاتجاه الثانى فهو الاتجاه الانسانى أو الارادى الذى يفرق تماما بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ويدخل علم الاجتماع فى نطاق العلوم الانسانية ويتضح فى تلك العلوم الارادة الانسانية وبالتالى لا يمكن تطبيق مفهوم العلية الطبيعية على الظواهر الاجتماعية وكذلك لا يمكن تطبيق منهج العلوم الطبيعية على الظواهر الطبيعية وبالتالى تكون العلية الاجتماعية معقدة جدا لتدخل عامل الارادة — الانسانية التى تختلف من حالة الأخرى • وقف «ماكيفر» موقفا وسطا بين الاتجاهين السابقين • فهو يعترف بتعقد الحياة الاجتماعية وخضوع الفعل الاجتماعى للعديد من العوامل بحيث لا يمكن معرفة كل الأسباب التى تكمن وراءه ولكنه يرى أنه فى الامكان التوصل الى فكرة عامة عن العلاقات العلية بين الظواهر الاجتماعية والظواهر النفسية والظواهر الأخرى من طبيعية وبيولوجية وهو يعترف بأن العلية الاجتماعية تختلف عن العلية الطبيعية ولكن لايرفض امكانية التوصل الى تحديد أسباب السلوك الاجتماعى ولكن بصورة عامة ولا تتوفر فيها الدقة الكمية والتنبؤ الواضح المعالم وغيرها من الخصائص المتوفرة • فى العلية الطبيعية •

يعترف ماكيفر بتعقد الظواهر الاجتماعية وذلك لوجود العامل النفسى الارادى الذى لا يوجد فى الظواهر الطبيعية وتتلخص نظرية ماكيفر فى أن علم الاجتماع يهتم بالنطاقين الاجتماعى والنفسى وهما متأثران بالنطاق الطبيعى والنطاق البيولوجى • وهكذا فان السلوك الاجتماعى يتأثر بعدد كبير من العوامل وهى العوامل الاجتماعية والعوامل الطبيعية والعوامل البيولوجية وهكذا يجب عند بحث أسباب السلوك

الاجتماعى — الاهتمام بالجانب الغائى فى السلوك الاجتماعى ويشير كذلك الى الاختلاف بين منهج العلوم الطبيعية ومنهم علم الاجتماع والذى يدور حول حقيقة هامة وهى استحالة تطبيق التجربة الا فى الحدود الضيقة جدا فى علم الاجتماع ولكنه يرى أن المقارنة بين الحالات المتعددة للسلوك الاجتماعى تعطينا نتائج شبيهة بالنتائج التى يمكن التوصل اليها عن طريق التجربة وعن طريق عقد الكثير من المقارنات نستطيع التوصل الى نتائج عامة وقد نحتاج الى بعض التصور والخيال وهنا يجب ملاحظة أن العلوم الطبيعية ترفض مثل ذلك التصور اللهم الا فى حــالة الفروض العلمية وليس فى حالة التعميم هذه هى الفروق التى حددها ماكيفــر بين العلية الاجتماعية والعلية الطبيعية وهى فروق تؤدى الى انكار امكانية الوصول الى الكشف عن القوانين الاجتماعية •

[٥] درس العلامة «ماكيفــر» كذلك ظاهرة الضــبط الاجتماعى ويقصد بها الاساليب التى يحافظ بها المجتمع على مقوماته ونظمه أى الاساليب التى تنظم العلاقات بين الأفراد من ناحية وبين النظم الاجتماعية من ناحية أخرى • ويرى أن دراسة ظاهرة الضبط الاجتماعى فى مجتمع ما يتطلب تحديد الوسائل التى يستخدمها المجتمع فى مراقبة ســلوك أعضائه وكذلك تحديد المعايير التى عن طريقها يحكم على السلوك بالانحراف عن النظام الاجتماعى أو الامتثال له ، ولا يمكن اغفال دراسة المؤسسات التى تقوم بعملية المراقبة الاجتماعية وتطبيق الجزاء على المخالفين•ويحدد أهم تلك المعايير فيما يأتى :

(أ) قواعد السلوك فى المؤسسات والمنظمات الاجتماعية وتختلف هذه القواعد من مؤسسة لأخرى ومن حالة انحرافية لأخرى ، وتوجد فى كل مؤسسة لائحة تنظيمية من شأنها تراقب سير العمل وتنزل العقوبات المختلفة مع المخالف ، ومنها الفصل أو النقل أو الغرامة أو لفــت النظر أو مجرد التأديب •

(ب) قواعد السلوك من عادات وتقاليد وأعراف فى المجتمعات المحلية وخاصة فى القرى والقبائل البدائية •

(جـ) القواعد الاخلاقية العامة والخاصة ، وتلك تعتمد على الضمير الجماعى والضمير الفردى بشأن التمييز بين الخير والشر ، واحيانا يقتنع الضمير الجمعى ، ويتضح ذلك فى المجتمعات المتقدمة حيث تقوى الاتجاهات الفردية ومبادىء الحرية فمثلا قد يعتقد البعض أن قتل المريض الذى لا أمل فى شفائه أمر يتفق مع الخير ولا يعد شرا ، وقد يقوم طبيب بانهاء طفل مشوه لا يمكن له أن يعيش اكثر من اشهر أو سنوات فى حالة يرثى لها ، هذا بينما تخالف قيم المجتمع الاخلاقية مثل تلك الاعمال .

(د) القوانين ، وهى الجانب الرسمى المقنن من الضبط الاجتماعى حيث يتخصص فيه جماعات من افراد المجتمع مثل رجال البوليس والقانون والمحامين والقضاة ويتكون فى كل مجتمع جهاز قانونى ضخم لوضع القوانين وتنفيذها .

٥ ــ العلامة سوروكن sorokin

يعد العلامة بيتريم سوروكن من اكبر علماء الاجتماع الأمريكيين الاحياء وصل الى أعلى المراكز العلمية فى عدة جامعات امريكية . وهو روسى الاصل والتعليم ثم هاجر الى امريكا .

ومن اهم مؤلفاته :

Social and Cultural Dynamics الديناميات الاجتماعية والثقافية .

Society, Culture and Personality والمجتمع والثقافة والشخصية

Contemporary sociological Theories ونظريات علم الاجتماع المعاصرة .

Social and Cultural Mobility والحراك الاجتماعى والثقافى

Sociocultural Causality والعلية الاجتماعية الثقافية .

اهم نظرياته :

١ — يعرف سوروكن علم الاجتماع العام بانه العلم الذى يدرس العالم الاجتماعى والثقافى ككل ، ولا يفهم من ذلك أنه علم تركيبى يجمع كل العلوم الاجتماعية وانما هو علم خاص أى له موضوع خاص وهو دراسة الارتباطات بين الظواهر الاجتماعية المختلفة أى العلاقات بين الظاهرة الدينية وظاهرة الاسرة والنظام الاقتصادى والنظام السياسى وما الى ذلك ، وكذلك يختص علم الاجتماع بدراسة الارتباطات بين الظواهر الاجتماعية والظواهر غير الاجتماعية واخيرا يتخصص فى دراسة الصفات العامة المشتركة بين الظواهر الاجتماعية المختلفة .

٢ — يقسم سوروكن علم الاجتماع العام الى قسمين :

(أ) علم الاجتماع البنائى ، وهو يشبه المورفولوجيا الاجتماعية ويدرس بناء المجتمع وتركيبه واشكال التكتل الاجتماعى والانماط البنائية للنظم الاجتماعية والثقافية .

(ب) علم الاجتماع الدينامى يدرس التغير الاجتماعى والثقافى والعمليات الاجتماعية مثل التفاعل والتنشئة الاجتماعية والصراع والتوافق والاندماج والحراك الاجتماعى وكذلك يتخصص هذا الفرع فى دراسة العمليات الثقافية مثل الانتشار الثقافى والاستعارة الثقافية والتراكم الثقافى والاختراع والتكامل ، ويحلل هذا الفرع تأثير العمليات الاجتماعية والثقافية فى الشخصية .

والى جانب علم الاجتماع العام يوجد علوم الاجتماع الخاصة ويتخصص كل فرع فى ظاهرة اجتماعية معينة مثل علم الاجتماع العائلى وعلم الاجتماع الاقتصادى وعلم الاجتماع السياسى وما الى ذلك .

(ج) يرى سوروكن أن دور علم الاجتماع هو تحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية الى عناصره الاولية ويحدد تلك الوحدات الاساسية بحالات التفاعل الاجتماعى والثقافى ، ويقصد بالتفاعل الفعل الذى يقوم

به فرد أو جماعة ويؤدى الى التأثير فى الافعال الظاهرة لفرد أو جماعة اخرى .

وتتكون كل حالة من حالات التفاعل الاجتماعى والثقافى من الترابط بين ثلاثة عناصر ، هى الشخصية والمجتمع والثقافة ، ويقصد بالشخصية مجموع للسمات الفطرية والمكتسبة لفرد ما ، أما المجتمع فهو مجموعة من الافراد الذين يعيشون معا ويخضعون لنظم اجتماعية معينة ويقصد بالثقافة القيم والمعايير التى تحكم السلوك فى المجتمع .وهكذا فان الحياة الاجتماعية التى يدرسها عالم الاجتماع تتمثل فى التفاعل بين الشخصية والمجتمع والثقافة .

وهكذا يؤمن سوروكن بالاتجاه التكاملى أو المدرسة التكاملية التى تنادى بالتعاون الوثيق بين علم الاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس وهو اتجاه قوى فى علم الاجتماع الامريكى ولكنه يختفى تقريبا فى علم الاجتماع الفرنسى ويظهر بضعف فى انجلترا والمانيا .

٣ — درس العلامة سوروكن الشروط الأساسية التى يجب توافرها فى المؤسسات والجماعات المنظمة ، واهم هذه الشروط ضرورة توافر مجموعة من القيم والمعانى يؤمن بها اعضاء الجماعة المنظمة ، ويجب أن يكون هناك غاية تحاول — الجماعة تحقيقها ، ولما يساعد على قوة الجماعة المنظمة ونجاحها فى تحقيق اهدافها عدم تناقض القيم التى يؤمن بها اعضاؤها ، ويجب ان تأخذ تلك القيم والمفاهيم صورة المعايير ذات الفاعلية وبالتالى يستطيعون مراقبة سلوك افراد الجماعة وعلاج حالات الانحراف وبالتالى تقوى الجماعة وتستطيع تحقيق أهدافها .

٤ — اهتم سوروكن بتحليل الطبقة الاجتماعية المفتوحة ويراها جماعة منظمة نسبيا ، ولكنها جماعة ضعيفة التنظيم اذا قورنت بالمؤسسات الاجتماعية ذات التنظيم القوى. ويرى ان الشعور بالانتماء الى طبقة معينة ينشأ تلقائيا عند مجموعة من البشر تجمعهم خصائص معينة ، أهمها التشابه المهنى والتشابه الاقتصادى ووجود حقوق وواجبات تختلف عن الحقوق والواجبات الخاصة بالجماعات الاخرى ،

وتتميز الطبقة الاجتماعية بأنها مفتوحة وبالتالى تختلف عن الجماعة المغلقة وهى التى تمنع الحراك الاجتماعى منها أو اليها فمثلا كان المنبوذ فى الهند يظل كذلك طوال عمره ولا يمكن ان يخرج من تلك الجماعة المغلقة . يعارض « سوروكن » النظرية الماركسية التى تحتم قيام الطبقة على أساس العامل الاقتصادى فقط وترفض العوامل الاخرى «يرى سوروكن» ان الطبقات تقوم على أساس عدة عوامل يكون العامل الاقتصادى واحدا منها ، فهناك عوامل دينية وسياسية واخلاقية واسرية تلعب دورها فى تكوين الطبقية فى المجتمع . وتتماسك الطبقة عن طريق مجموعة من القيم والمعانى فالشعور الطبقى لاينمو من مجرد التشابه فى المستوى الاقتصادى وانما عن طريق التفاعل والتنظيم والتفاف الافراد حول مجموعة من القيم والمفاهيم . ويعطى سوروكن أهمية نمو الشعور الطبقى لأن وجود ذلك الشعور يدل على وجود الطبقة .

٥ — وضع سوروكن نظرية فى التغير الاجتماعى والثقافى وتوصل الى قانون عام يفسر التغير الاجتماعى كحالة من الانتقال من الثقافة الفكرية الى الثقافة الحسية مع امكانية المرور بالثقافة المثالية وقد جمع الكثير من المعلومات التاريخية لاثبات صحة القانون السابق .

٦ — تطرق سوروكن لموضوع العلية الاجتماعية الثقافية ، ويرى أن السلوك الاجتماعى لا يمكن تفسيره عن طريق علية واحدة أو سبب واحد وانما الحقيقة أن هناك عدة أسباب وراء التفاعل الاجتماعى . وقد لاحظ أن العلية الاجتماعية تختلف عن العلية الطبيعية من ناحية تواجد عامل القيم والمعانى فى الظواهر الاجتماعية وعدم وجوده فى الظواهر الطبيعية وهو هنا يتفق مع العلامة ماكيفر ، واذلك وضع العلامة سوروكن .

«المنهج المنطقى الدال» .

ويتمثل ذلك المنهج فى استخدام المنهج العلمى فى دراسة الخصائص المحسوسة للظواهر الاجتماعية ، ويتمثل ذلك المنهج فى الملاحظة والتجربة

والمقارنة ، ولكن يوجد جانب منطقى غير محسوس لظواهر الاجتماعية . ويتمثل ذلك الجانب فى القيم والمفاهيم والذوق ، ولا يمكن التوصل الى ذلك الجانب غير المحسوس عن طريق الملاحظة الحسية وانما عن طريق العقيدة والتحليل المنطقى .

٦ — العلامة بارسونز : Parsons

يعد العلامة تالكوت بارسونز — رئيس قسم العلوم الانسانية بجامعة هارفارد سابقا من كبار علماء الاجتماع الأمريكيين . ويمكن ادراجه فى فى المدرسة الوظيفية البنائية التى تهتم بتحليل وظائف النظم الاجتماعية وبنية الجماعات والمجتمعات . تتميز مؤلفاته بالعمق والتعقيد وتدور حول نظريته فى الفعل الاجتماعى .

أهم مؤلفاته :

social Action (الفعل الاجتماعى) .

The social sysem. و(النسق الاجتماعى) .

The structures of social Action وبنية الفعل الاجتماعى .

أهم نظرياته :

١ — تخصص بارسونز فى تحليل بنية أو بناء الفعل الاجتماعى يرى أن الوحدة الأساسية للحياة الاجتماعية هى الفعل الاجتماعى ويقوم الفعل الاجتماعى على أساس ثلاثة انساق وهى النسق الاجتماعى أى المجتمع والنسق الثقافى أى الثقافة ونسق الشخصية . هنا نجد تشابها واضحا بين هذه النظرية ونظرية سوروكن فى التفاعل الاجتماعى ، أن الاختلاف بينهما هو اختلاف فى الألفاظ فقط ، فبينما يستخدم بارسونز اصطلاح الفعل الاجتماعى يستخدم سوروكن اصطلاح الفاعل الاجتماعى ،

ونلاحظ أن بارسونز يستخدم اصطلاحات نسق اجتماعي ونسق ثقافي ونسق الشخصية أما سوروكن فانه يستخدم اصطلاحات مجتمع وثقافة وشخصية وقد اتهم العلامة سوروكن العلامة بارسونز بانه اقتبس نظريته ووضعها في ثوب جديد •

٢ — حلل بارسونز بناء الفعل الاجتماعي في أنه أي سلوك اجتماعي يقوم به فرد مثل البيع والشراء أو التحية أو الصداقة أو الزواج أو التعلم أو المنافسة وما الى ذلك • يرى بارسونز ان الفعل الاجتماعي يتم في اطار يجمع ثلاثة أمور : فاعل وموقف وتوجيه الفاعل نحو الموقف • فمثلا اذا حللنا الفعل الاجتماعي المتمثل :

اشترى ابراهيم سيارة فيات — نجد انه بناء يتكون من ثلاثة عناصر : فاعل وهو هنا ابراهيم •

موقف اجتماعي شراء سيارة فيات

عوامل توجيهية وهي عوامل وجهت ابراهيم لشراء هذه السيارة بالذات •

يرى بارسونز أن أهم هذه العناصر في تحقيق هذا الفعل الاجتماعي هو عنصر العوامل التوجيهية ، ويقسم هذه العوامل الى مجموعتين من العوامل ، وهي أولا مجموعة التوجيهات الدافعة وهي العوامل النابعة من داخل الفاعل ، وثانيا مجموعة التوجيهات القيمية وهي التوجيهات الصادرة من عوامل خارجية • ويحلل التوجيهات الدافعة الى ثلاثة أقسام فرعية هي:

(أ) توجيهات دافعة ادراكية وتتمثل في ادراك الشخص للموقف وادراكه لحاجاته وامكانياته ، وفي المثال السابق نجد انها ادراك الشخص لحاجته للسيارة وادراكه لكمية الأموال التي يدخرها •

(ب) توجيهات دافعة عاطفية ، وهي تتمثل في رغبة الشخص وتعلقه العاطفي بأمر ما بالذات ، وهنا نجد أن ابراهيم لديه رغبة في شراء السيارة الفيات بالذات لأنه يحبها لسبب ما مثل الشكل أو اللون أو القوة وما الى ذلك •

(جـ) التوجيهات الدافعة التقيمية ، وهي الدوافع التي تجعل الفاعل يختار بين رغبات أو أفكار مختلفة ، وبالنسبة للمثل السابق فان ابراهيم اختار السيارة الفيات بالذات لانها ذات قيمة له شخصيا .

ويسير بارسونز على هذا المنوال فى تعليله لبناء التوجيهات القيمية التى يضعها المجتمع للاشياء والمواقف ، والتوجيهات القيمة تنقسم أيضا الى ثلاثة جوانب ، جانب ادراكى ، وتتمثل فى ادراك ابراهيم للاعلانات والمعلومات والصور الخاصة بالسيارات المختلفة ومن بينها السيارة فيات . ويوجد جانب عاطفى ويتمثل فى تعلق ابراهيم بعدة سيارات ، ويوجد كذلك الجانب التقييمى وهو أن يختار سيارة معينه من تلك السيارات لأسباب متعلقة بالسيارة فى ذاتها .

وعن طريق الموازنة بين التوجيهات الدافعة المتعلقة بالشخص وظروفه والتوجيهات القيمية المتعلقة بالمجتمع ونظمه يتم الفعل الاجتماعى ، فاذا علمنا أن الدوافع والرغبات تتعلق بشخصية الفرد ، وان الفعل الاجتماعى لا يمكن أن يتم الا فى مجتمع ، وان القيم التى تضفى على الأشياء ترجع الى ثقافة المجتمع ، يتضح لنا كيف أن الفعل الاجتماعى يقوم أساسا على ثلاثة مقومات هى الشخصية والمجتمع والثقافة . شرح بارسونز هذه النظرية بالتفصيل مع توضيحها بجداول عدة فى كتابه الشهير بناء الفعل الاجتماعى . وتعرضت نظريته للنقد من ناحية انها محاولة لتعقيد النظرية الاجتماعية الشائعة والتى ترجع التفاعل الاجتماعى الى الترابط بين الشخصية والمجتمع والثقافة .

٣ — يرى بارسونز امكانية استخدام أسلوبه التحليلى السابق — وهو القائم على أساس التمييز بين الأفكار والرغبات والقيم — فى دراسة المجتمع والشخصية والثقافة وليس فقط الفعل الاجتماعى . ويجب ملاحظة أن هذا الاسلوب التحليلى لا يعنى استقلال الأفكار عن الرغبات أو استقلال الرغبات عن القيم ، وانما يوجد تداخل بين هذه الأمور ، وقد يحدث أن يسيطر أحد هذه الأمور على القطاعين الآخرين ، فمثلا فى الثقافة نجد أن الأفكار والمعتقدات والاساطير يتضح فيها جانب الأفكار أو الجانب الادراكى . بينما نجد أن الفن يتميز بسيطرة الجانب الانفعالى والعاطفى أى الرغبات ، هذا بالاضافة الى أن القيم تمثل جانب القيمة فى الثقافة .

٤ — لاحظ بارسونز أن الفرد فى تفاعله الاجتماعى يهدف الى تحقيق أكبر للرضاء لرغباته ، ولا شك أن المجتمع لا يسمح له بتحقيق كل رغباته ، ومن هنا كان التعارض الذى يدفع الفرد الى الاستمرار فى محاولة تحقيق رغباته فى أفضل صورة ويقدم المجتمع عددا كبيرا من الامكانيات والبدائل التى يختار الفرد منها ما يتفق مع رغباته وامكانياته ولا شك أن الفرد لا يستطيع تحقيق كل رغباته والحصول على كل شىء وانما هو يختار الأفضل بالنسبة له .

٥ — اهتم بارسونز بتحليل المؤسسات الاجتماعية والجماعات الى عناصرها البنائية ، وأبرز أهمية المركز والدور فى حياتنا الاجتماعية ، فالفرد يشغل عدة مراكز عن طريق التنشئة الاجتماعية والتعليم والتخصص ، ويتمركز حول كل مركز عدة أدوار وعلى الفرد الذى يشغل المركز أن يؤدى الأدوار والا عزله المجتمع من ذلك المركز فمثلا عندما يتزوج الشاب وينجب يشغل مركز الأب ، يتطلب هذا المركز أن يقوم الفرد بأدوار محددة منها اعالة الأسرة ورعاية الأطفال وحمايتهم . فاذا تصورنا أن هذا الفرد نسبب ما — مثل البطالة أو المرض أو ادمان المخدرات — لم يعد قادرا على اعالة أسرته ، فان المجتمع فى هذه الحالة يحرمه من ذلك المركز وغالبا يبيح الطلاق وينظم طريقة أخرى لاعالة الأطفال وهكذا فان الفرد فى أفعاله الاجتماعية يصبح يقوم بأدواره المتعلقة بالمراكز التى يشغلها ، ويتم التفاعل الاجتماعى عن طريق توقع الأفراد أن يقوم كل منهم بالادوار الخاصة بالمراكز وذلك فى المواقف الاجتماعية المختلفة . ويعرف المركز بأنه مكان الفاعل فى نسق العلاقات الاجتماعية ولا يمكن فصل الأدوار عن المركز وذلك لأن كل مركز ترتبط به عدة أدوار والدور هو سلوك الفاعل فى علاقته مع الآخرين . والنظام الاجتماعى هو مجموعة انماط الأدوار المتعلقة بأداء وظيفة اجتماعية معينة . فمثلا نظام الزراعة هو فى الحقيقة مجموعة من انماط السلوك المتعلقة بفلاحة الأرض وحرثها وبذر البذور ورعاية الزرع ثم الحصاد ، وهذه فى مجموعها أدوار يقوم بها المزارع أو الفلاح ، والفلاح هو فاعل رد يقوم بمركز محدد يعرف ، بالفلاح ، وذلك يختلف من مركز مدير المصنع أو العامل الفنى أو العامل نصف الفنى وهكذا .

الفصل الثانى عشر

علم الاجتماع فى روسيا

بدأ علم الاجتماع فى روسيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وكان متأثرا بكل من دراون وهربرت سبنسر وأوجست كونت وماركس ، وقوى تأثير ماركس بعد الثور البلشفية فى عام ١٩١٧ ، وخضع هذا العلم للخطوط العامة للنظرية الماركسية ، واليوم ينظر البعض الى علم الاجتماع فى روسيا على انه فرع للاقتصاد يختص بدراسة الآثار الاجتماعية للنظام الاقتصادى . وفيما يلى عرض مرجزا لأهم علماء الاجتماع فى وسيا ونظرياتهم .

١ ـ العلامة نوفيكوف : (١٨٤٩ ـ ١٩١٢)

هاجر منذ الصغر الى فرنسا وأكمل تعليمه بها ولذلك كتب مؤلفاته باللغة الفرنسية . آمن بالحرية والديموقراطية ولذلك حارب الدكتاتورية والطغيان ، له نظريات قيمة فى علم الاجتماع .

أهم مؤلفاته الاجتماعية :

١ ـ الصراعات بين المجتمعات الانسانية وأشكالها المتتابعة .

٢ ـ معالم الفوضى فى المجتمعات الحديثة .

٣ ـ الحرب ومميزاتها المزيفة .

٤ ـ نقد الدارونية الاجتماعية .

٥ ـ ميكانيزم وحدود التجمع الانسانى .

اهـم نظـزيـاته :

١ — يعرف علم الاجتماع بانه العلم الذى يدرس المجتمع ، والعلوم الاجتماعية الخاصة هى فروع له . يقوم هذا العلم على أساس قوانين علم الحياة وعلم النفس وبمعنى أن القوانين الاجتماعية هى امتداد لقوانين علم النفس وتلك بدورها امتداد لقوانين علم الحياة .

حدد أهم العلوم الانسانية التى تغذى علم الاجتماع بالمادة الأولية والحقائق الاجتماعية على انها علم الاقتصاد وعلم السياسة وعلم القانون.

يرى « نوفيكوف» ان علم الاجتماع فى عصره — نهاية القرن ١٩ والعقد الأول من القرن العشرين — لا يزال فى نطاق الدراسات الفلسفيه لأنه لم يكن قد استطاع بعد أن يطبق المنهج العلمى . وهو ينادى بأهمية تطبيق المنهج العلمى القائم على أساس الملاحظة المحسوسة والتجربة ، ويرى أن اعتماد هذا العلم فى دراسته للمجتمع على التأملات والاستغراق فى التصور لن يسمح له باكتشاف القوانين الاجتماعية . وعندما يستطيع تطبيق المنهج العلمى سيحتل علم الاجتماع مكانا مرموقا وسيصبح أقوى العلوم الانسانية تأثيرا فى توجيه النشاط الانسانى الاجتماعى والسياسى.

٢ — موضوع علم الاجتماع هو المجتمع ، يرى نوفيكوف ان العنصر الأساسى فى تكوين المجتمع هو قيام التضامن بين أفراده ويترتب على ذلك التضامن شعور الأفراد بانتمائهم لجماعة واحدة فالمجتمع ليس مجـرد جماعة من الأفراد وانما لابد من توفر العـلاقات المتبادلة بين أفراده . والتفاعل الاجتماعى هو امتداد للتفاعل الغريزى الموجود عند الحيوانات غير الانسانية ، وذلك امتدادا للتفاعل بين الخلايا الحية فى جسم الكائن الحى ، ويشبه ذلك التفاعل ... بين العناصر الكيمائية من تفاعل أى فى الأجسام غير العضوية . هنا يتضح تأثر العلامة «نوفيكوف» بالنظرية الداروينية التى ترى أن الاختلاف بين الظواهر الانسـانية والظواهر

الحيوانية غير الانسانية وكذلك الظواهر الحيوية هو اختلاف فى الدرجة ولبس اختلاف فى النــوع أو الكيــف •

٣ — حدد «نوفيكوف» الفروق الأساسية بين المجتمع والدولة والأمة ، فهى مجرد مظهر خارجى للمجتمع يقوم بوظيفة حماية الأفراد وحقوقهم فالمجتمع جماعة من الأفراد يعيشون معا ويتفاعلون اجتماعيا وفق قواعد معينة وينشأ بينهم شعور جماعى بانتمائهم الى مجتمع معين ، أما الدولة فهى مجرد مظهر لا خارجى للمجتمع يقوم بوظيفة حماية الأفراد وحقوقهم أما الأمة فهى أكثر تطورا من المجتمع والدولة ، وذلك لأنها تقــوم على أسس نفسية وعوامل تاريخية وأهداف مشتركة ، وليس فقط على مصالح مادية مشتركة كما هو الحال فى المجتمع • ويعارض اتجاه التطابق بين الدولة والأمة ، وذلك لأن الواقع يفرض مثل ذلك التطابق ، فقد يوجــد دولة واحدة تتكون من عدة أمم ، وكذلك قد تتوزع الأمة الواحدة فى عدة دول • وقد حلل مقومات القومية بصورة لا نجد مثلها عند كبار علمــاء السياسة • وحلل عناصر الدولة وهى الاقليم والسكان والسيادة والحكومة •

٤ — يخضع تطور المجتمعات البشرية لقانونى الصراع والوفاق بمعنى أن المجتمعات تتصارع ثم تتفق وهكذا ؛ وعن طريق هاتين العمليتين يحدث التطور والارتقاء ويرى أن تطور الانسانية يسير وفق قانون عام يتكون من أربــع مراحــل •

(أ) المرحلة الفزيولوجية وفيها يهتم الانسان باشباع حاجــاته الجسمية وغرائزه ، تعد هذه المرحلة هى مرحلة استكمال نضج التطــور العضوى ومرحلة الاهتمام بالمحافظة على الجســم واستمرار النــوع البشرى •

(ب) المرحلة الاقتصادية وتسود هذه المرحلة المصالح الاقتصادية وينقسم المجتمع الى طبقات تستغل بعضها البعض الآخر ، وتكثر الحروب والصراع حول الثــروات •

(ج) المرحلة السياسية ، وهنا يزداد الاهتمام بالتنظيمات السياسية وأهمها الدولة والأمة ، والأمة أرقى من الدولة وهى أسمى شأنا فى تاريخ تطور الحضارة الانسانية وهى أهم عوامل التقدم الاجتماعى والانسانى، ويهتم الانسان فى تلك المرحلة بالحقوق والواجبات وبتحقيق المساواة والعدالة .

(د) المرحلة العقلية ، وهى أرقى مراحل التطور الانسانى ، وفيها يستخدم العقل فى حل جميع المشاكل ولا يحتاج الانسان الى الحروب والى الاستبداد وتعذيب الجسم ، وانما يستخدم العقل ويستفيد من امكاناته المبدعة الى أقصى درجة . وفى هذه المرحلة ستتحقق العالمية أى خضوع العالم لحكومة عالمية ويصل الانسان الى أعلى مراحل التقدم . وكان ينادى دائما بتحقيق اتحاد يجمع دول أوربـا .

نلاحظ مبلغ تأثره بالعلامة دارون ، فان الصراع والتوافق هما قانون الصراع للبقاء وقانون التكيف عند دارون . ويؤكد «نوفيكوف» ان التنازع على البقاء هو ظاهرة كلية توجد فى جميع أجزاء الكون وهى أساس التكيف والتطور والتقدم ، ويوجد الصراع على البقاء فى جميع المراحل السابقة الذكر ولكن تختلف حدة ذلك الصراع ومظاهرة فى كل مرحلة ، وتتمثل المظاهر السوية للصراع على البقاء فى المرحلة العقلية فى العلم وتعمل به حرية الفكر وحرية الدين وحرية النشر والاجتماع والعمل على التقارب الفكرى بين المذاهب العقلية المتعارضة أو بين اللغات والأديان والمذاهب السياسية المختلفة .

٥ — درس المجتمعات الحديثة فى عصره وعرض لمظاهر الفوضى والتفكك الاجتماعى فى تلك الدول وأرجع هذه الفوضى — التى من أهم مظاهرها البطالة والفقر والدعارة والطلاق وانحراف الأحداث وارتفاع معدل الجرائم — الى الأموال الضخمة التى تنفقها الدول الحديثة فى التسليح والحروب والمشروعات الارتجالية الفاشلة ، يتمثل علاج هذه الفوضى فى اهتمام الحكومات بالاصلاح الاجتماعى وتوفير الأموال اللازمة لذلك والانفاق على مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بسخاء .

٦ — يعد العلامة «نوفيكوف» مؤسس علم الاجتماع الحربى ، وهو أحد علوم الاجتماع التخصصية التى بدأ يهتم بها علماء الاجتماع بعـد الحرب العالمية الثانية•اهتم«نوفيكوف»بدراسة الحرب كظاهرة اجتماعية وبين الآثار الفزيولوجية والاقتصادية والأخلاقية المترتبة على الحروب ، أى انه درسها دراسة موضوعية ، وعرض الآراء المؤيدين للحرب كظاهرة اجتماعية مفيده ونقد تلك الاراء ، وكذلك عرض للاراء التى تندد بالحرب وتنادى بالغائها ونقد تلك الاراء كذلك • وهكذا فان «نوفيكوف» كـان موضوعيا فى دراسته للحرب ، ولم يشأ أن يفرض رأيه الشخصى •

٧ — نشر نوفيكوف فى أواخر أيامه (قبل مماته بعام واحد أى فى ١٩١٢) كتابا ينقد فيه الداروئية الاجتماعية ، وقد يعجب المرأ لنشر ذلك الكتاب ، وذلك لأن «نوفيكوف» من أكثر علماء الاجتماع تأثرا بدأرون ويتضح ذلك من ارجاعه التطور والتقدم الاجتماعى الى ظاهرتى الصراع والتكيف • لاشك أن «نوفيكوف» قد غير بعض أرائه فى نهاية أيامه ويتضح ذلك فى آخر كتاب له • عارض «نوفيكوف» علماء الاجتماع الذين يشبهون المجتمع الانسانى بالكائن الحى ومن أمثلة ذلك العلامة هربرت سبنسر وغيرهم ، وكذلك يعارض هؤلاء الذين يطبقون القوانين والعمليات العضوية على المجتمعات والعمليات الاجتماعية • ولا شك انه بذلك يعارض نظرياته السابقة • ويصل فى النهاية الى تأكيد أن نظريات دارون خاصة بالكائنات الحية ، أما المجتمعات الانسانية فهى ظواهر لها خصائص مختلفة وبالتالى تخضع لقوانين مختلفـة •

٨ — ذكرنا سباقا أن «نوفيكوف» غير بعض نظرياته فى آخر أيامه ويؤكد ذلك ماجاء به من أفكار فى آخر أيامه•ويؤكد ذلك ماجاء به من أفكار فى آخر كتاب له ، وهو كتاب ميكانيزم وحدود التجمع الانسانى : ويؤكد فى هذا الكتاب أهمية اتحاد الدول وخاصة اتحاد دول أوروبا كخطـوة تمهيدية لتحقيق الوحدة العالمية ، وفى هذا الكتاب توصل الى مبدأ جديد يرجع اليه تقدم المجتمعات الانسانية وهو مبدأ «التبادل» ، فعن طريق «التبادل» تتم المعاهدات الدولية والصداقات بين الدول والاتحادات ، وكذلك يتم التقدم فى داخل المجتمع الواحد ، فان ظواهر تقسيم العمل

والتجارة والتخصص الفنى تقوم أساسا على مبدأ التبادل . وهكذا فهو يرفض ما آمن به فى أول حياته العلمية ، أى ارجاع التقدم الانسانى للصراع والتكيف ، ولذلك فهو يؤكد أن السلب والحرب والصراع لا يمكن لها أن تؤدى الى التقدم وانما يؤدى كذلك لاتحاد الدول والتمهيد لتحقيق الاتحاد العالمى .

٢ ـ العلامة دى روبرتى De Roberty (١٨٤٣ ـ ١٩١٥)

ولد فى روسيا وتلقى علومه بها وألف الكثير من مؤلفاته باللغة الروسية ثم سافر الى أوروبا وعمل بجامعاتها وخاصة الجامعات الفرنسية ثم عاد الى وطنه حيث عمل كأستاذ فى معهد الأمراض العصبية والنفسية بمدينة بطرسبرج ، وقد قتل فى عام ١٩١٥ م . جمع فى دراسته بين الفلسفة وعلم الاجتماع : وله نظريات ومؤلفات قيمة فى الميدانين .

أهم مؤلفاته الاجتماعية :

١ ـ علم الاجتماع .
٢ ـ الروح الاجتماعية .
٣ ـ برنامج جديد فى علم الاجتماع .
٤ ـ علم اجتماع الفعل .
٥ ـ كونت وسبنسر .

أهم نظرياته الاجتماعية :

١ ـ تأثر بالعلامة أوجست كونت ولكنه أضاف أفكارا جديدة ولذلك يعرف اتجاهه بالوضعية الجديدة ، وتاثر كذلك بدارون وهربرت سبنسر .

٢ ـ يقسم ظواهر الكون الى ثلاث مجموعات :

(أ) الظواهر الطبيعية الكيمائية .

(ب) الظواهر العضوية أو البيولوجية .

(ج) الظواهر الاجتماعية أو ما فوق العضوية .

يرى أن جميع هذه الظواهر تخضع لمبدأ واحد وهو التفاعل والتداخل، ولكن يتم التفاعل فى الظواهر الطبيعية بين عناصر كيمائية لا عنصرية ؛ بينما تتفاعل الخلايا الحية فى الظواهر العضوية ويحدث التفاعل بين الخلايا العصبية المعقدة والمؤثرات الخارجية فى الظواهر الاجتماعية ، وهو يلمح بتطور كل مجموعة من الظواهر من المجموعة السابقة ،ولكن حدث هذا التطور بصورة تدريجية حتى وصل الى أرقى وأسمى ظواهر العالم وهى ظاهرة التفكير .فالتفكير خاصة انسانية ولا توجد الا عند الانسان.

٣ — اهتم بتحليل ظاهرة التفكير ، ويرى أن عملية التفكير ترجع الى التفاعل بين مجموعتين من العوامل العضوية أو البيولوجية الممثلة فى الجهاز العصبى الانسانى المعقد وخاصة خلايا المخ البشرى ، والمجموعة الثانية هى العوامل الاجتماعية التى تتمثل فى المؤثرات الاجتماعية أى التفاعل بين البشر والاحتكاك بين العقول . فالتفكير عملية بيولوجية اجتماعية ، وعن طريق التفكير توصل الانسان الى بناء حضارة عظيمة تزخر بالتقدم العلمى والفنون والتنظيم الاجتماعى . اتى بأمثله كثيرة مثل اللغة والاختراع وما الى ذلك .

٤ — يتفق مع اوجست كونت فى معارضته لاستقلال علم النفس ، وينادى بضرورة الحاقة كفرع لعلم الاجتماع . وذلك على أساس ان الظواهر النفسية ترجع الى المؤثرات الاجتماعية ، فعن طريق التفاعل الاجتماعى تظهر الانفعالات والدوافع والعواطف وبدون المؤثرات الاجتماعية لاتظهر العوامل النفسية . وشن حملة قوية على علم النفس وتجاهله عند تحديد العلوم التى تدرس الظواهر الانسانية الاجتماعية فقد اجملها فى علمين اساسيين : علم الحياة وعلم الاجتماع . ويعود فيقرر اننا نفسر الظواهر النفسية عن طريق الظواهر البيولوجية والظواهر الاجتماعية ، أما الظواهر الاجتماعية فانها تفسر فقط عن طريق الظواهر الاجتماعية والظواهر البيولوجية ويستبعد الظواهر النفسية تماما .

٥ — انعكس اهتمام دي روبرتي بتحليل عملية التفكير فى تفسيره للتغير الاجتماعى ، فقد رأى ان التفكير وظهور افكار جديدة وعقائد جديدة هى الأساس فى احداث أى تغير اجتماعى ، ورفض التفسير الماركسى الذى يرى ان التغير الاجتماعى يبدأ بالتغير فى العوامل الاقتصادية المادية ثم يحدث التغير فى باقى الظواهر الاجتماعية وكذلك فى الافكار والمعتقدات .

٣ — العلامة كوفالوفسكى : Kovalovesky (١٨٥١ — ١٩١٦) :

يعد من أكبر علماء الاجتماع فى روسيا ورغم أنه تلقى تعليمه بروسيا الا انه سافر الى أوروبا واتصل بكبار علماء الاجتماع مثل هوبرت سبنسر وسيمل وكارل ماركس وغيرهم . وسافر وحصل على اعلى الدرجات العلمية وعمل استاذا لعلم الاجتماع بالجامعات الروسية وسافر الى اوروبا وأمريكا كأستاذ زائر لجامعاتها . وتولى منصب عميد المعهد الاجتماعى الدولى ، يجمع فى دراساته بين علم الاجتماع والسياسة والاقتصاد وتتميز مؤلفاته بكثرة الابحاث الاجتماعية التطبيقية .

أهم مؤلفاته الاجتماعية : (باللغة الروسية وترجمت للغة الانجليزية)

١ — المجتمعات الزراعية	١٨٧٩
٢ — التنظيم الاجتماعى فى انجلترا فى اواخر القرون الوسطى	١٨٨٠
٣ — العادات الحديثة والقانون القديم	١٨٨٦
٤ — القانون البدائى	١٨٨٧
٥ — القانون والعادات فى بلاد القوقاز	١٨٩٠
٦ — النمو الاقتصادى فى اوروبا حتى قيام الرأسمالية (ثلاثة اجزاء)	١٨٠٣
٧ — النظام الاقتصادى فى روسيا	١٨٩٨
٨ — النظم السياسية الروسية	١٩٠٢
٩ — علماء الاجتماع المعاصرون	١٩٠٥
١٠ — علم الاجتماع (اربعة اجزاء)	١٩١٠
١١ — أفكار جديدة فى علم الاجتماع (مجموعة مقالات بالاشتراك مع العلامة سوروكن)	١٩١٣

اهم نظرياته الاجتماعية :

١ — يعرف علم الاجتماع بانه علم التنظيم والتغير الاجتماعى ويقصد بالتنظيم الاجتماعى حالة الاستقرار الاجتماعى ، ويرى ان التغير الاجتماعى ينقسم الى التطور والتقدم،ويفرق بينها على أساس أن التطور قد لا يعنى التقدم أما التقدم فهو التغير الاجتماعى الذى يحقق الاصلاح الاجتماعى .

ويحدد منهج علم الاجتماع بانه استقراء الحقائق العامة وتجريدها من الحالات الجزئية والتوصل الى القوانين العامة التى تفسر الحياة الاجتماعية فى حالة الاستقرار وحالة التغير .

٢ — تعرض كوفالوفسكى لمشكلة تحديد العلاقة بين علم الاجتماع العام والعلوم الاجتماعية المتخصصة : وقد أكد استقلال علم الاجتماع العام عن فروعه المتخصصة ، أى انه ليس مجرد تجميع للحقائق التى يصل اليها الفروع المتخصصة ، وانما يدرس الحياة الاجتماعية بغرض الوصول الى قوانين اكثر عمومية من قوانين العلوم الاجتماعية الفرعية . ويتميز علم الاجتماع العام بالتخصص فى دراسة موضوع لايشاركه فى دراسة أى علم آخر ، هذا الموضوع هو التغير الاجتماعى والتقدم الاجتماعى ، ويعرف التقدم بأنه تغيرات تاريخية وايجابية فى البناء الاجتماعى الاقتصادى .

٣ — اهتم بتحديد مراحل التطور الاجتماعى ، واعتمد فى ذلك على التاريخ المقارن والدراسة العميقة التحليلية للابحاث الميدانية المتوفرة فى عصره ، أى انه يرفض التصور والتأمل كمنهج لرسم صورة التطور الاجتماعى . اقدم الاشكال الاجتماعية هى « المعشر » وهو اصغر مجتمع انسانى عرف حتى الان ؛ ويتكون من عدة اسر تعيش معا ، ثم تطور المعشر وتحول الى عشيرة ؛ والعشيرة الى مجموعة كبيرة من الاسر التى تعيش معا فى مجتمع محلى واحد ويعتقد افراد العشيرة انهم يرجعون الى اصل واحد ولذلك تجمعهم روابط القرابة الدموية ، والطقوسية ثم ظهر نظام « القبائل » ويتحدث عن نظام القرابة وكيف تطور من نظام

القرابة الاموية ، حيث ينسب الطفل الى أمه ، الى نظام القرابة الابوية ويتطرق الى نظام الزواج والمحارم ، وتعد دراســاته أفضل ماكتب فى عصره عن هذا الموضوع ، ويبحث فى تطور النظم الاقتصادية من الصيد الى الرعى الزراعة • ويدرس بالتفصيل النظام الاقطاعى ويحدد صوره فى الدولة البيزنطية وغرب أوروبا وروسيا والدولة العربية الاســلامية واليابان ، ثم ينقل الى ظهور الأفكار القومية وظهور الأمم الديموقراطية وهى آخر مرحلة وصل اليها تطور المجتمعات •

حلل عوامل التطور الاجتماعى ولاحظ كثرتها ورفض ارجاع التطور الاجتماعى الى عامل واحد ، وهكذا رفض النظرية الماركسية التى تجعــل النظام الاقتصادى العامل الوحيد الذى يفسر التطور الاجتماعى ، أهتم بتوضيح أثر العامل السكانى ودور العوامل الأخلاقية والسياسية والدينية فى التطور الاجتماعية ، وهو لاينكر أثر العامل الاقتصادى ولكنه لايخصص له مركزا ممتازا بالنسبة للعوامل الأخرى • حلل كوفالوفسكى هذه العوامل المتعددة للتطور الاجتماعى ورأى انها تقوم على دعامتين : الدعامة الأولى هى ان التطور يستلزم التجديد والاختراع والتقليد والتكيف وهذه ظواهر نفسية اجتماعية والدعامة الثانية تتمثل فى ان التطور الاجتماعى يستلزم تحسنا تدريجيا فى قواعد السلوك الأخلاقى والتربوى •

الفصل الثالث عشر

علم الاجتماع فى ايطاليا

يمكن ملاحظة الخصائص التالية فى دراسات علماء الاجتماع الايطاليين :

١ — اهتم بعض علماء الاجتماع فى ايطاليا بدراسة ظاهرة الجريمة وهكذا مهدوا لظهور علم الاجتماع الجنائى أو علم الجريمة ، واهم هؤلاء العلماء لمبروزو (١٨٣٥ — ١٩٠٩) صاحب كتابى « الرجل المجرم » ، «المرأة المجرمة» ، وانتهى لمبروزو الى نظرية مؤداها ان بعض الأفراد يولدون مزودين باستعداد فطرى للاجرام والانحراف ولهؤلاء خصائص جسمية ونفسية معينة . ونادى هذا العالم بنظرية أخرى فى العقوبة ملخصها أن العقوبة يجب أن تهدف للعلاج والاصلاح وليس الانتقام . وقد كان لهذه النظرية دورا فعالا فى تحسين ظروف المعيشة فى السجون وادخال العلاج الطبى والترفيه فيها واليوم يزداد عدد الدول التى الغت عقوبة الاعدام . .

٢ — بعد العلامة الايطالى «باريتو» Pareto (١٨٤٨—١٩٢٣) أشهر علماء الاجتماع الايطاليين . يرى باريتو أن النظم الاجتماعية (من اقتصادية وسياسية ودينية وأسرية وعادات وتقاليد وقيم) تتولد عن أو تشتق من مجموعة من الاستعدادات الفطرية الثابته ، وهى مجموعة من الغرائز والعواطف ويطلق على الظواهر الاجتماعية اصطلاح «المشتقات»، بينما يسمى الاستعدادات الفطرية «الرواسب» .

المشتقات Derivations

الرواسب = Residues

ويحدد أهم هذه «الرواسب» فيما يأتى —

١ — استعداد فطرى للربط بين الحوادث والظواهر .

٢ — غريزة التناسل وحفظ النوع .

٣ — الميل الفطرى للتعبير عن العواطف بصراحة .

٤ — الميل للاجتماع بالآخرين .

الغريزة الجنسية .

٦ — ميل الدفاع عن النفس .

يفرق باريتو بين البقايا والمشتقات من عدة جوانب ، فبينما تتصف لبقايا بالثبات لأنها عواطف غريزية ، فان المشتقات أى النظم الاجتماعية ى تطور وتغير ، وهى لا تخضع فى تطورها دائما للمنطق ، وذلك لأن لاراده الانسانية تلعب دورها فى تطوير بعض تلك النظم وقد تخطىء تلك لاراده فى بعض الأحيان ولذلك قد تنتشر الاجتماعية والعادات الخاطئة ما عن طريق الجهل أو القوة أو الخداع ، ولذلك فهو يهتم بخاصية نسبية لنظم الاجتماعية . وهكذا فان المشتقات تختلف تماما عن أصولها .

تعرض «باريتو» للنظام السياسى وخصائص الحاكم وقد تأثر فى ذلك الموضوع باراء المفكر الايطالى ميكيافللى ، وتتلخص تلك الاراء فى جملته الشهيرة بان الغاية تبرر الواسطه ، وتعنى أن الحاكم السياسى قد يستخدم الغش والاستبداد والخديعة فى سبيل تقوية دولته وتحقيق صالحها .

٣ — اهتم العلامة جينى Corrado Gini بدراسة ظاهرة الحرب ظاهرة السكان وتكوين الأمة ، أهم مؤلفاته :

١ — المسائل الاجتماعية الخاصة بالحرب (١٩٢١) .

٢ — نشأة الأمة وتطورها واضمحلالها (١٩٣٠) .

عارض العلامة جينى نظرية العلامة مالتس المتعلقة بالزيادة المستمرة ى عدد سكان المجتمعات المختلفة،ونادى بفكرة الدورة السكانية وملخصها ن السكان فى أى مجتمع لا يزداد عددهم بصورة مطلقه ، وانما يمر عدد

السكان فى مراحل عدة تبدأ بمرحلة الشباب حيث يزداد عدد السكان بصورة واضحة ثم تأتى مرحلة الكهولة حيث يتناقص معدلات الزيادة السكانية ثم تأتى مرحلة الشيخوخة حيث تتوقف الزيادة السكانية ويبدأ عدد السكان فى النقصان وهنا تتم الدورة السكانية الأولى ؛ ويتلوها دورة سكانية جديده يعود فيها عدد السكان الى الزيادة وهكذا ، اهتم بدراسة أثر العوامل السكانية فى التطور الاجتماعى ، وكذلك حلل دور النخبة الممتازة والتغيرات الطبقية والحراك الاجتماعى فى عملية التغير الاجتماعى.

الفصل الرابع عشر

علم الاجتماع فى بلجيكا

نشير هنا الى نظريات وأعمال أهم عالمين للاجتماع فى بلجيكا وهما العلامة ديبريل Duprel والعلامة دى جريف De Greef

١ ــ أهم مؤلفات العلامة ديبريل هى : (العلاقة الاجتماعية ١٩١٢) ، (علم الاجتماع العام ١٩١٨) • يهتم بتحديد خصائص العلاقات الاجتماعية ويرى انها الوحدة الأساسية للمجتمع الانسانى موضوع علم الاجتماع ويقسم العلاقات الاجتماعية الى مجموعتين ، العلاقات الاجتماعية الموجهه وهى التى تؤدى الى التكامل والتجمع ، أما المجموعة الثانية فهى العلاقات الاجتماعية غير الموجهة أى ارتباطها بالعواطف والانفعالات •

نادى بانشاء علم الاجتماع الحيوانى الذى يدرس الحيوانات غير الانسانية وتحليل غرائزها ويرى أن هذا التحليل يساعد على فهم الغرائز الانسانية والاستعدادات الفطرية الانسانية وهى الدعامة التى تقوم عليها العلاقات الاجتماعية •

يحدد المجتمع الانسانى بانه جماعة متكاملة من الأفراد ، وهذه الجماعة ليست مجرد مجموع حسابى للأفراد الذين يكونونه ، لأن المجموع الحسابى يفترض المساواة التامة بين الوحدات الحسابية ، أما المجتمع الانسانى فانه يتكون بين أفراد يقومون بوظائف اجتماعية مختلفة ، ويوجد تكامل بين تلك الوظائف وبالتالى ينشأ الكل الاجتماعى أى المجتمع •

٢ ــ أهم مؤلفات العلامة البلجيكى جيوم بدى جريف (١٨٤٢ ــ ١٩٢٤) هى : (مقدمة فى علم الاجتماع ١٨٨٩) ، (البناء العام للمجتمعات ١٩٠٨) • يعرف علم الاجتماع العام بانه الفلسفة العامة للعلوم الاجتماعية

المتخصصة • ويرى أن موضوع علم الاجتماع هـو دراسة العـلاقات الاجتماعية فى المجتمع وكذلك دراسة تأثير البيئة الجغرافية فى العلاقات الاجتماعيـة •

وفيما يتعلق بالمنهج ، نجد أن دى جريف يؤمن بضرورة تطبيق المنهج العلمى وخاصة الاحصاء الرياضى فى دراستنا للعلاقات الاجتماعية ؛ وهنا يتأثر دى جريف بزميله العلامة البلجيكى كيتيليه Quetelet صاحب نظرية تطبيق الاحصاء فى الدراسات الاجتماعية ، فهما يريان أن الاحصاء بالنسبة لعالم الاجتماع يشبه المعمل بالنسبة لعالم الطبيعـة •

يقسم علم الاجتماع العام الى قسمين رئيسيين .

(أ) القسم الأول يدرس المجتمع والعوامل المؤثرة فيه ، ويحددها دى جريف بسبعة عوامل هـى :

العامل الاقتصادى (أهمها) — العامل السكانى — العامل الجمالى — العامل النفسى الجمعى — العامل الأخلاقى — العامل القانونى وأخيرا — العامل السـياسى •

(ب) القسم الثانى يدرس اتصال المجتمعات والشعوب الانسانيـة بعضها ببعض ، ويرى أن زيادة الاتصال بين الشعوب والسلالات المختلفة يؤدى الى زيادة عددها ولكن يؤدى كذلك الى اضعاف الفروق الجسمية بينها وذلك عن طريق الزواج فيما بينهـا •

بالاضافة الى علم الاجتماع العام يوجد علوم اجتماعية متخصصة ، وهى سبعة علوم يتخصص كل علم فى دراسة عامل واحد من العوامل السبعة السابقة وهو هنا يتأثر بالعلامة أوجست كونت الذى وضع تقسيما متشابها للعلوم الاجتماعية المتخصصـة •

درس دى جريف التطور الاجتماعى وأعطى أهمية كبيرة للعامـل الاقتصا[illegible] أثره فى التطور الاجتماعى ، ولكنه لا يعتبرها العامل الوحيد

وانما يشير الي العوامل السبعة السابقة الذكر ، ويرى أن العامل السياسي هو أضعف عوامل التغير الاجتماعـــى •

أهتم دىجريف بالنظام النقابى ويرى انه سيلعب دورا هاما فى التقدم الاقتصادى والتغلب على الصراع الطبقى ، وينادى بتنظيم نقابى عالمى يجمع عمال العالم ولا يعترف بالقوميات • وهنــا يتأثر دىجريف بالنظرية الماركيســية •

محتـــويات الكتـــاب

صفحة

مقـــدمة

فى الفكـــر الاجتمـــاعى

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٩٠ / ٩٠٤٩
I.S.B.N. 977 - 245 - 014 - 3